

فَتْحَاتُ الْقُرْآنِ

الجزء التاسع
الولاية والإمامة في القرآن الكريم

أسلوب جديد في التفسير الموضوعي
للقرآن الكريم

سماحة العلامة المحقق الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

بمساعدة مجموعة من الفضلاء

سماحة العلامة المحقق
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

نفحات القرآن

اسلوب جديد في التفسير الموضوعي
للقرآن الكريم

الجزء التاسع
الولاية والامامة في القرآن الكريم

بمساعدة
مجموعة من الفضلاء

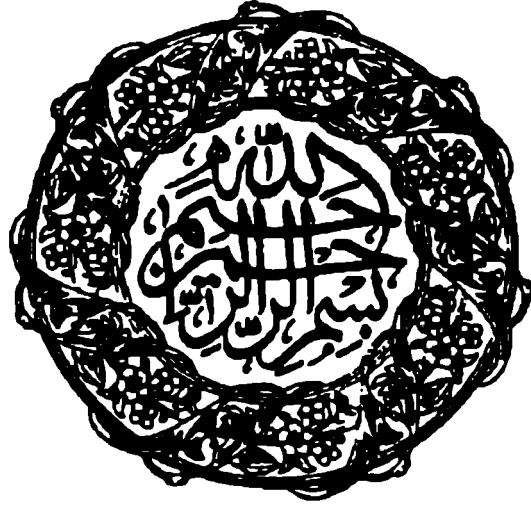
شابک دوره‌ای ۸-۱۰-۹۰۱۵۹-۹۶۴



هوية الكتاب

- الكتاب نفحات القرآن / ج ۹
- المؤلف آية الله العظمى مكارم الشيرازي
- عدد النسخ ۲۰۰۰
- قطع وزيري ۴۰۸ صفحة
- المطبعة الحيدري
- الناشر مؤسسة أبي صالح للنشر و الثقافة

شابک: ۸-۱-۹۰۱۵۹-۹۶۴



الاهداء :

الى الذين يعشقون القرآن .
الى الذين يريدون أن يشربوا من عين الحياة الصافية أكثر .
والى الذين يريدون ان يعرفوا القرآن ويفهموه أكثر .

بمساعدة العلماء الافاضل وحجج الاسلام السادة :

محمد رضا الآشتياني
محمد جعفر الامامي
عبد الرسول الحسيني
محمد الاسدي
حسين الطوسي
سيد شمس الدين الروحاني
محمد محمدي الاشتهاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

ما هو التفسير الموضوعي ؟ وماهي المشكلات التي يعالجها ؟

إن الجواب على هذين السؤالين له الاثر الكبير في فهم مواضيع مثل هذا الكتاب بشكل أصح وأفضل ، وما لم يتضح الجواب على هذين السؤالين لا يمكن معرفة الهدف الذي ترمي اليه مثل هذه الكتب .

اما بالنسبة للجواب عن السؤال الاول فنود ان نذكر بأن المدة التي تنزل فيها القرآن المجيد دامت (٢٣) سنة ، وذلك نظراً للمتطلبات والظروف الاجتماعية المختلفة والأحداث المتنوعة ، فكان القرآن يسير وفقاً لتطورات المجتمع الاسلامي .

إن اكثر الآيات والسور التي نزلت في مكة كانت ترمي الى تركيز دعائم الايمان وترسيخ الاعتقاد بالتوحيد والمعاد ، وكانت تختص بالهجوم الشديد والمستمر ضد الشرك وعبادة الاوثان ، بينما ركزت الآيات والسور التي نزلت في المدينة - وذلك بعد تأسيس الحكومة الاسلامية طبعاً - على وضع القوانين الاجتماعية والعبادية والسياسية وتأسيس بيت المال والنظام القضائي الاسلامي والشؤون المتعلقة بالحرب والهدنة والجهاد ضد المنافقين وامثال ذلك من الامور التي كان الدين الاسلامي يواجهها .

ومن البديهي إن المسائل المذكورة لم توضع على شكل رسالة لبيان الاحكام الشرعية او على شكل كتاب منهجي كما هو المتعارف ، بل كانت الآيات تنزل وفقاً للمتطلبات والمناسبات والحاجات ، فإننا نرى مثلاً احكام الجهاد وفنون القتال واحكام المعاهدات والاسرى والفدية وامثال هذه الامور نزلت متفرقة وبشكل غير مرتب ؛ وذلك لانها نزلت مناسبة لكل غزوة ومتطلباتها ، كما هو الحال في وصفات العلاج التي يكتبها الطبيب الماهر ، فإنه يصفها للمريض في كل يوم بما يناسب حاله حتى يصل الى الشفاء التام.

فلو فسرنا آيات القرآن الكريم في آية سورة من السور بالترتيب الذي نزلت عليه فهذا التفسير يسمى بـ«التفسير الترتيبي» ، واما اذا جمعنا الآيات المختصة في «موضوع» واحد من سائر سور القرآن ووضعناها على شكل فصول وفسرناها فهذا التفسير يسمى بـ«التفسير الموضوعي» .

فمثلاً اذا جُمِعَتْ كل آيات الجهاد التي نزلت خلال عشر سنين من السور المدنية ، او جُمِعَتْ الآيات الخاصة باسماء وصفات الله التي نزلت خلال (٢٣) سنة من جميع سور القرآن، وُضِمَّت الى بعضها ، وفسرت بعضها البعض الآخر فإن هذا يسمى بالتفسير الموضوعي بينما لو قُسِّرت كل آية في موضعها وبشكل مستقل فإن هذا هو التفسير الترتيبي ، إن كل واحد من هذين النوعين له مزايا وآثار بحيث لايمكننا الاستغناء عن احدها بالآخر كما يقول المثل «لكل مقام مقال» .

إن كلا النوعين من التفسير لازم وضروري للباحثين في القرآن الكريم . (ومن الطبيعي ان يُقدَّم التفسير الترتيبي في البداية على التفسير الموضوعي) .

مزايا « التفسير الترتيبي » :

تُعرف اغراض الايات ومفاهيمها من خلال زمان ومكان النزول ، مع ضمّها الى ما قبلها وما بعدها من الآيات ، ومن خلال القرائن الداخلية والخارجية ، وبدون هذا

لا يمكن فهم معنى الآية بدقة. وبعبارة أخرى فإن التفسير الترتيبي ينظر بدقة إلى كل آية في موضعها الذي نزلت من أجله ، ويأخذ بنظر الاعتبار صلّتها بحياة المجتمع الاسلامي وتطوره وتكامله، وتكشف هذه الصلة بدورها عن مسائل كثيرة .

بينما في التفسير الموضوعي تخرج الآيات عن قالبها الجزئي وتأخذ موضعها في قالب كلي وتبتعد إلى حد كبير عن موضعها الذي نزلت من أجله ، وعلى ذلك فإن التفسير الموضوعي يمكنه ، أن يرفع الستار عن الامور التالية :

١ - يجمع الابعاد المتشعبة في طبّات الآيات المختلفة للموضوع ، وينظر إلى المواضيع بشكلها المتعدد الابعاد ، وهذا ينتهي طبعاً باستخراج حقائق جديدة لتلك المواضيع .

٢ - يطرد الابهامات التي تُشاهد في بادئ الامر في بعض الآيات طبقاً للمبدأ القائل بأن «القرآن يفسّر بعضه بعضاً» .

٣ - يُمهّد للخوض في نظرية المعرفة الاسلامية بشكل عام وفي كل مسألة من مسائلها .

٤ - لا يمكن رفع النقاب عن الكثير من اسرار القرآن الخفية الا من خلال التفسير الموضوعي ، ولا يتيسر الخوض في اعماق آياته - على قدر الطاقة البشرية - الا بواسطته .

وبناءً على هذا فإن أيّ مسلم مهما بلغ من المعرفة والتعمّق لا يمكنه الاستغناء عن كلا هذين النوعين من التفسير وبالرغم من ان التفسير الموضوعي كان موضع اهتمام منذ اقدم الأيام بل حتى في عصر أئمة الهدى : ، فقد كتب علماء الاسلام في هذا المجال كتباً جمّة ككتب «آيات الاحكام» التي تعتبر نموذجاً واضحاً لذلك ، الاّ إنه يجب الاعتراف بأن التفسير الموضوعي لم يحضّ بالتطور اللائق به ، وهو لحد الآن يطوي مراحله الابتدائية ، ويجب ان يرقى إلى محلّه اللائق من خلال جهد

وعطاء العلماء .

إن كتاب «نفحات القرآن» الذي بين يديك هو ابداع واسلوب جديد تماماً في التفسير الموضوعي للقرآن ، وقد خطى في هذا الموضوع خطى جديدة فاستقبل - والحمد لله - بشكل واسع ومستمر من قبل الكثيرين ونحن بعد في اول الطريق ، ونحتاج الى عون ودعم اكثر من العلماء المسلمين والمفسرين المحترمين للوصول الى الهدف الرئيسي ، ونحن نتقبل دوماً الآراء البناءة من أهل الخبرة والاطلاع ، ونسأل الله دوام الهداية والتوفيق .

قم - الحوزة العلمية

ناصر مكارم الشيرازي

تمهيد :

إنَّ «الولاية» و «القيادة» بشكل عام، «والامامة» - التي تعني - خلافة رسول الله (ﷺ) بشكل خاص، هي من أهم الابحاث العقائدية والتفسيرية والروائية في تاريخ الاسلام، ولم يجر الحديث بشأن اي قضية بالقدر الذي جرى بشأن هذه القضية على مدى التاريخ الاسلامي.

ومن المؤسف حقاً خروج هذه المسألة عن نطاق الكلام والبحث والاستدلال ودخولها ميادين الصراع والحروب الدموية، وكما يقول بعض المتكلمين :

« ماسلّ في الاسلام سيف كما سلّ في الامامة » .

من هنا فقد تكامل هذا الجانب من العقائد الاسلامية اكثر من غيره، وألفت المزيد من الكتب حوله، وجرى تحقيق كافة جوانبه بالنسبة للذين يريدون دراسته بدقة وتفحص، وان كان البعض من هذه البحوث غير منطقي ويدعو الى التفرقة والتعصب.

اما واجبنا نحن في مثل هذه المسألة المهمة والحساسة والواسعة فيتلخص في

مايلي :

١ - عزل البحوث المنطقية والأصولية عن غير المنطقية، والبحاث الاستدلالية

والمحققة عن البحوث المليئة بالتعصب، والاستناد إلى الكتاب والسنة، والبرهان والعقل، ومن ثم تنظيمها.

٢ - مطابقة المسائل المتعلقة «بالامامة» مع «الولاية والقيادة» والتي هي من تفرعات الولاية الالهية للمعصومين (عليه السلام).

٣ - نظراً إلى أن هدفنا الحقيقي في هذا البحث التفسيري هو ايضاح هذه المسألة من وجهة النظر القرآنية، يتحتم علينا التمعن والتفسير الدقيق للآيات المتعلقة بالامامة.

وكما يقول بعض الباحثين: «ان قضية الامامة لا تخص ماضينا، فحسب فهي قضية العالم الاسلامي المعاصر وقضية الامة. فهي عامل بقاء واستمرار النبوة وقضية الاسلام المصيرية»^(١).

وبالطبع، فاننا نتوجه أولاً نحو مسألة القيادة في عالم الوجود ككل، ثم في عالم البشرية، ومن ثم نتطرق إلى قيادة الائمة المعصومين (عليهم السلام). وفي خاتمة المطاف نتعرض إلى مسألة حكومة وقيادة نوابهم، ولكن يبدو من الضروري ذكر بعض الامور:



١ - ماهي الامامة؟

فيما يتعلق بتعريف الامامة هنالك اختلاف كثير في وجهات النظر، ولا بد من وجود هذا الاختلاف، فالامامة في نظر طائفة «الشيعة واتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام)» من اصول الدين والأسس العقائدية، بينما تعتبر في نظر طائفة اخرى «اهل السنة» من فروع الدين والاحكام العملية.

فمن البديهي ان لا تشابه نظرة الطائفتين إلى مسألة الامامة، وان لا يكون لهما

تعريف واحد لها .

من هنا نرى عالماً سنياً يعرف الإمامة هكذا :

الامامة رئاسة عامة في امور الدين والدنيا ، خلافة عن النبي (ﷺ) ^(١) .

واستناداً الى هذا التعريف ، فالامامة مسؤولية ظاهرية في حدود الحكومة ، غاية الأمر ان الحكومة تتأطر بإطار ديني ، واتخذت طابع خلافة النبي (ﷺ) «الخلافة والنيابة في أمر الحكومة» . وبطبيعة الحال يمكن انتخاب مثل هذا الامام من قبل الناس .

واعتبر البعض ان الامامة تعني «خلافة شخص للنبي (ﷺ) في اقامة الاحكام الشرعية وحراسة الدين بنحو تكون اطاعته واجبة على جميع الامة» ^(٢) .

وهذا التعريف لا يختلف عن التعريف الاول نوعاً ما ، لانه يحتوى على نفس المفهوم والمضمون .

كما ان ابن خلدون قد سار على نفس هذا المعنى في مقدمة تاريخه المعروف ^(٣) .

ويقول الشيخ المفيد في «اوائل المقالات» في بحث العصمة مايلي : ان الائمة القائمين مقام الانبياء في تنفيذ الاحكام ، واقامة الحدود ، وحفظ الشرائع ، وتأديب الأنام معصومون كعصمة الانبياء ^(٤) .

فطبقاً لهذا التعريف الذي يجري مايعتقد به اتباع اهل البيت (عليهم السلام) ان الامامة أعلى مرتبة وأشمل من الزعامة والحكومة على الناس ، بل ان جميع واجبات

١ - شرح التجريد للقوشجي : ص ٤٧٢ .

٢ - الشرح القديم للتجريد لشمس الدين الاصفهاني نقلاً عن توضيح المراد ، تعليقة على شرح تجريد الاعتقاد للسيد هاشم الحسيني الطهراني ، ص ٦٧٢ .

٣ - مقدمة ابن خلدون : ص ١٩١ .

٤ - اوائل المقالات : ص ٧٤ ، ط مكتبة الداوري .

الانبياء «سوى استلام الوحي وما شابهه» ثابتٌ للائمة . من هنا فشرط العصمة المتوفر في الانبياء متوفر في الائمة ايضاً (تأملوا جيداً).

لهذا فقد جرى تعريف الامامة في نظر الشيعة في كتاب شرح احقاق الحق كمايلي : «هي منصبٌ الهي حائز لجميع الشؤون الكريمة والفضائل الا النبوة وما يلزم تلك المرتبة السامية»^(١).

بناء على هذا التعريف ، فالامام ينصب من قبل الله تعالى عن طريق النبي (ﷺ) ، ويمتلك نفس الفضائل والخصائص التي يمتلكها النبي (ﷺ) «عدا النبوة» ، ولا ينحصر عمله في الحكومة الدينية فقط .

لهذا يعتبر الايمان بالامامة جزءاً من اصول الدين لامن فروع الدين .



٢- هل الامامة من الاصول أم من الفروع ؟

يتبين جواب هذا السؤال مما قيل في البحث السابق ، لأن الآراء مختلفة في مسألة الامامة ، يقول «الفضل بن روزبهان» صاحب «نهج الحق» الذي يعتبر «احقاق الحق» رداً عليه ، مايلي : «ان مبحث الامامة عند الاشاعرة ليس من اصول الديانات والعقائد بل هي عند الاشاعرة من الفروع المتعلقة بافعال المكلفين»^(٢).

كما ان سائر مذاهب اهل السنة لا يختلفون مع الاشاعرة في ذلك ، لانهم يعتبرونها من التكاليف العملية الموكولة الى الناس ، في حين ان الشيعة واتباع اهل البيت (عليهم السلام) ونفر قليل من اهل السنة كالقاضي البضاوي وبعض من اتباعه يعتبرونها من اصول الدين^(٣).

١- احقاق الحق، ج ٢، ص ٣٠٠ (الهامش الاول) .

٢- احقاق الحق، ج ٢، ص ٢٩٤، دلائل الصدق، ج ٢، ص ٤ .

٣- دلائل الصدق، ج ٢، ص ٨ .

والدليل هو انهم يعدون الامامة منصباً الهياً يجب أن يعين من قبل الله تعالى ، وأحد شروطها العصمة التي لا يعلمها إلا الله ، والايمان بالائمة واجب كالايمان بالنبي (ﷺ) الباني الأول لقواعد الشريعة ، إلا أن هذا لا يعني ان الشيعة يعتبرون المخالفين لهم في قضية الامامة كافرين ، بل انهم يعتبرون جميع الفرق مسلمين ، وينظرون اليهم على انهم اخوة في الدين ، وان لم يقبلوا آرائهم في مسألة الامامة ، ومرد ذلك لكونهم يقسمون أصول الدين الخمسة الى قسمين ، الاصول الثلاثة الاولى ، التوحيد والنبوة والمعاد على انها اصول الدين ، والامامة والعدل بانها اصول المذهب .

نختتم هذا الكلام بحديث عن الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) - الذي يعتبر ملهماً لا تباع اهل البيت (عليهم السلام) - في مسألة الامامة : «ان الامامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين ، ان الامامة أس الاسلام النامي وفرعه السامي بالامام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وامضاء الحدود والاحكام ، ومنع الثغور والاطراف ، الامام يحل حلال الله ، ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله ويدب عن دين الله ، ويدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة»^(١).



٣- متى بدأ البحث في الامامة ؟

بعد رحيل النبي (ﷺ) جرى جدل حول من يخلف النبي ، فطائفة كانوا يعتقدون بأن النبي (ﷺ) لم ينصب احداً لخلافته ، واوكل هذا الامر الى الأمة ، بأن يجلسوا ويختاروا قائداً من بينهم ، القائد الذي يمسك بزمام الحكم ، ويحكم الناس

باعتباره موكلًا من قبلهم ، وان لم يجر هذا الاختيار ابدًا ، بل ان مجموعة صغيرة من الصحابة قامت باختيار الخليفة في مرحلة ، وفي المرحلة الاخرى اتخذ انتخاب الخليفة طابعاً تعينياً ، وفي المرحلة الثالثة او كل هذا الاختيار الى مجلس من ستة اشخاص كلهم معينون .

ويطلق على اتباع هذا المنحى «اهل السنة» .

وفريق آخر كانوا يعتقدون بوجوب تعيين الامام وخليفة النبي (ﷺ) من قبل الله تعالى ، لأنه يجب ان يكون مثل النبي (ﷺ) معصوماً من الزلل والخطأ ، وذا علم خارق للعادة لكي يتحمل قيادة الائمة معنوياً ومادياً ، ويحفظ اساس الاسلام ، ويبين مشاكل الاحكام ، ويشرح دقائق القرآن ، ويعمل على استمرار الاسلام . ويطلق على هذه الطائفة «الامامية» أو «الشيعية» . وقد اخذت هذه الكلمة عن الاحاديث المعروفة والصادرة عن النبي (ﷺ) .

فقد روي في تفسير الدر المنثور وهو من المصادر المعروفة لدى اهل السنة عن جابر بن عبد الله الانصاري تعقيباً على الآية الكريمة : ﴿اولئك هم خير البرية﴾ ، انه قال : كنا عند النبي فاقبل علي (عليه السلام) فقال النبي (ﷺ) : « والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة » ، ونزلت : ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية﴾ .

فكان اصحاب النبي (ﷺ) اذا قبل علي ، قالوا جاء خير البرية ^(١) .

ويروي الحاكم النيسابوري وهو من علماء اهل السنة المعروفين في القرن الخامس الهجري هذا المعنى في كتابه المعروف شواهد التنزيل بطرق مختلفة عن النبي (ﷺ) ، وقد تجاوز عدد رواياته العشرين .

منها ما نقله عن ابن عباس ، لما نزلت آية : ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

اولئك هم خير البرية ﴿١﴾ ، قال النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام) : هم انت وشيعتك (١).

وجاء في رواية اخرى عن ابي برزة : لما تلا النبي (ﷺ) هذه الآية ، قال لعلي (عليه السلام) : هم انت وشيعتك يا علي (٢).

كما ذكر هذا الحديث الكثير من علماء الاسلام لاسيما من اهل السنة مثل ابن حجر في صواعقه ومحمد الشبلنجي في نور الابصار (٣).

بناءً على شهادة هذه الروايات ، فان النبي (ﷺ) هو الذي اختار لاتباع علي (عليه السلام) ومحبيه هذه التسمية «الشيعه» ، فهل يبقى مجال للعجب في انزعاج البعض من هذا الاسم ويعتبرونه شؤماً ونحساً ، ويعدون حرف الشين الذي في مطلع سبياً «للشر» و «الشؤم» وسائر الالفاظ التي تبتدئ بحرف الشين ؟!

انّ هذه التعابير تعتبر بحق مثيرة للدهشة بالنسبة للباحث الذي يرغب في ان يسير في ظل البراهين المنطقية دائماً. والحال يمكن اختيار كلمات حسنة أو سيئة لكل حروف الهجاء بدون استثناء .

على اية حال فتاريخ ظهور الشيعة ليس بعد ارتحال النبي (ﷺ) بل في حياته (ﷺ) ، حين اطلق هذه الكلمة على محبي واتباع علي (عليه السلام) ، وكل الذين يعتقدون بالنبي (ﷺ) على انه رسول الله ، يعرفون انه لا يتكلم عن الهوى ، ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ ان هو الا وحي يوحى واذا ما قال لعلي (عليه السلام) : أنت وشيعتك المفلحون يوم القيامة فهذه حقيقة .



١ - شواهد التنزيل ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .

٢ - نفس المصدر : ص ٣٥٩ .

٣ - الصواعق : ص ٩٦ ونور الابصار ص ٧٠ و ١٠١ ، ومن اجل المزيد من الاطلاع على رواة هذا الخبر والكتب التي ذكر فيها راجعوا الجزء الثالث من احقاق الحق ، ص ٢٨٧ وما بعدها والجزء ١٤ ، ص ٢٥٨ .

لفظة « الامام » في اللغة والقرآن

إنَّ لكلمة إمام على وزن «كتاب» هي اسم مصدر كما قال أرباب اللغة . وهي تطلق على كل ما يتوجه اليه الانسان ويبتغيه ، وهذا المعنى يختلف باختلاف الموارد والاسباب والملاحظات . فتارة يقال : امام الجمعة ، وامام الجماعة ، وامام الهدى ، واخرى يقال : امام الضلالة^(١).

وقد جاءت هذه الكلمة في الاصل من مادة «أَمَّ» وتعني القصد ، يقول صاحب مقاييس اللغة : «أَمَّ» تعني الاصل والمرجع والجماعة والدين ، والامام تعني من نُؤْتَمَ به وهو امام في الافعال .

كما ذكرت معان كثيرة لكلمة امام في لسان العرب ، منها الامام ، المعلم ، والشاقول الذي يستخدم اثناء تشييد المباني لتنظيم العمل ، والسبيل ، والمقدمة ونحو ذلك .

إلا أنَّ مؤلف التحقيق ، ارتأى أنَّ اصل جميع هذه المعاني هو القصد المقترن بالاهتمام الخاص ، وحتى لو قيل للام «أَمَّاً» أو اطلقت كلمة «أَمَّ» على اصل وقاعدة كل شيء فهو لأنها غاية الانسان ومرامه ، كما تفيد كلمة الامام معنى المقتدى اي من يقصده الناس ويبدون عناية خاصة به .

ولابد من التذكير بهذه الملاحظة وهي انَّ هذه الكلمة وجمعها «أئمة» قد وردت في القرآن الكريم اثنا عشر مرة تماماً «سبع مرات بصيغة المفرد وخمس مرات بصيغة الجمع» .

ففي مورد جاءت بمعنى اللوح المحفوظ : وكل شيء «أَخَصَيْنَا فِي إِمَامٍ مُبِينٍ» (يس - ١٢) لأنه قائد ودليل الملائكة لتمييز اعمال العباد ، وكلهم يستلهمون منه ،

واستخدمت ايضاً مرة واحدة بمعنى السبيل والطريق : ﴿وَأَتَتْهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (الحجر - ٧٨) .

لأن الانسان ومن اجل بلوغ هدفه يهتم بالسبل ، وقد اطلق على التوراة بانها امام اليهود مرتين : ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ (الاحقاف - ١٢ . هود - ١٧) . وأطلقت خمس مرات على الائمة الصالحين مثل : ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة - ٢٤) ، وفي مكان آخر يقول تعالى بشأن فئة من الانبياء : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الانبياء - ٧٣) .

كما ورد هذا المفهوم العام والجامع في الآيات (٧٤ من سورة الفرقان ، و ٥ من سورة القصص ، و ٢٤ من سورة السجدة ايضاً) . و ذكرت ايضاً بمعنى ائمة الكفر والضلالة في مورد واحد : ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾ (التوبة ١٢) .

وأطلقت ايضاً في حالة واحدة على مفهوم يشمل ائمة الهدى والضلال : ﴿يَوْمَ نَذْعُو كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الاسراء - ٧١) . على اية حال ، فموارد استخدام هذه الكلمة في القرآن اثني عشر مورداً تماماً .



٤ - عظمة منزلة الامام في القرآن الكريم

ان مسألة الامامة والقيادة كما سنتطرق اليها فيما بعد ليست مسألة دينية وتشريعية فحسب ، بل ان عالم الخلق والتكوين يخضع لها ، الله هو امام عالم الوجود ومكوناته المختلفة ، وهو يهديها ويدبرها جميعاً .

كما يُعبر القرآن الكريم اهمية خاصة للامامة ويعتبرها آخر مرحلة من مسيرة تكامل الانسان ، لم يصلها الا أولوا العزم من الانبياء ، اذ يقول تعالى في الآية ١٢٤ من

سورة البقرة:

﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

هنالك جدل كثير بين المفسرين حول هذه الكلمات التي اشير اليها في مطلع الآية، وكما يقول صاحب روح المعاني: لقد ذكروا حولها ثلاثة عشر قولاً^(١).

الآن ما يبدو صحيحاً هو ان المراد من هذه الكلمات هو «الوامر والنواهي» التي تلقي التكاليف الثقيلة والصعبة على كاهل ابراهيم (عليه السلام)، ليمحص - جيداً - في الابتلاء، وهي عبارة عن التصدي الشجاع لعبدة الاوثان، وتحطيم الاصنام، والجلوس في النار، ورسوخ الخطوات في جميع هذه المراحل.

وكذلك الاستعداد للتضحية بفلذة كبده، والتوجه به الى مكان التضحية ووضع السكين على رقبتة، وكذلك عدم الانشغال بالعيال وتركهم في صحراء مكة القاحلة الرمضاء، بينما لم يكن هنالك من يقطن تلك المنطقة، واخيراً الهجرة من بلاد الوثنيين والتخلي عن الحياة من اجل اداء رسالته، وحقاً ان كلاً منها كان اختباراً قاسياً وصعباً، الا ان ابراهيم قد خرج من جميع تلك الاختبارات ظافراً وذلك بفعل قوة الايمان والثبات والصبر.

وقد احصى بعض المفسرين الموارد التي ابتلي بها ابراهيم انها بلغت ثلاثين مرة، ويقولون: ان هذه الموارد الثلاثين قد ذكرت في ثلاثة آيات من القرآن الكريم. فقد ذكرت «عشرة منها» في الآية ١٣ من سورة التوبة، و «عشرة» في الآية ٣٥ من سورة الاحزاب، وذكرت «عشرة منها» في الآيات ١ الى ٩ من سورة «المؤمنون» اذ يصبح مجموعها ثلاثين وصفاً او ثلاثين مادة امتحانية^(٢) ولكن نظراً الى ان جانباً

١ - روح المعاني: ج ١، ص ٣٣٦.

٢ - روح المعاني: ج ١، ص ٣٣٥ (وقد اضاف عليها بعض المفسرين سورة المعارج وقالوا: انها جاءت في اربع سور من القرآن).

مهماً من هذه الصفات قد تكرر ذكره وان عددها لا يصل الى الثلاثين ، فان هذا الكلام لا يحظى بالقبول نوعاً ما .

على أي حال فقد خرج ابراهيم بطل تحطيم الاصنام ، والنبي المخلص والمضحى ظافراً من جميع تلك الابتلاءات القاسية والصعبة فاستحق ارتداء جلابب الامامة ، وشرفه الله بهذا الخطاب المفعم بالفخر : ﴿أَنْتِي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ .

ما هو هذا المقام الذي ناله ابراهيم في آخر عمره بعد نبيله مقام النبوة والرسالة ، وبعد ذلك الجهاد الطويل ؟

من المسلم به انه كان أسمى وارفح منها جميعاً ، فمن اجتاز ذلك الاختبار الصعب يستحق هذه المكرمة الالهية .

لقد كان للمفسرين جدال طويل في تفسير معنى الامامة ، وحيث ان بعضهم لم يستطيعوا بلوغ اسرار المعنى السامي لهذه الكلمة ، فقد وقعوا في متاهات عجيبة . والأعجب من ذلك هو ان طائفة من مشاهير المفسرين قد فسروها بمعنى النبوة ، بينما من المسلم به ان ابراهيم (عليه السلام) كان نبياً وقتذاك ، وقد تصرّمت سنوات على نبوته ورسالته ، واصبح ذا ذرية ، وفي سياق الآية يطلب الامامة لابنائهم وذريته ايضاً .

يرى الكثير من المفسرين ان الكلمات التي ابتلى الله تعالى بها ابراهيم (عليه السلام) كانت عبارة عن مجموعة من التعاليم والأوامر التي أمره بها الله تعالى ، كمقارعة الوثنيين وبناء الكعبة وذبح ابنه ، الا انهم والحالة هذه قد فسروا الامامة بالنبوة . مع العلم ان هذه الاوامر وهذه التضحيات كانت بعد بلوغ ابراهيم (عليه السلام) مقام النبوة ، وان عبارة : ﴿أَنْتِي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ غامضة تماماً في تفسيرهم .

والمعنى الآخر الذي قالوه بصدد الامامة هو وجوب الطاعة ، ولا يخفى ان

إطاعة كل نبي واجبة ولا حاجة له إلى نيل مقام آخر^(١).

وقد ذكر البعض تفسيراً ثالثاً لها وقالوا: المراد هو الرئاسة في أمور الدين والدنيا، أو بتعبير آخر: زعامة الحكم.

إن هذا التفسير وإن كان أفضل من سابقه إلا أنه لم يدخل إلى عمق معنى الإمامة.

وحسب اعتقادنا واستناداً إلى سائر آيات القرآن التي تبحث في مجال الإمامة، فإن المقصود بالإمامة هنا أنها مقام أسمى وارفح من هذا كله. وهو تطبيق الأحكام الإلهية، وتنفيذ الحدود الإلهية، وتربية ظاهر وباطن الإنسان.

وللتوضيح أكثر إن الهدف من بعثة الأنبياء وأرسال الرسل هو هداية المجتمع البشري، وهذه الهداية تتخذ بعدين، الأولى: الهداية التي تعني «إراءة الطريق» أي ما كلف به أي نبي من الأنبياء، والثاني: «الإيصال إلى المطلوب» وهو يتفرع إلى فرعين: الأول الهداية التشريعية، وتطبيق الأحكام الدينية، سواء عن طريق إقامة الحكم وتطبيق الحدود والأحكام الإلهية والعدالة الاجتماعية، أو عن طريق تربية وتعليم النفوس بشكل عملي، وكلاهما يؤدي إلى تحقيق أهداف الأنبياء، ويحتاج إلى مخطط مرهق وصعب للغاية، وإلى مواصفات كثيرة كالعلم والتقوى والشجاعة والإدارة.

الفرع الثاني: الهداية التكوينية والإيصال إلى المطلوب من خلال التأثير والنفوذ المعنوي والروحي وتوجيه شعاع الهداية إلى أفئدة المستعدين من الناس، وهذا يتطلب من أي نبي أو إمام أن يكون حسن السيرتين، الظاهرية والباطنية وهي التي كانت للأنبياء والأئمة إزاء اتباعهم. ومن المسلم به أن مثل هذا الأمر يتطلب المزيد

١- ذكر تفسير روح البيان، والكشاف والمراغي، والقرطبي والمنار، سنن إبراهيم العشرة المعروفة، والأوامر والنواهي الإلهية، ومجموعة هذه التعليمات.

من المواصفات والمزايا والقابليات .

فمجموع هذين المخططين يحقق اهداف الدين والرسالات الالهية ، ويوصل المستعدين من البشر الى التكامل المادي والمعنوي ، الظاهري والباطني ، وهذا هو المراد من الامامة في الآية اعلاه ، ولم يستحق ابراهيم (عليه السلام) هذا المقام مالم يؤد الامتحان لنيل تلك المؤهلات والصفات .

يستفاد مما تقدم ان مقام «الامامة» يجتمع مع مقام «النبوة» في الكثير من الحالات ، كما يبلغ نبي من اولي العزم كابراهيم مقام الامامة ايضاً ، والاكثر وضوحاً من ذلك هو ان اجتماع مقام «النبوة» و «الرسالة» و «الامامة» في خاتم الانبياء (عليه السلام) متحقق فعلاً .

ويمكن ان ينفصل مقام الامامة عن مقام النبوة والرسالة ، كما في الائمة المعصومين (عليهم السلام) الذين يعلمون مسؤولية الامامة فقط ، من دون ان ينزل عليهم الوحي ويكونوا «رسلاً» أو «انبياء» على اية حال ، فمن خلال مطلع هذه الآية تتضح جيداً عظمة مقام الامامة . وان تعيين الامام من قبل الله تعالى : «قال اني جاعلك للناس اماماً» .

وذيل هذه الآية يؤكد كثيراً على هذا الموضوع ، فهو يقول : ان ابراهيم (عليه السلام) لما نصب بهذا المقام قال : «قال ومن ذريتي» .

فجاءه الخطاب قائلاً : «لا ينال عهدي الظالمين» ، أي ان النفر من ذريتك الذين لم يظلموا ، وكانوا ومعصومين ومطهرين هم المؤهلون لهذا المنصب فقط .

لاشك في ان الظلم في هذه العبارة ليس ظلم الآخرين فحسب ، بل الظلم بالمعنى الشامل الذي يقابل العدالة ، و «العدالة» بمفهومها الواسع تعني وضع الشيء في محله ، والظلم يعني وضعه في المحل الذي لا يناسبه ، لذا ينقل القرآن الكريم عن لسان لقمان حيث يقول لابنه : «يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

عَظِيمٌ» (لقمان - ١٣).

كما يتضح ان العدالة هنا تعني العدالة التامة ، أو بتعبير آخر مقام العصمة الذي يتناسب والامامة بمفهومها الشامل ، والأ فالعدالة القابلة للشرح . والامتزاج بالذنب لاتلائم مع مقام الامامة بمعناها السامي ابداً .

بناءً على ذلك يمكن الاستدلال بالآية اعلاه لاثبات عصمة الامام ايضاً بيد ان الكلام في الصفات هل يشترط بالعدالة ترك جميع اشكال الذنب مدى الحياة ، أم اثناء التصدي للامامة ؟ فالبعض واستناداً الى البحث الاصولي المشهور من ان في المشتق الحقيقي «من تلبس بالمبدأ» هو في حال النسبة - أي حينما ننسب صفة من الصفات لأحد يجب ان يمتلك تلك الصفة في حال نسبتها اليه ، فمثلاً تطلق كلمة القائم على الذي يتمتع بصفة القيام اثناء نسبة هذه الصفة اليه ، ولا تطلق على الذي كان قائماً وقد جلس الآن - يعتقد ان مفهوم الآية هو عدم تمتعه بصفة الظلم اثناء توليه الامامة ، بشرك ولا يذنب ، وليس ملوثاً بأي معصية أخرى ، وعليه فالعدالة والعصمة لا تشمل بداية الحياة .

إلا اننا نقرأ في الروايات ان ائمة اهل البيت (عليهم السلام) واتباعاً لرسول الله (ﷺ) قد استدلوا بهذه الآية على العدالة في جميع مراحل العمر: اذ ينقل عبد الله بن مسعود عن رسول الله (ﷺ) ان الله تعالى قال لابراهيم (عليه السلام): لا أعطيك عهداً للظالم من ذريتك، قال: يارب ومن الظالم من ذرتي الذي لا ينال عهدك؟ قال من سجد لصنم من دوني لا جعله اماماً ابداً ولا يصلح ان يكون اماماً^(١).

وقد نقل هذا المعنى ابن المغاري عالم اهل السنة المعروف في كتاب «المناقب» عن ابن مسعود عن النبي الاكرم (ﷺ) مع قليل من الاختلاف ، اذ يقول: قال رسول الله (ﷺ) في تفسير هذه الآية: قال الله تعالى لابراهيم (عليه السلام) ما معناه:

١ - امالي الشيخ المفيد: (مطابق لنقل تفسير البرهان المجلد ١ ص ١٥١ حديث ١٣).

«مَنْ سَجَدَ لَصْنَمٍ مِنْ دُونِي لَا أَجْعَلْهُ إِمَامًا». ثم اضاف (عليه السلام): «وانتهت الدعوة التي والى اخي علي، لم يسجد أحدنا لصنم قط»^(١).

وقد نقلت روايات اخرى عن طريق ائمة اهل البيت (عليهم السلام) في الكتب المعتمدة بهذا الصدد ايضاً، وتضم مجموعة هذه الروايات هذه النكته وهي: ان النبي ابراهيم (عليه السلام) كان اعلم واذكى من ان يسأل الله الامامة للذين كانوا مشركين او ظالمين، ولم تكن هنالك حاجة للرد عليه بان الظالمين لا تشملهم هذه الهبة، لأن الأمر واضح.

فعلى هذا الاساس، لو سأل الله شيئاً فمن المسلم به انه كان للذين كانوا ظالمين او مشركين في وقت ما ثم تابوا واصلحوا. وفي هذا المجال سمع الجواب بان عهد الامامة لا يشمل مثل هؤلاء، أي ان لا يكونوا ذوي سابقة في الظلم والشرك. يقول المفسر الشهير العلامة الطباطبائي في «الميزان»: سأل بعض اساتذتنا عن تقريب دلالة الآية على عصمة الامام، فاجاب: ان الناس بحسب القسمة العقلية على اربعة اقسام:

- ١ - من كان ظالماً في جميع عمره.
 - ٢ - من لم يكن ظالماً في جميع عمره.
 - ٣ - من هو ظالم في اول عمره دون آخره.
 - ٤ - ومن هو بالعكس.
- وان ابراهيم (عليه السلام) اجلُّ شأناً من أن يسأل الامامة للقسم الاول والرابع من ذريته، فبقي قسمان، وقد نفى الله احدهم (وهو الذي يكون ظالماً في اول عمره دون آخره، فبقي الآخر) وهو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره.. (تأملوا جيداً)^(٢).

١ - المناقب لابن المغازلي: (مطابق لنقل تفسير الميزان المجلد ١ ص ٢٧٨ في ذيل الآية).

٢ - الميزان: ج ١ ص ٢٧٤.

وقد اعترف الفخر الرازي في تفسيره بان الآية دليل على عصمة الانبياء .
واللطيف هو «انه يثبت هذا الأمر من خلال وجوب عصمة الامام وان كل نبي امام»
(تأملوا جيداً ايضاً) ^(١).

وبطبيعة الحال يستفاد من هذه الآية مطالب اخرى بشأن الامامة ووجوب
عصمة الامام ، وتنصيبه من قبل الله وغير ذلك مالا يسعه مجال البحث ، الآن .
وعلى ضوء ما مرّ تنضح عظمة وجلال الامامة في نظر القرآن الكريم ، وقد كان
غرضنا هنا بيان هذه النقطة .



٥ - فلسفة وجود الامام

بالرغم من اتضاح فلسفة وجود الامام بنحو اجمالي في البحث السابق من
خلال الاستعانة بالآيات المتعلقة بامامة ابراهيم (عليه السلام) الا ان هذا الموضوع مهم الى
الحد الذي يتطلب فتح بحث مستقل له .

وبشكل عام فان الكثير من الامور التي تذكر على انها الاهداف من بعثة الانبياء
او فلسفة وجودهم ، تصدق بحق الامام ايضاً .

لقد تطرق الخواجه نصير الدين الطوسي (رحمته الله) الى بيان فلسفة بعثة الانبياء في
فصل النبوة من كتاب تجريد الاعتقاد و اشار العلامة الكبير الحلبي في شرح ذلك
الكلام الى تسع نقاط من هذه الفلسفة اجمالاً ندرجها كما يلي ، ونضعها امام القاريء
الكريم ، وكما سنلاحظ فان الكثير منها يصدق على قضية تعيين الائمة المعصومين
ايضاً :

١ - ترسيخ المعرفة العقلية عن طريق البيان النقلي ، من هنا فان الانسان يدرك

الكثير من الحقائق سواء في الاصول أو في فروع الدين من خلال القوة العقلية ، إلا أنَّ الوسوس قد تغزو قلبه احياناً ، وهذا الاضطراب يحول دون ادائها ، أما اذا تم تأييد وترسيخ هذه الاحكام العقلية بكلام الائمة المعصومين فستزال جمع اشكال الغموض والاضطراب ، ويسعى الانسان لادائها برباطة جأش .

٢- أنَّ الانسان يحذر احياناً عن اداء الاعمال لانه يخشى ما ان يقوم بفعل من في حدود وتصرفه وسلطته خلافاً لرضا الله ، فكلام الائمة يزيل هذا الحذر والخوف .

٣- لا تجتمع اعمال الانسان في حدود «الحسن القبح العقلي» ، وما اكثر الامور التي لا يدرك عقل الانسان حسنها وقبحها ، فهنا لابد من التثبيت باذيال القادة الالهيين ، لادراك حسنها وقبحها .

٤- أنَّ بعض الاشياء مفيدٌ وبعضها الآخر مضرٌ ، ولا قدرة للانسان على ادراك منفعتها وضررها من خلال تفكيره فقط بدون ارشاد القادة الالهيين ، فهنا يشعر بالحاجة اليهم .

٥- ان الانسان موجودٌ اجتماعي ، وهو عاجز عن حل مشاكل حياته بدون التنسيق والتعاون مع الآخرين ، ومن المسلم به أنَّ المجتمع لن يستقيم ولن يبلغ الكمال المطلوب مالم يمتلك القوانين التي تحافظ على حقوق جميع الاشخاص ، وتأخذ بأيديهم نحو الصراط المستقيم ، فتشخيص هذه القوانين بشكل صائب ومن ثم تطبيقها لن يحصل الا عن طريق القادة الواعين والطاهرين والمعصومين .

٦- أنَّ الناس يتفاوتون في ادراك الكمالات وكسب العلوم والمعارف والفضائل ، فالبعض يمتلك القدرة على السير في هذا الطريق ، والآخر عاجزٌ ، فالقادة الالهيون يقومون بترسيخ الفئة الاولى ، واعانة الفئة الثانية كي تصل الفتتان الى الكمال الممكن .

٧- أنَّ النوع الانساني بحاجة الى مستلزمات وصناعات وعلوم ، ويستطيع القادة

الربانيون بإمكانهم تأمين هذه المستلزمات وذلك من خلال توجيه المجتمع نحو الحصول عليها .

٨ - ان المراتب الاخلاقية متفاوتة لدى الناس ، والسبيل الوحيد لتنمية هذه الفضائل هو سبيل القادة الالهيين الطاهرين والمعصومين .

٩ - انّ الائمة مطلعون على الثواب والعقاب والاجر والجزاء ازاء الطاعة والمعصية ، وعندما يُعلّمون الآخرين هذه الامور فهم يخلقون لديهم حافزاً قوياً لاداء الواجبات^(١) .

ونظراً الى انّ الائمة ليسوا سوى استمرار لخط النبوة ، فان اغلب هذه الفلسفات يثبت بواسطة الائمة المعصومين (عليه السلام) ايضاً .

وفي القرآن الكريم تتلخص هذه الامور بل وحتى اكثر منها في ثلاثة مواضيع وهي :

«التعليم» و «التربية» و «القيام بالقسط» التي اشير اليها في آيات عديدة ، فيقول تعالى بشأن الفلسفة من بعثة النبي (ﷺ) ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة - ٢) .

فقد تمت الاشارة هنا الى مسألة «التعليم» و «التربية» التي هي اهم اهداف الانبياء والائمة المعصومين (عليه السلام) .

وفي مكان آخر يقول تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد - ٢٥) .

وقد اشير هنالى العدالة الاجتماعية والقيام بالقسط الذي يوفر الارضية - «التعليم» و «التربية» - الصحيحة .

نعم فالزعماء العاديون في العالم يفكرون :

اولاً: بصيانة مكانتهم ومصالحهم الشخصية او الحزبية ، لهذا فهم طالما يضحون بمصالح المجتمعات البشرية من اجل مصالحهم الخاصة ، فالقادة الطاهرون والمعصومون واتباعهم فقط الذين يستطيعون المحافظة على حقوق الانسان والمصالح العامة للمجتمع الانساني كما ينبغي .

ثانياً: هَب ان الزعماء غير الربانيين يريدون تطبيق العدالة وقيادة المجتمعات البشرية نحو الكمال المطلوب ، فانّ تشخيص هذه الامور في الكثير من الحالات غير ممكن بالنسبة لهم ، فهم يستطيعون في هذه الحالة ان يشخصوا الامور ولكنّ تشخيصهم ناقص وغير دقيق .

وهذا الامر - التشخيص الدقيق - ممكن فقط بالنسبة للقادة الربانيين الذين يعتمدون على البحر اللامتناهي من العلم الالهي .

وقد اثبتت تجربة السبعين سنة من الحكم الشيوعي على نصف سكان الكرة الارضية هذه الحقيقة بوضوح فلقد كرسوا اوسع واعظم جهاز اعلامي لترسيخ دعائم الماركسية ، وقدموا الملايين من الكتب والكراسات والمقالات والخطب على هذا الصعيد ، وزعموا بان الشيوعية هي الطريق الوحيد لحل مشاكل المجتمع البشري وتأمين العدالة الاجتماعية ، وتكامل النوع البشري ، وافضل وسيلة للتفسير الصحيح للتاريخ والعلوم الاجتماعية ، وقمعوا المعارضين لهم بشتى الاساليب ، لكننا رأينا انها لم تجلب سوى التعاسة والتخلف والديكتاتورية ، وفي خاتمة المطاف اضطروا مفكرهم الى الاعتراف بانّ ما كانوا يتصورونه الطريق الحقيقي للسعادة لم يكن الا انحطاطاً وتخلفاً للمجتمع الانساني !

ربما لم يشهد التاريخ نظيراً لهذه القضية ، اذ تدافع طائفة كبيرة من المفكرين والعلماء واساتذة الجامعات عن عقيدة ما وفي النهاية يتضح أنّ ما كانوا يؤمنون به

فارغ من المحتوى.

فما الضمان لعدم حدوث مثل هذه الحالة في المستقبل ، وعدم تلوث عقائد المجتمع الانساني بهذه الافكار المضلّة ؟

هنا تبرز ضرورة الانتفاع من افكار الانبياء والائمة المعصومين (عليهم السلام) المصانين من الزلل والخطأ من قبل الله تعالى .

وخلاصة الكلام هي ان الاله الذي خلق النوع الانساني وأمره بالسير في طريق الكمال والسعادة ، وأرسل الانبياء المعصومين الذين يتلقون الأوامر الالهية بواسطة الوحي ، من اجل «اراءة الطريق» و «الايصال الى المطلوب» ، فلا بد أن يجعل ائمة معصومين لخلافة الانبياء بعد رحيلهم من اجل استمرار هذا الطريق ، وليعينوا المجتمع البشري في اراءة الطريق والايصال الى المطلوب ، ومن المسلم به أن هذا الهدف سيبقى ناقصاً بدونهم للأسباب التالية :

اولاً: من المتيقن ان العقول البشرية لا تستطيع تشخيص جميع عوامل واسباب التقدم والرقي وحدها ، وقد لا تشخص عُشر ذلك .

ثانياً : ربّما يتعرض دين الانبياء بعد ارتحالهم لانواع التحريف ، فلا بد من الحراس المعصومين والربانيين ليحافظوا عليه ويحولوا بين تحريف المبطلين وبين بلوغ مآربهم ، وآراء الجهلة وتفسيرات اصحاب الاهواء والمآرب .

وهذا نفس ماورد في الحديث المعروف في اصول الكافي عن الامام الصادق (عليه السلام) حيث يقول : «انّ فينا أهل البيت في كل خلف عدو لا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين»^(١).

وكذلك ما اشار اليه الامام علي (عليه السلام) في احدى كلماته القيمة ، اذ يقول : «اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً ، وإما خائفاً مغموراً لئلا تبطل

١ - اصول الكافي: ج ١، ص ٣٢، (باب صفة العلم، الحديث ٢).

حجج الله وبياناته»^(١).

ثالثاً: من المتعذر اقامة الحكومة الالهية التي توصل الانسان الى الغاية التي خلق من اجلها، إلا عن طريق المعصومين، لأن الحكومات البشرية - ووفقاً لشهادة التاريخ - كانت غالباً ما تسير في خط المصالح الشخصية، أو الفتوية، وأن جميع مساعيها كانت في هذا الاتجاه، وكما جربنا مراراً وتكراراً ان شعارات «الديمقراطية» و«حكم الشعب للشعب» و«حقوق الانسان»، وما شابه ذلك ماهي إلا قناع للوصول الى اهدافهم الشيطانية عن طريق اسهل. فقد فرضوا اغراضهم على الشعوب بشكل خفي ومن خلال استغلال هذا المنطق وهذه الادوات.

ان هذه الاصول الثلاثة اي «اراءة الطريق» الذي يعجز العقل عن تشخيصه، و«المحافظة على موارث الانبياء» و«اقامة حكومة العدل»، تمثل بالواقع الاسس الحقيقية لفلسفة وجود الامام المعصوم.



ونختتم هذا الحديث بكلام للامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) حيث يعتبر من اكثر الكلمات شمولية فيما يتعلق بفلسفة الامامة، وحديث من نهج البلاغة لامير المؤمنين (عليه السلام):

الحديث الاول الذي تحدث به (عليه السلام) يوم الجمعة في المسجد الجامع في مدينة (مرو) بحضور حشد من الناس، يتناول مسائل كثيرة، نشير هنا الى جانب منه، قال (عليه السلام):

«ان الامامة هي منزلة الانبياء، وارث الاوصياء، ان الامامة خلافة الله وخلافة الرسول ... الامام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في

غياهب الدجى، ... الامام الماء العذب على الظماء والదال على الهدى والمنجى من الردى، ... الامام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة ... الامام امين الله في خلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده ... نظام الدين، وعز المسلمين، وغيضُ المنافقين، ويوار الكافرين»^(١).

وفي عبارة قصيرة يصور امير المؤمنين (عليه السلام) روح الامامة، فيقول:
«مكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز، يجمعه ويضمه، فاذا انقطع النظام تفرق الخرز والذهب ثم لم يجتمع بحذايره أبداً»^(٢).

١- اصول الكافي: ج ١، ص ٢٠٠ (باب نادر جامع في فضل الامام).

٢- نهج البلاغة: الخطبة ٤٦.

الولاية والامامة العامة في القرآن الكريم

تمهيد :

هنالك بحثان مستقلان في موضوع الولاية وهما :

- ١ - «الولاية العامة» أي لابد من وجود امام بين الناس منصّب من قبل الله ، دائماً وفي كل عصر، سواء كان يتمتع بمقام النبوة والرسالة ، أو بمقام الولاية فقط .
- ٢ - «الولاية والامامة الخاصة» أي من الذي يتصدى لهذا المنصب والمقام

الالهي بعد النبي (ﷺ) ؟

وبتعبير آخر : كما ان النبوة تتفرع الى «نبوة خاصة» و«نبوة عامة» ، فكذلك الامامة .

وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير الى الولاية العامة ندرجه فيما يلي :

- ١ - «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» . (الرعد - ٧) .
- ٢ - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» . (التوبة - ١١٩) .
- ٣ - «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» . (النساء - ٥٩) .



آية الانذار والهداية

ففي الآية الاولى يخاطب الله تعالى النبي (ﷺ): «انما انت منذرٌ ولكل قوم هادٍ».

ينقل الفخر الرازي ثلاثة اقوال في تفسير هذه الآية:

الاول: ان «المنذر» و «الهادي» شيء واحد، وعليه يكون مفهوم الآية كما يلي: «انما انت منذرٌ وهادٍ لكل قوم».

الثاني: المنذر هو النبي (ﷺ) والهادي هو الله تعالى:

الثالث: المنذر هو النبي (ﷺ) والهادي هو علي (عليه السلام)، اذ يقول ابن عباس: ان النبي قد وضع يده على صدره وقال: انا المنذر ثم اوما الى منكب علي (عليه السلام) وقال: «انت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي»^(١).

وقد نقلت مجموعة اخرى من المفسرين هذه التفاسير الثلاثة، فيما اصر بعض مفسري اهل السنة على ان تفسير الآية أحد التفسيرين الاولين، لأن التفسير الثالث لا يتناسب ونمط تفكيرهم المليء بالتعصب.

بينما لا يتناسب التفسير الاول مع ظاهر الآية، فلو كان مقرراً ان يكون الوصفان لرسول الله (ﷺ) لقال: انما انت منذرٌ وهادٍ لكل قوم، وبتعبير آخر لا ينبغي تقديم «لكل قوم» وهو جار ومجرور على «هادٍ». واذا ما تقدم فيجب ان يتقدم على الوصفين فيقال: انما انت لكل قوم منذرٌ وهادٍ، وخلاصة القول: انه لا يبدو هنالك مبرر لتقديم لكل قوم على وصف وتأخيرته عن الآخر، أو لابد من تقديمه عليها أو تأخيرته عنها (تأملوا جيداً).

والتفسير الثاني غير مألوف ولا مناسب، لان كون الله هادياً فلاشك فيه حتى

يحتاج الى بيان، اصف الى ان ظاهر العبارة هو ان لكل عصر وزمان هادي خاص .
والحال ان الله واحدٌ أحد ، فهذه الوجدانية لا تنسجم والتعددية التي تستفاد من
عبارة لكل قوم هادي .

بناءً على ذلك فالتفسير الوحيد الذي يحظى بالقبول هو : ان النبي (ﷺ) منذرٌ
ولكل قوم في كل عصر ودهرٍ «هادي» .

فهل هذا الهادي اشارة الى علماء كل قوم وكل زمان ؟
الاجابة على هذا السؤال سلبية ايضاً ، فهناك علماء عديدون في كل عصر
ودهرٍ وليس هادي واحد ، فكما كان النبي (ﷺ) واحداً فهادي المسلمين واحدٌ في
كل عصر وزمان .

وبتعبير آخر ، ان النبي (ﷺ) مؤسس الدين عن طريق الانذار ، والامام يواصل
طريقه من خلال الهداية .

إن هذه النكات تستفاد من الآية نفسها . ولو بحثنا عن الروايات المنقولة عن
طريق اهل السنة والشيعة بهذا الصدد لاتضحت المسألة اكثر .

ففي تفسير الدر المنثور وهو من تفاسير اهل السنة المعروفة «تأليف جلال الدين
السيوطي» المتوفى عام ٩١٠ هـ ق ، والقائم على اساس تفسير الآيات والروايات
ينقل روايات عديدة في تفسير هذه الآية عن النبي (ﷺ) :

١ - يروي عن ابن جرير وابن مردويه وابو نعيم والديلمي وابن عساكر وابن
النجار: لما نزلت «انما انت منذرٌ ولكل قوم هادي» وضع رسول الله (ﷺ) يده على
صدره فقال : أنا المنذر ، وأوماً بيده الى منكب علي (عليه السلام) فقال : انت الهادي يا
علي ، بك يهتدي المهتدون من بعدي ^(١) .

٢ - يقول ابو برزة الاسلمي : سمعت من النبي (ﷺ) بشأن هذه الآية^(١) وقد وضع يده على صدره وقال : انما انت منذرٌ، ووضع يده على صدر علي (عليه السلام) وقال : لكل قوم هاد.

٣ - وفي الكتاب نفسه ينقل عن «عبد الله بن احمد» و «ابن ابي حاتم» و «الطبراني» و «الحاكم» و «ابن مردويه» و «ابن عساكر» عن علي (عليه السلام) في تفسير الآية : «انما انت منذر ولكل قوم هاد» قال : رسول الله المنذر، وانا الهادي^(٢).

٤ - ونقرأ في رواية اخرى عن ابن عباس ، ان النبي (ﷺ) قال : انا المنذر وعلي الهادي ، وبك يا علي يهتدي المهتدون.

وقد اورد هذا الحديث طائفة من مشاهير حفاظ اهل السنة منهم : «الحاكم» في «المستدرک» و «الذهبي» في «التلخيص» و «الفخر الرازي» و «ابن كثير» في «تفسيريهما» ، و «ابن الصباغ المالكي» في «الفصول المهمة» و «الكليني الشافعي» في «كفاية الطالب» و «العلامة الطبري» في «تفسيره» و «ابن حبان الاندلسي» في «البحر المحيط» و «النيشابوري» في «تفسيره» ، و «الحموي» في «فرائد السمطين» وطائفة اخرى في كتبهم التفسيرية^(٣).

٥ - يقول «مير غياث الدين» مؤلف كتاب «حبيب السير» : قد ثبت بطرق متعددة انه لما نزل قوله تعالى : «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» ، قال (ﷺ) لعلي (عليه السلام) : انا المنذر وانت الهادي ، بك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي^(٤).

٦ - وقد نقل الحموي هذا الحديث ايضاً عن أبي هريرة عن علي (عليه السلام)^(٥).

٧ - ونقل هذا الحديث في «مستدرک الحاكم» عن «أبي بريدة الاسلمي» بشكل

٢ - المصدر السابق.

٣ - للاطلاع على هذا الحديث ووثائقه راجعوا كتاب احقاق الحق : ج ٣، ص ٨٨ - ٩٩.

٤ - حبيب السير : ج ٢، ص ١٢.

٥ - احقاق الحق : ج ٣، ص ٩٢.

واسع فقال : دعا رسول الله (ﷺ) بالطهور وعنده علي بن ابي طالب فأخذ رسول الله (ﷺ) بيد علي بعد ما تطهر فألصقها ب صدره ثم قال : «أنا انت منذر» ويعني نفسه . ثم ردها الى صدر علي ثم قال : «ولكل قوم هاد» ، ثم قال له : « أنت منار الانام وغاية الهدى ، وأمير القراء ، اشهد على ذلك انك كذلك »^(١).

وليس من المستبعد أن يكون النبي (ﷺ) قد بين هذا الكلام في حالات متعددة وباشكال مختلفة ، والتعابير المختلفة للاحاديث اعلاه تشهد على هذا الأمر.

كما وردت في مصادر اتباع اهل البيت (عليهم السلام) روايات متعددة في هذا المجال ، ولا مجال لذكرها جميعاً ، بل نكتفي بالاشارة الى بعضها . فقد ورد في تفسير نور الثقلين^(٢) ما يربو على خمسة عشر حديثاً منها ما روي عن الامام الباقر (عليه السلام) والامام الصادق (عليه السلام) أنهما قالا : كل إمام هاد كل قوم في زمانه ، وفي تعبير آخر : كل امام هاد للقرن الذي هو فيه^(٣).

والعجيب أن بعض المفسرين قد تناسوا جميع هذه الاحاديث ، وذكروا معاني اخرى للآية اعلاه ، مستندين الى أقوال بعض الصحابة التي لم ترو عن النبي (ﷺ) ، منها التفسير الذي نُقل عن مجاهد حيث يقول : المراد من «المنذر» محمد (ﷺ) والمراد من «لكل قوم هاد» «أن لكل قوم نبياً يدعوهم الى الله»! وهذا تفسير بعيد كما يبدو.

وروي تفسير آخر عن سعيد بن جببر حيث يقول : المنذر محمد (ﷺ) والهادي هو الله! بينما ظاهر الآية هو ان هادي كل قوم يختلف عن هاد الآخرين ، علماً أن الله الواحد هاد جميع الاقوام ، ولا يتناسب مع مثل هذه التفاسير.

١ - تفسير الميزان : ج ١١ ، ص ٣٢٧ ذيل الآية اعلاه .

٢ - نور الثقلين : ج ٢ ، ص ٤٨٢ - ٤٨٥ .

٣ - نفس المصدر : ج ١٩ و ٢٠ ، ص ٤٨٣ .

فهل من المناسب ترك الروايات المتواترة عن رسول الله (ﷺ) ويذهب وراء هذه التفاسير الخاطئة حرصاً على أن لا يمتلك الشيعة مستمسكاً ؟



آية الصادقين

وفي الآية الثانية خاطب تعالى المؤمنين داعياً إياهم إلى التقوى ، وبعدها أمرهم بأن يكونوا مع الصادقين «دائماً» «لئلا ينحرفوا» : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ .

فمن هم الصادقون هنا ؟ ثمة تفاسير مختلفة ايضاً :

فقد احتمل البعض أن المراد من «الصادقين» هو شخص النبي (ﷺ) ، وهذه الآية منحصرة بزمانه ، ولا يخفى أن خطاب هذه الآية كسائر خطابات القرآن عامة ، وتشمل كل المؤمنين في كل عصرٍ ومصرٍ .

وقال آخرون : ان «مَعَ» تعني «مِنْ» ، أي كونوا من الصادقين ! في الوقت الذي لا توجد اي ضرورة لمثل هذه التأويلات والتبريرات ، بل ليس من المعتاد ابداً في الادب العربي وكلام الادباء استخدام «مع» بمعنى «من» .

فطبقاً لظاهر الآية فإن جميع المسلمين مكلفون أن يكونوا في خط الصادقين ومعهم في كل زمن وعصر .

من هنا يُعرف بان ثمة صادق أو صادقين في كل عصر يتحتم على الناس ان يكونوا معهم في طريق التقوى والزهد .

ومن اجل فهم معنى الصادقين ، من الافضل ان نعود الى القرآن نفسه لنرى ماذا يذكر من صفات للصادقين ، ففي مكان يقول : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُم

الصَّادِقُونَ ﴿الحجرات - ١٥﴾ .

ففي هذه الآية وصف تعالى الصدق بانه فرع أو شعبة من «الايمان» و «العمل النزيه» عن كل اشكال الشك والريب والتردد .

وفي الآية ٧٧ من سورة البقرة بعد أن ذكر تعالى ان حقيقة الايمان تكمن في الايمان بالله ، واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتب السماوية ، والانبياء ، وكذا الانفاق في سبيل الله ، وفي سبيل تحرير المستضعفين والمحرومين من رقة الظالمين ، وكذلك اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والوفاء بالعهد ، والصبر والاستقامة ازاء المشاكل واثناء الجهاد ، يضيف : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ .

بناءً على ذلك فقد ذكر ان السمة المميزة للصادقين هي : الايمان التام بجميع المقدسات ، واطاعة اوامر الله على جميع الاصعدة ، لاسيما الصلاة وايتاء الزكاة والانفاق والاستقامة في الجهاد ، وفي مواجهة المشاكل ، وقد جاء نظير هذا المعنى في الآية ٨ من سورة الحشر ايضاً .

من مجموع هذه الآيات وكذلك من اطلاق الآية مورد البحث التي تأمر باتباع الصادقين بدون قيد أو شرط ، نستنتج ان المسلمين مكلفون باتباع الذين يتمتعون باعلى مراحل الايمان والتقوى ، واسمى المستويات من ناحية العلم والعمل والاستقامة والجهاد «تأملوا جيداً» فالآية لا تقول : كونوا من الصادقين ، بل تقول : كونوا معهم بينما انها تقول : كونوا من الزاهدين وهذا يبرهن على ان المراد مرتبة اسمى من المراتب التي يصلها الناس ، واجلى مصداق لهذا المعنى هم المعصومون ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ان الأمر باتباع الصادقين بشكل مطلق ، وعدم الانفصال عنهم بدون قيد أو شرط ، دليل آخر على عصمتهم ، لأنّ الاتباع بلا قيد أو شرط لا معنى له الا فيما يتعلق بالمعصومين (تأملوا جيداً) .

ونظراً لوضوح محتوى الآية لم يستطع الفخر الرازي انكار دلالتها على وجود

المعصوم في زمان ومكان ، إلا أنه ولعدم ايمانه بعقائد اتباع اهل البيت (عليه السلام) يتحدث عن عصمة جميع الأمة ، او بتعبير آخر «اجماع الأمة» ، بينما نرى ان القضايا التي تحظى باجماع الأمة محدودة للغاية ، والحال ان اتباع الصادقين تكليف عام وفي كل الاحوال والشؤون (تأملوا جيداً) .

وكذلك لم يفهم اي ناطق بالعربية اثناء نزول هذه الآية من أن كلمة «الصادقين» تعني مجموع الامة ، فكيف يمكن حملها على هذا المعنى ؟ أليس من الافضل الاقرار بوجود صادق في كل عصر وزمان ليس في سيرته السهو والخطأ ويجب علينا اتباعه ؟

سؤال : وهنا يثار سؤال وهو : ان «الصادقين» ذكرت بصيغة الجمع وعليه فلا بد من وجود عدة معصومين في كل زمان ، فكيف يتلائم هذا وعقائد اتباع مذهب اهل البيت (عليه السلام) ؟

ان الجواب على هذا السؤال من خلال الاستناد الى نقطة ، وهي : ان هذا الجمع ربما يكون اشارة الى مجموع الازمنة ، لأن «الصادقين» وعلى مدى مجموع الازمنة يمثلون مجموعة ، تماماً كما يقال بأنه يتحتم على الناس اتباع الانبياء في كل زمان ، فليس مفهوم هذا الكلام هو وجود انبياء متعددين في كل زمان ، بل المقصود هو : أن على كل قوم اتباع نبي زمانهم ، أو يقال : على الناس ان يعرفوا تكاليفهم من العلماء والمراجع ، أي : على كل شخص اتباع عالم ومرجع زمانه .

والشاهد على هذا الأمر هو عدم وجود شخص مفترض الطاعة في عهد رسول الله (ﷺ) غيره ، في الوقت الذي تشمل الآية اعلاه زمانه ايضاً بكل تأكيد . من هنا يتضح ان المراد ليس الجمع في زمان واحد ، بل في عدة ازمنة ، وهذا الكلام هو بمثابة تحليل لهذه الآية .



وأما من ناحية الروايات ، فإن الكثير من مفسري ومحدثي اهل السّنة نقلوا عن ابن عباس قوله : ان هذه الآية بحق علي بن ابي طالب (عليه السلام) .

منهم «العلامة الثعلبي» في تفسيره ، فقد روى : ان ابن عباس قال في تفسير هذه الآية : «مع الصادقين يعني مع علي بن ابي طالب واصحابه»^(١) .

كما ينقل «العلامة الكنجي» في «كفاية الطالب» ، و «العلامة سبط بن الجوزي» في «التذكرة» عن طائفة من العلماء مايلي : «قال علماء السير معناه كونوا مع علي (عليه السلام) وأهل بيته ، قال ابن عباس : علي (عليه السلام) سيد الصادقين»^(٢) .

وجرى التأكيد على هذا المعنى ايضاً في الروايات العديدة التي وصلتنا عن اهل البيت (عليهم السلام) ، منها الرواية التي نقرأها عن جابر بن عبد الله الانصاري عن الامام الباقر (عليه السلام) انه قال في تفسير آية «وكونوا مع الصادقين» ، يعني «محمد وآل محمد»^(٣) .

ونقرأ في رواية أخرى ، ان «بريد بن معاوية» روى عن الامام الباقر (عليه السلام) في تفسير هذه الآية انه قال : إيانا عنى^(٤) .

وفي تفسير البرهان ينقل عن كتاب نهج البيان : روى انّ النبي (صلى الله عليه وآله) سُئل عن الصادقين فقال : «هم علي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهم الطاهرون الى يوم القيامة»^(٥) .

ومن البديهي انّ جميع هذه الروايات انما هي في الواقع بيان للمصداق ، ولا تتعارض مع المفهوم العام للآية ، لأنها تشمل شخص النبي (صلى الله عليه وآله) بالمرتبة الاولى ،

١ - احقاق الحق : ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

٢ - نفس المصدر .

٣ - نور الثقلين : ج ٢ ، ص ٢٨٠ ، الحديث ٣٩٢ و ٣٩٣ .

٤ - نور الثقلين : ج ٢ ، ص ٢٨٠ ، الحديث ٣٩٢ و ٣٩٣ .

٥ - تفسير البرهان : ج ٢ ، ص ١٧٠ .

ومن ثم الائمة المعصومين (عليه السلام) في كل عصر ودهر .
من هنا فإن الآية اعلاه تثبت «الولاية العامة» وكذلك «الولاية الخاصة» .



آية اولي الأمر

والحديث في الآية الثالثة عن وجوب اطاعة الله ورسوله واولي الأمر، يقول تعالى: «**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**» . فوجوب اطاعة الله ورسوله (ﷺ) واضح ومعلوم، أمّا من هم المقصودون في «اولي الأمر» الذين اعتبرت اطاعتهم بموازاة اطاعة الله ورسوله (ﷺ)، فهناك جدل بين المفسرين . يتفق علماء الشيعة واتباع مذهب اهل البيت (عليه السلام) ان المراد من «اولي الأمر» هم الائمة المعصومون الذين هم قادة المجتمع معنوياً ومادياً في كافة شؤون الحياة، ولا تشمل غيرهم، لان الطاعة - بلا قيد أو شرط - الواردة في الآية الكريمة والتي اعتبرت موازية لطاعة الله ورسوله (ﷺ) لا يمكن تصورها إلا بحق الائمة المعصومين، وأما الآخرون الذين تجب طاعتهم فانها محدودة بحدود ومقيدة بقيود، ولا وجود للطاعة المطلقة بشأنهم ابدأ، وهذا الأمر واضح .

هذا في الوقت الذي يختلف فيه مفسرو وعلماء اهل السنة كثيراً في معنى اولي الأمر . فمنهم من فسرها بمعنى «الصحابة»، ومنهم بـ «قادة الجيش»، وبعضهم فسرها بـ «الخلفاء الاربعة» .

وهم لم يقدموا أي دليل واضح لهذه التفاسير الثلاثة .

واعتبرت طائفة اخرى «اولي الأمر» بمعنى العلماء، مستندين الى الآية ٨٣ من سورة النساء: «**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**» .

ولكن نظراً الى ان الآية التي هي محل بحثنا تبحث الطاعة بلا قيد أو شرط ، والآية ٨٣ من سورة النساء تتعلق بالسؤال والتحقيق فانها توضح أمرين مختلفين ، ولا يمكن اعتبار كلا الأمرين بمعنى واحد ، فالتحقيق من العالم أمر ، والطاعة بلا قيد أو شرط أمر آخر ، فلا يتصور الثاني إلا بصدد المعصومين ، أما الاول فله مفهوم أوسع .

وقد اعطى بعض مفسري اهل السنة احتمالاً خامساً وهو : ان المراد من اولي الأمر هو ممثلو طبقات الناس ، والحكام ، والزعماء ، والعلماء ، وذوو المناصب في جميع شؤون الحياة .

ويتعبير آخر : المقصود هم اهل الحل والعقد الذين حيثما اتفقوا على شيء تجب طاعتهم بلا قيد أو شرط «على شرط أن يكونوا منا، حيث ذكرت منكم كشرط في الآية الكريمة، ولا يخالفون سنة الرسول الاكرم (ﷺ)، ولا يتعرضون للاجبار في مباحثاتهم، وان يتمتعون باتفاق الآراء، وتلك المسألة من المسائل» .

فهذه المجموعة واجبة الطاعة في المسائل التي لم يصلنا فيها نص ، ويمكن القول : انهم معصومون ، لذا ورد الأمر باطاعتهم بلا قيد أو شرط ^(١) .

من هنا فالموما اليه يعتبر اولي الأمر مجموعة من العلماء واهل الحل والعقد الذين تتوفر فيهم الشروط الخمسة التالية :

١ - الاسلام ، ٢ - عدم مخالفة السنة ، ٣ - غير مجبور في ابداء الرأي ، ٤ - ابداء الرأي فيما لا نص فيه ، ٥ - التمتع باتفاق الآراء ، ويعد مثل هذه الجماعة معصومة .

فهل ياترى هذا هو المقصود من «اولي الأمر» في الآية الكريمة ؟ وهل ان اهل العرف واصحاب رسول الله (ﷺ) كانوا يستفيدون هذا المعنى حيث سماعها ؟ أم ان هذا المعنى قد فرض على الآية بتكلف وعناء لئلا تنساق الآية الى الائمة

المعصومين (عليه السلام) الذين يعتقد بهم الشيعة ؟

ويظهر ان كلام «المنار» مشتق من كلام «الفخر الرازي» حيث يقول :
واعلم ان قوله «اولي الامر منكم» يدل عندنا على ان اجماع الأمة حجة والدليل
على ذلك ان الله تعالى أمر بطاعة اولي الامر على سبيل الجزم ، وفي هذه الاية ومن
أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابد وان يكون معصوماً عن الخطأ ، اذ لو لم
يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير اقدمه على الخطأ ، والخطأ لكونه منهي عنه ،
فهذا يفضي الى اجتماع الامر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد ، وانه محال ،
فثبت ان الله تعالى أمر بطاعة أولي الامر على سبيل الحرم وثبت ان كل من امر الله
تعالى بطاعته على سبيل الجزم وجب ان يكون معصوماً عن الخطأ . فثبت قطعاً ان
اولي الامر المذكور في هذه الاية لابد وان يكون معصوماً .

ثم يضيف : ذلك المعصوم إما مجموع الامة أو بعض الامة ، لاجاز ان يكون
بعض الامة ، لاننا بينا ان الله تعالى اوجب طاعة اولي الامر في هذه الاية قطعاً ،
وايجاب طاعتهم قطعاً مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول اليهم
والاستفادة منهم ، ونحن نعلم بالضرورة انا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام
المعصوم ، عاجزون عن الوصول اليهم ، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم ،
واذا كان الامر كذلك علمنا ان المعصوم الذي امر الله المؤمنين بطاعته ليس بعضاً من
أبغاض الامة ولا طائفة من طوائفهم . وذلك يوجب القطع بأن اجماع الامة حجة ^(١) .
ان ما وضع الفخر الرازي وصاحب المنار وامثالهم في الزاوية الحرجة وجعلهم
يفسرون هذه الآية بهذا التفسير الذي من المسلم باناً أياً من اصحاب رسول
الله (ﷺ) لم يكن يفهمه حين نزول الآية ، هو التعيين المسبق الذي يحول دون
البحث عن مفهوم الآية في ائمة أهل البيت (عليهم السلام) المعصومين فمن ناحية ان دلالة

الاية على عصمة أولي الأمر جليّة.

ولم يكن في نيتهم التسليم لشخص كأمام معصوم من ناحية اخرى ، لذا فهم يبحثون عن تفسير لم يفهمه اصحاب رسول الله (ﷺ) اثناء نزول الآية .

والاعجب من جميع التفاسير هو التفسير الذي ينتخبه بعض مفسري أهل السنة ، ويقولون : ان المراد من اولي الامر الحكام والامراء والملوك ويجب اتباع أي حاكم يتسلط على المسلمين ، عادلاً كان أم ظالماً ، سالكاً جادة الصواب أم منحرفاً ، يأمر باطاعة الله أم بمعصيته ، كما يقول في تفسير المنار في اشارة غامضة : «وبعضهم اطلق في الاحكام فاجبوا طاعة كل حاكم»^(١).

والاعجب من ذلك ايضاً ، الروايات المشكوكة والموضوعة التي نسبت لرسول الله (ﷺ) لاثبات تفسير هذه الآية ، كالذي قاله رسول الله (ﷺ) في جوابه لجابر الجعفي حين قال : يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا امراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟

قال (ﷺ) : اسمعوا واطيعوا^(٢).

وفي حديث آخر في الكتاب نفسه ، روي عن ابي ذر انه قال :

ان خليلي اوصاني أن اسمع واطيع وان كان عبداً مجدعاً الاطراف^(٣).

وقد فسر البعض مجدع الاطراف بمعنى من ولد في بيت غير طاهر وملوث . ومن المسلم به ان الساحة المقدسة للنبي (ﷺ) اظهر من ان يأمر خلافاً لمنطق العقل والشرع في الوقت الذي يروى عنه انه قال : «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» واجلّ دليل على ابتداء مثل هذه الاحاديث هو ان اباذر الذي روي عنه الحديث لم يفعل هكذا بشهادة تاريخه ، حتى انه قد ضحى بنفسه بسبب اعتراضه

١ - تفسير المنار: ج ٥ ، ص ١٨١ .

٢ - صحيح مسلم: ج ٣ ، كتاب الامارة ، باب طاعة الامراء وان منعوا الحقوق ، ص ٤٧٤ .

٣ - نفس المصدر: ص ١٤٦٧ .

على انحراف امراء وحكام عصره ! على أية حال ، من الواضح ان النبي (ﷺ) اسمى من هذه الاقاويل ، فليس من انسان عاقل ينطق بهذا الكلام ويقول : انّ الحاكم واجب الطاعة في كل مايقول به ، لا سيما وان هذا الحديث : «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» مشهور بين علماء المسلمين سواء الشيعة أو السنة^(١) .
ولا طاعة لبشر في معصية الله^(٢) .

من هنا نستنتج انّ أصح تفسير للآية هو اطاعة الائمة المعصومين (عليهم السلام) .
ويبقى لدينا سؤالان الان لابد من التطرق اليهما :

١ - اذا كان معنى «أولي الأمر» هو الامام المعصوم ، فهل يتناسب مع كلمة «أولي» التي تفيد الجمع ؟ فباعتماد الشيعة انّ الامام المعصوم واحد لاكثر في كلّ عصر .

وقد اتضح الجواب على هذا السؤال من البحوث الآتية ، فصحيح انّ الامام المعصوم واحد في كل زمن ، ولكن بالنظر لعمومية الآية بالنسبة لكافة الازمنة ، فان الائمة المعصومين بمجموعهم يشكلون مجموعةً ، ونظير هذا المعنى كثير في كلمات العرب ، فمثلاً نقول : السلام عليكم وعلى ارواحكم واجسادكم . فلا يمكن الاعتراض على هذا السلام فكل انسان لا يمتلك اكثر من روح وجسم ، فلماذا ذكرت الارواح والاجساد هنا بصيغة الجمع ؟ الجواب ان هذا الجمع ناظرٌ للمجموع .

من هنا فبالرغم من ان النبي (ﷺ) له وصي في كل زمان لكنهم يتعددون في مجموع الازمنة ، فيتحتم استخدام صيغة الجمع لهم .

٢ - والسؤال الآخر هو : ان الامام المعصوم لم يكن موجوداً في عهد

النبي (ﷺ) فكيف يؤمر بطاعته ؟

١ - نهج البلاغة : قصار الكلمات ، العبارة ١٦٥ .

٢ - الدر المنثور : ج ٢ ، ص ١٧٧ .

والاجابة على هذا السؤال هو ما قيل اعلاه وهو: لو كانت الآية ناظرة الى زمان النبي (ﷺ) فقط لورد مثل هذا المأخذ، أما وانها تعتبر حكماً عاماً لجميع المسلمين حتى يوم القيامة فلا يرد ذلك المأخذ، ففي عهد رسول الله كان هو الامام (ﷺ) وفي سائر العصور كان الائمة المعصومون (عليهم السلام)، فليس مفهوم الكلام «يجب على المسلمين اطاعة النبي واوصيائه» هو وجوب وجود اوصيائه في عهده. ونختتم هذا الكلام باشارة سريعة الى الروايات الواردة في كتب الشيعة والسنة في ذيل هذه الآية والتي تفسرها بعلي (عليه السلام) وسائر الائمة المعصومين (عليهم السلام):

ينقل الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في كتاب ينابيع المودة، عن تفسير «مجاهد» ان آية «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم» نزلت في علي (عليه السلام) اثناء ما خلفه رسول الله (ﷺ) في المدينة خلال «معركة تبوك»، ويروي عن علي (عليه السلام) بانه استدل بهذه الآية اثناء محاججته للمهاجرين والانصار، ولم يؤاخذه المهاجرون والانصار^(١).

ونقل في شواهد التنزيل عن الحاكم الحسكاني في ذيل الآية: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم»، سألت رسول الله (ﷺ): يا نبي الله من هم؟ قال: انت اولهم^(٢).

كما رويت روايات كثيرة عن ائمة اهل البيت (عليهم السلام) ايضاً في تفسير هذه الآية بالائمة المعصومين (عليهم السلام) وبلغت العشرات، وجاء فيها جميعاً ان «اولي الامر» هم الائمة المعصومون^(٣).

١- ينابيع المودة: ص ١١٤ و ١١٥ و ١١٦.

٢- شواهد التنزيل: ج ١، ص ١٤٨، طبعة بيروت.

٣- من اجل المزيد من الاطلاع راجعوا تفسير البرهان: ج ١ ص ٣٨١ الى ٣٨٧، وتفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٤٣٧ - ٤٥٢.

الولاية والامامة العامة في السنة

تمهيد :

يعتبر هذا القسم من اهم اقسام السّنة واحاديث النبي (ﷺ)، وقد وردت بهذا الصدد روايات كثيرة عن النبي (ﷺ) في اشهر واهم المصادر الاسلامية حيث من المناسب الالتفات اليها بكامل الدقة والحياد، لازالة الاتهامات التي ألصقت بهذه المسألة سنوات طويلة، وذلك من خلال نور العلم والاخلاص والبحث، والكشف عن الصورة الحقيقية لها بعيداً عن التعصبات، وليتضح واجبنا الالهي ازاء هذه القضية الاسلامية المهمة .

ونكتفي هنا بتناول جانب من الروايات المشهورة التي تتناول مسألة الامامة والولاية بشكل عام، مع شرح مختصر لمحتواها ومفهومها، ونرجو من القراء الكرام أن يمرّوا ثانية بهذه الروايات والوثائق والمصادر، مطلعين بدقة على مضمونها، ونوكل اليهم الاستنتاج والاستنباط النهائي .

اننا نعتقد ان اتخاذ موقف اللامبالاة ازاء هذه الاحاديث الناطقة والمرور منها مرور الكرام، أو غض الطرف عن الحقائق، لا يقلل من مسؤوليتنا، بل يضاعفها .



١ - حديث الثقلين

لقد سمي هذا الحديث بهذا الاسم لان النبي (ﷺ) قال فيه : «اني تارك فيكم الثقلين...»^(١).

ونقل هذا الحديث عن رسول الله (ﷺ) بشكل واسع للغاية في كتب الشيعة والسنة المشهورة (وفي مصادر الدرجة الاولى) بحيث لم يبق معه شك في صدور هذا الحديث عن النبي (ﷺ)، ويستفاد جيداً من مجموع هذه الروايات ان النبي (ﷺ) لم يُدَلَّ بهذا الحديث فحسب فيكون حديثاً واحداً ورواته كثيرين ، بل ادلى به في مواقع مختلفة وروي بروايات متعددة ايضاً .

ونذكر هنا رواية هذا الحديث والكتب الاسلامية التي ورد فيها :

١ - ففي صحيح مسلم الذي هو من اشهر المصادر لدى اهل السنة وأهم الصحاح الستة ، ينقل عن «زيد بن ارقم» انه قال : «قام رسول الله (ﷺ) يوماً فينا

١ - تقرأ كلمة (ثقلين) على نحوين فتارة تقرأ على وزن «حَرَمَيْن»، ومفردتها (ثَقْل) على وزن «حَرَم» وتعني الشيء الثمين والنفيس، كما تأتي بمعنى امتاع المسافر، وتارة تُقرأ (ثَقْلَيْن) على وزن (سِبْطَيْن) حيث تعني الشيء الثقيل، ويعتقد صاحب كتاب «التحقيق» ان الاولى تعني القيمة المعنوية (والثانية اكثر شمولية) كما ينبغي الانتباه الى ان (ثَقْل) (على وزن حرم) صفة مشبهة، و (ثَقْل) (على وزن سبط) اسم مصدر.

خطيباً بماء يدعى خمأ، بين مكة والمدينة^(١)، فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: اما بعد ألا ايها الناس فانما انا بشر، يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين: اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي^(٢).

ان جعل اهل البيت (عليهم السلام) في موازنة القرآن باعتبارهما شيئين ثمينين، والتأكيد على التذكير بالمسؤولية الالهية تجاههما يبرهن على علاقة هذا الأمر بمصير المسلمين وهدايتهم والمحافظة على اصول الاسلام، وإلا لما اجتمعا.

٢ - وجاءت في نفس الكتاب رواية اخرى لنفس الراوي مع شيء من الاختلاف^(٣).

واللطيف أنه عندما يُسأل زين بن ارقم تعقياً على هذه الآية هل المقصود من اهل بيته زوجاته؟ فيجيب: لا، المقصود من اهل البيت اهل من النسب الذين تحرم عليهم الصدقة.

٣ - ونقرأ في كتاب سنن الترمذي الذي يعرف بـ «صحيح الترمذي» ايضاً في بحث مناقب اهل البيت (عليهم السلام) عن جابر بن عبد الله أنه يقول: رأيت رسول الله (ﷺ) يوم عرفة وقد صعد ناقته وخطب، فسمعه يقول: «ياايها الناس اني قد تركت فيكم ما إن اخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي اهل بيتي»^(٤).

ثم يضيف الترمذي: وقد روى كل من ابي ذر، وابي سعيد الخدري، وزيد بن الارقم، وحذيفة هذا المعنى ايضاً.

١ - جاء في هامش صحيح مسلم ان غدير خم يبعد عن الجحفة ثلاث اميال.

٢ - صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٨٧٣.

٣ - صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٨٧٤.

٤ - صحيح الترمذي: ج ٥، ص ٦٦٢، باب مناقب اهل بيت النبي، الحديث ٣٧٨٦.

٤ - بعد قليل وفي نفس الكتاب يروي عن ابي سعيد وزيد بن الارقم انهما قالوا : قال رسول الله (ﷺ) «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي : احدهما اعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض ، وعترتي اهل بيتي ، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).

٥ - وفي سنن الدارمي وهو من الكتب المعروفة ايضاً ، روي حديث يشابه حديث زيد بن الارقم عن النبي (ﷺ) ، ويختتم الكلام بالتصرح باسم الثقلين و«كتاب لله واهل البيت»^(٢).

لا ينبغي نسيان ان (الدارمي) وبناء على ما قاله بعض العارفين هو استاذ مسلم وابي داود ، وكتاب سنن الدارمي أحد الكتب الستة المعتمدة المعروفة لدى اهل السنة (وان ذكر البعض سنن ابن ماجه بدلاً عنه).

٦ - ونقرأ في مسند احمد وهو من الأئمة الاربعة لاهل السنة رواية عن زيد بن ثابت حيث يقول : قال رسول الله (ﷺ) : «اني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله حبل ممدود او بين السماء والارض ، أو ما بين السماء الى الارض ، وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(٣).

انتبهوا الى انه في بعض هذه الروايات ورد تعبير «الثقلين» «كما في رواية صحيح مسلم». وفي بعضها «خليفتي» «كما في الرواية الاخيرة التي نقلت عن سنن احمد» ، وفي البعض الآخر لم يرد اي منهما ، بل مفهومها ومضمونها ، وفي الحقيقة فانها جميعاً تعود الى أمر واحد .

٧ - يروي احمد بن شعيب «النسائي» الذي يعتبر من اعظم اهل السنة ايضاً ، وكتاب سننه من الصحاح الستة المشهورة ايضاً ، في كتاب «الخصائص» عن زيد بن

١ - صحيح الترمذي : ص ٦٦٣ ، الحديث ٣٧٨٨ .

٢ - سنن الدارمي : ج ٢ ، ص ٤٣٢ (طبعة دار الفكر - بيروت).

٣ - مسند الامام احمد : ج ٥ ، ص ١٨٢ ، طبعة دار الصادر - بيروت .

الارقم قوله : انَّ النبي (ﷺ) وحين عودته من حجة الوداع ووصوله الى غدير خم أمر باقامة ظلة هناك واغتسل تحتها ثم قال : «كأنني دعيت فاجبتُ ، واني تاركُ فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر ، كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فانهما لن يفرقا حتى يردا علي الحوض ، ثم قال : ان الله مولاي وانا مولى كل مؤمن ثم اخذ بيد علي (عليه السلام) ، فقال : من كنتُ مولاه فهذا وليه ، اللهم وال منْ والاه وعاد من عاداه» .

وفي نهاية الرواية ورد ان الراوي الثاني «ابو طفيل» قال : قلتُ لزيد بن الارقم : أسمعت هذا الحديث من رسول الله (ﷺ) ؟ .

قال : كلُّ من كان تحت الظلة رأى هذا المنظر بعينه ، وسمع هذا الكلام باذنيه ^(١) .

هذه الرواية تبرهن جيداً على ان النبي (ﷺ) ادلى بهذا الكلام في الملاء العام . وبحضور حشد غفير في غدير خم ، والجميع قد سمعوا ذلك .

٨ - ويروي الحاكم النيشابوري - وهو من علماء القرن الرابع الهجري في كتاب مستدرك الصحيحين وهو من المصادر المعروفة لدى اهل السنة ويضم الروايات التي لم ترد في صحيحي البخاري ومسلم ، بينما هو في مرتبتهما من ناحية القيمة والوزن - هذا الحديث عن ابن واصله انه يقول : سمعت من زيد بن الارقم ان النبي (ﷺ) وصل الى اشجار بين مكة والمدينة وكانت هناك خمس ظلل ، فنزل وقام الناس بتنظيف ما تحت الاشجار ، وبعد صلاتي الظهر والعصر ، خطبنا رسول الله فحمد الله واثنى عليه ، وبالع في الوعظ ثم قال : «ايها الناس اني تارك فيكم امرين لن تضلوا ان اتبعتموهما : وهما كتاب الله واهل بيتي عترتي» ^(٢) .

ثم يضيف الحاكم : وهذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ^(٣) .

١ - خصائص النسائي : ص ٢٠ (طبعة التقدم في مصر) (وفقاً لما نقل عن فضائل الخمسة) ج ٢ ص ٥٤ .

٢ - مستدرك الصحيحين : ج ٣ ، ص ١٠٩ (طبقاً لنفس المصدر) .

٣ - المراد من شرط ذينك الشخصين هو انهما ينقلان الاحاديث التي تنتهي سلسلة سندها الى النبي (ﷺ) .

٩ - يقول ابن حجر الهيتمي مفتي الحجاز وهو من ألد اعداء الشيعة ، في كتاب «الصواعق المحرقة» : في رواية صحيحة «كأنني قد دُعيت فاجبت ، اني قد تركتُ فيكم الثقلين احدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله عز وجل وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» .

ثم يضيف : وقد وردت هذه الزيادة في رواية اخرى ايضاً : «سألتُ ربي ذلك لهما ، فلا تتقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم» .

ثم يضيف : ان لهذه الرواية طرقات ورواة كثيرون يربون علي نيف وعشرين راوياً ، ولا حاجة لشرحه وتفصيله ^(١) .

انّ هذا الاقرار الصريح بسعة هذا الحديث «الى حد التواتر» ومن شخص طالما شنّ اعنف الهجمات علي الشيعة فيما يخص مسألة الامامة لهو أمرٌ جديرٌ بالاهتمام .

١٠ - يروي ابن الاثير «محمد بن محمد بن عبد الكريم» صاحب الكتب المشهورة والتي من بينها كتاب اسد الغابة في معرفة الصحابة في احوال «عبد الله بن حنطب» انه قال : «خطبنا رسول الله (ﷺ) بالجحفة فقال : الستُ اولى بكم من انفسكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال اني سائلكم عن اثنين عن القرآن وعن عترتي» ^(٢) .

١١ - وذكر «جلال الدين عبد الرحمن السيوطي» وهو من العلماء المعروفين ايضاً وصاحب المؤلفات الكثيرة ^(٣) ، في كتاب «احياء الميت» ما اورده ابن الاثير في

وان روايتها يحفظون بثقتها وليسوا متهمين ، وحيث انهما لم ينقل كل الاحاديث التي تتمتع بهذا الشرط ، فقد قام الحاكم النيشابوري بجمع الاحاديث التي تتمتع بالشروط ولم تأت في الكتابين ، وذلك في كتابه «المستدرک» ، من هنا يمكن ان يكون المستدرک موازياً لصحيح البخاري ومسلم .

١ - الصواعق : ص ٢٢٦ طبعة عبد اللطيف في مصر .

٢ - اسد الغابة في معرفة الصحابة : ج ٣ ، ص ٤٧ (طبعة مصر وطبعة بيروت) .

٣ - قيل انه كتب اكثر من خمسمائة كتاب (الكنى والالقاب ، ج ١ ص ٢٠٧) .

اسد الغابة^(١).

١٢ - وقد اورد البيهقي «ابو بكر احمد بن الحسين» الذي يقول الزمخشري بحقه : «ان للشافعي دِيناً على عاتق جميع اتباعه ، الا ان البيهقي ولما كتبه فهو ذو حق على الشافعي نفسه وعلى اتباعه ايضاً»^(٢).

وأورد هذا الحديث في كتاب «السنن الكبرى» وهو من اهم كتبه (نظيراً لما ورد في صحيح مسلم لا سيما وان كلمة اهل البيت قد تكررت فيه ثلاثاً)^(٣).

١٣ - كما ان الحافظ الطبراني وهو من المحدثين المعروفين لدى اهل السنة «وقد عاش في القرن الثالث والرابع الهجري» وكما يقول البعض : انه عاصر اكثر من الف استاذ في الحديث ، يروي في كتابه الموسوم «المعجم الكبير» بسنده الى رسول الله (ﷺ) أن النبي (ﷺ) دعا الناس الى اتباع الثقلين فقام رجل وسأله : يا رسول الله وما الثقلان ؟ قال : الاكبر كتاب الله ، سبب طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به لن تزلوا ولا تضلوا ، والاصغر عترتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .

ثم اضاف النبي (ﷺ) : «وقد سألت ربي لهما ذلك ، فلا تتقدموهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم»^(٤).

١٤ - ونقل ابن تيمية «احمد بن عبد الحلیم الحنبلي» «المتوفي سنة ٧٢٨ هـ» مؤسس «المذهب الوهابي» في كتاب منهاج السنة ، هذا الحديث كما ورد في صحيح مسلم^(٥).

١ - احياء الميت الذي طبع على هامش الاتحاف ، ص ١١٦ .

٢ - الكنى واللقاب : ج ٢ ، ص ١١٤ .

٣ - سنن البيهقي : ج ١٠ ، ص ١١٤ .

٤ - المعجم الكبير : ص ١٣٧ ، وفقاً لما نقله احقاق الحق : ج ٩ ، ص ٣٢٢ .

٥ - منهاج السنة : ج ٤ ، ص ١٠٤ (طبعة القاهرة) .

كما نقله جماعة آخرون من علماء السنة المشهورين والمعروفين في كتبهم منهم:

١٥ - ابن المغازلي علي بن محمد، «الفقيه الشافعي وهو من علماء القرن الخامس الهجري» اذ نقل هذا الحديث بمزيد من التفصيل عن زيد بن الارقم^(١).

١٦ - الخوارزمي وهو من مشاهير علماء القرن السادس وكان من الفقهاء والمحدثين والخطباء والشعراء، نقل هذا الحديث ايضاً في كتابه الموسوم بـ«المناقب»^(٢).

١٧ - وذكره الذهبي «محمد بن احمد بن عثمان الدمشقي الشافعي» وهو من علماء القرنين السابع والثامن، وهو معروف بالتحيز لمذهبه وقد قال تاج الدين السبكي في كتاب «طبقات الشافعية» بحقه: انه محدث عصره، وختام الحفاظ، ورافع راية مذهب السنة والجماعة، وامام اهل زماننا، هذا الحديث ايضاً في كتاب «تلخيص المستدرک»^(٣).

١٨ - وذكر المؤرخ الشهير علي بن برهان الحلبي الشافعي وهو من علماء القرن الحادي عشر، في كتابه «انسان العيون» المشهور بالسيرة الحلبيه حديث الثقلين ضمن بيانه لحديث الغدير وبعبارات صريحه كالذي ذكرناه آنفاً، وبعد ذكر هذا الحديث يقول بصراحة: «هذا حديث صحيح حيث نُقل باسناد صحيحة وحسنة»^(٤).

وذكر ابن حيان المالكي في كتاب «المقتبس في احوال الاندلس» شبيه ما ورد في صحيح مسلم، الا انه ذكر المكان الذي تلا فيه النبي (ﷺ) تلك الخطبة والواقع بين

١ - احقاق الحق: ج ٤، ص ٤٣٨، (نقلاً عن كتابه الخطي).

٢ - المناقب: ص ٩٣.

٣ - جاء هذا الكتاب على هامش كتاب المستدرک للحاكم، ج ٣، ص ١٠٩ (وطبعة حيدر آباد).

٤ - السيرة الحلبيه: ج ٣، ص ٢٧٤، طبعة القاهرة.

مكة والمدينة بأنه «الحصائن» والتي تعني «القلاع»^(١).

٢٠- واورد «علاء الدين علي بن محمد البغدادي» المشهور بـ «الخازن» وهو من

علماء القرن الثامن الهجري في تفسيره ما جاء في صحيح مسلم والترمذي^(٢).

٢١- واورد «ابن ابي الحديد المعتزلي عز الدين عبد الحميد» وهو من علماء

القرن السابع الهجري، هذه الرواية ايضاً في شرح نهج البلاغة، فيقول: «قد بين

رسول الله (ﷺ) عترته من هي لما قال: اني تارك فيكم الثقلين، فقال عترتي اهل

بيتي».

ثم يضيف: وقد بين رسول الله (ﷺ) اهل بيته ايضاً في مكان آخر، عندما

نشر عليهم الكساء، وعندما نزلت آية: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...»،

قال: الهي هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس^(٣).

٢٢- ونقل «زيني دحلان» الشافعي (سيد احمد) مفتي مكة وهو من علماء القرن

الثالث عشر الهجري وله مؤلفات كثيرة، هذا الحديث في كتاب «السيرة النبوية»

الذي طبع على هامش السيرة الحلبية كما نقله صحيح مسلم تماماً، وكما رواه مسند

احمد بن حنبل عن ابي سعيد الخدري^(٤).



ترتيب مختصر

كانت هذه مجموعة من مشاهير العلماء منذ قرون الاسلام الاولى وحتى القرون

١- المقتبس: ص ١٦٧ (طبعة باريس).

٢- تفسير الخازن: ج ١ ص ٤ (طبعة القاهرة).

٣- شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٤٣٧ طبعة القاهرة، وج ٦ ص ٣٧٥ الطبعة الحلبية في بيروت الخطبة ٨٦.

٤- السيرة النبوية: ج ٢، ص ٣٠٠، على هامش ج ٣ من السيرة الحلبية، ص ٣٣ وجاء ايضاً في الصفحة ٣٣ من طبعة مصر.

الاخيرة، حيث اوردوا حديث الثقلين في كتبهم بكل صراحة، ولكن لا ينبغي نسيان ان هذه طائفة قليلة من مجموع رواة هذا الحديث، وطبقاً لما جاء في خلاصة عبقات الانوار فقد ذكر المرحوم مير حامد حسين الهندي مائة وستة وعشرين كتاباً معروفاً. وقد اورد في كتابه هذا نص العبارة مع رقم الجزء والصفحة في الكتاب^(١). ومن الجدير بالذكر ان هذا الحديث لم يُروَ عن جابر بن عبد الله الانصاري أو أبي سعيد الخدري أو زيد بن الارقم، رواه ما لا يقل عن ثلاثة وعشرين من صحابة رسول الله (ﷺ) عنه مباشرة، فيما يلي اسماؤهم:

- ١ - زيد بن الارقم . ٢ - أبو سعيد الخدري . ٣ - جابر بن عبد الله الانصاري . ٤ - حذيفة بن أسيد . ٥ - خزيمة بن ثابت . ٦ - زيد بن ثابت . ٧ - سهل بن سعد . ٨ - ضمرة الاسلمي . ٩ - عامر بن ليل . ١٠ - عبر الرحمن بن عوف . ١١ - عبد الله بن عباس . ١٢ - عبد الله بن عمر . ١٣ - عدي بن حاتم . ١٤ - عقبة بن عامر . ١٥ - علي بن ابي طالب (عليه السلام) . ١٦ - ابو ذر الغفاري . ١٧ - ابو رافع . ١٨ - ابو شريح الخزاعي . ١٩ - ابو قدامة الانصاري . ٢٠ - ابو هريرة . ٢١ - ابو هيثم بن التيهان . ٢٢ - أم سلمة . ٢٣ - أم هاني .



تكرار حديث الثقلين على لسان النبي (ﷺ)

وهذا جدير بالذكر ايضاً، حيث ان النبي (ﷺ) لم يدل بهذا الحديث مرة واحدة فقط كما هو الحال بالنسبة لحديث الغدير الذي صرح به النبي (ﷺ) مرة واحدة وسمعه ونقله كثيرون، بل انه ردّد حديث الثقلين في مواطن عديدة ومناسبات مختلفة.

١ - نقلاً عن خلاصة عبقات الانوار: ج ٢، ص ١٠٥ - ٢٤٢ طبعة مؤسسة البعثة.

المواطن التي ذكر فيها الحديث ونُقل عن رسول الله (ﷺ) في كتب اهل السنة عبارة عن :

١ - في غدير خم اثناء عودة النبي (ﷺ) من حجة الوداع ، حيث قام واورد حديث الثقلين ضمن كلماته المفصلة .

وهذا ما ذكرناه آنفاً عن صحيح مسلم وخصائص النسائي مع ذكر الاسناد والمصادر .

٢ - خلال ايام الحج وفي يوم عرفة وعندما كان النبي (ﷺ) يخطب من على ناقته حيث أدلى بهذا الحديث .

وهذا ما رواه الترمذي في صحيحه عن جابر بن عبد الله الانصاري ، وادرج سابقاً تحت الرقم ٢ .

٣ - اورد (ﷺ) هذا الحديث في «الجحفة» وهي أحد مواقيت الحج بين مكة والمدينة ، كما ذكر ذلك ابن الاثير في «اسد الغابة» في احوال «عبد الله بن حنطب» ، وذكر سابقاً في العدد ٨ من سلسلة الاحاديث .

٤ - اثناء مرضه الذي انتهى بوفاته ، وعندما كان يدلي بآخر وصاياه ، اوصى (ﷺ) بالثقلين وقال : «ايها الناس يوشك ان اقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدّمت اليكم القول معذرةً اليكم الا أني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي اهل بيتي ، ثم أخذ بيد علي (عليه السلام) فرفعها ، فقال : هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فاستلوهما ما خلّفت فيهما»^(١) .

وهناك دقائق وظرائف لا تخفى على اهل الحقيقة .

٥ - قال (ﷺ) في «مسجد الخيف» اثناء «حجة الوداع» : ألا واني سائلكم عن الثقلين . قالوا : يا رسول الله وما الثقلان ؟ . قال : كتاب الله الثقل الاكبر ، طرف بيد الله

وطرف بايديكم فتمسكوا به لن تضلوا ولن تزلوا، وعترتي واهل بيتي ، فانه قد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كاصبعي هاتين^(١).

٦- اثناء عودته (ﷺ) من الطائف «بعد فتح مكة» حيث وقف النبي وذكر هذا الحديث وهذه النقاط المهمة^(٢).

انّ هذا التكرار والتأكيد في مختلف الامكنة، في المدينة وفي ايام الحج، في يوم عرفة، وفي مسجد الخيف «ايام منى» وفي وسط الطريق بين مكة والمدينة، وموارد اخرى دليل واضح وبرهان قوي وناطق على انّ التمسك بهذين الأمرين المهمين يعتبر قضية مصيرية ومهمة بحيث كان النبي (ﷺ) يريد توعية المسلمين على اهميتهما لئلا يضلوا، والعجب العجيب اذا ما تخلينا عنهما بعد كل هذا التكرار والتأكيد، والقينا بانفسنا في الضلالة، أو التقليل من شأنهم من خلال التبريرات الخاطئة.

فكيف يمكن المرور مرور الكرام بحديث نقله نيف وعشرون من صحابة رسول الله (ﷺ)، وورد في المصادر الشهيرة ومن قبل الطبقة الاولى، ونقل في ما يقارب من مائتي كتاب اسلامي معروف لاشك ولا ريب في سنده، ولا غموض في برهانه؟ من المسلم به انّ من يمر بهذا الحديث مرور الكرام تقع على عاتقه مسؤولية عظيمة. فالذي يؤمن بالنبي (ﷺ) باعتباره رسول الله (ﷺ) وخاتم النبيين والامين على الوحي، ويرى تأكيداً على التمسك بهذين الأمرين المهمين رأي العين، ويعتبر انّ الهدى في اتباعهما، عليه ان يعلم انّ هناك سرّاً مهماً يكمن في هذين الأمرين، (تأملوا جيداً).



١- تفسير علي بن ابراهيم وفقاً لنقل بحار الانوار: ج ٢٣، ص ١٢٩، الحديث ٦١.

٢- صواعق ابن حجر: الفصل الاول، الباب ١١ آخر الصفحة ٨٩.

المسائل المهمة المستوفاة من حديث الثقلين

انّ هذا الحديث الشريف يرسم خطوطاً مهمة امام المسلمين . وسنشير الى جانب منها بشكل مختصر:

- ١ - انّ القرآن واهل البيت (عليهم السلام) متلازمان دائماً ولا يمكن فصلهما، والذين يطلبون حقائق القرآن يتحتم عليهم التمسك بأهل البيت (عليهم السلام).
 - ٢ - كما ان اتباع القرآن واجب على المسلمين بلا قيد أو شرط فان اتباع اهل البيت (عليهم السلام) واجب ايضاً بلا قيد أو شرط.
 - ٣ - ان اهل البيت معصومون، فعدم افتراقهم عن القرآن من ناحية، ووجوب اتباعهم بلا قيد أو شرط من ناحية اخرى، دليل واضح على عصمتهم من الزلل والخطأ والذنب، فلو كانوا يذنبون او يخطأون لا انفصلوا عن القرآن، وانّ اتباعهم لم يؤمن المسلمين من الضلالة والانحراف، وان قوله (عليه السلام): ما ان تمسكتهم بهم لن تضلوا، دليل جلي على عصمتهم.
 - ٤ - والأهم من كل ذلك ان النبي (صلى الله عليه وآله) قد رسم هذا الخط للمسلمين على مر الزمان الى يوم القيامة، فيقول: «انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» فهذا يوضح بجلاء ان هناك شخصاً من أهل البيت (عليهم السلام) بعنوان امام معصوم على مر التاريخ، وكما انّ القرآن نبراس هداية فانهم كذلك، اذن لابد أن نسعى ونعثر عليهم في كلّ عصر وزمان.
 - ٥ - يستفاد من هذا الحديث الشريف انّ الانفصال عن اهل البيت (عليهم السلام) أو التقدم عليهم يمثل اساس الضلال، ولا ينبغي تقديم شيء على ما يختارونه.
 - ٦ - انهم افضل وأعلم من كافة الناس.
- نعم، فلا غموض في استجلاء هذه الامور من الحديث اعلاه ابداً.

واللطيف أنّ «السمهودي» والشافعي^(١) وهو من علماء القرن التاسع والعاشر الهجري المعروفين . وصاحب كتاب «وفاء الوفاء» يقول في إحدى مؤلفاته باسم «جواهر العقدين» الذي كتبه حول حديث الثقلين : ان ذلك يفهم وجود مَنْ يكون اهلاً للتمسك به من اهل البيت والعترّة الطاهرة في كلّ زمانٍ وجدوا فيه الى قيام الساعة ، حتى يتوجه الحثّ المذكور الى التمسك به كما أنّ الكتاب العزيز كذلك^(٢).



سؤال أخير

يبقى سؤال واحد فقط وهو : انه عبر في بعض الروايات وإن كانت قليلة جداً بـ «وسنتي» بدلاً عن «وعترتي اهل بيتي» ، حيث عثرنا عليهما في مكانين في سنن البيهقي ، ففي مورد يروي ابن عباس عن النبي (ﷺ) انه خطبنا في حجة الوداع وقال : انّي تارك فيكم ما ان تمسكنم بهما لن تضلوا ابداً ، ثم قال : كتاب الله وسنة نبيه^(٣).

وفي سند آخر نقل هذا المعنى عن ابي هريرة ايضاً^(٤).

ولكن من الواضح أنّ هذه الرواية لا يُستند عليها في مقابل جميع تلك الروايات التي تصرح باسم اهل البيت والعترّة ، وحتى ان كلمة اهل البيت تكررت في بعضها ثلاث مرات ، وتم التأكيد عليهم ، وفي بعضها جاء اسم عليّ (عليه السلام) بالنص ، وأنّ النبي (ﷺ) اخذ بيده وعرّف به ، ويبدو ان سلاطين الزمان قاموا بهذا التغيير للإفلات من مؤاخذات الناس ، الا انهم لم يستطيعوا التحريف .

١ - سمهود : قرية كبيرة الى جانب النيل في مصر .

٢ - خلاصة عبقات الانوار : ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

٣ - سنن البيهقي : ج ١٠ ، ص ١١٤ .

٤ - نفس المصدر .

فضلاً عن أنّ هاتين الروایتين على فرض صحة حديث « وسنتي » لانتعازان ، ففي مكان يوصي النبي (ﷺ) بالكتاب والسنة ، وفي مكان آخر بالكتاب والعتره ، لأنّ النبي (ﷺ) وكما اسلفنا قد ادلى بهذا الحديث مرات عديدة (وفقاً للروايات التي وردت في المصادر المشهورة لأهل السنة) . فتارة في حجة الوداع ، واخرى اثناء عودته من الطائف ، ومرة في المدينة وعلى المنبر ، واخرى على فراش المرض والوفاة^(١) ، فما الضير في ان يقول مرات ومرات : « وعترتي » ومرة واحدة : كتاب الله وسنتي ؟

وهل هنالك شخص ينكر ان سنة النبي (ﷺ) هي احدى آثاره العظيمة ، التي يجب العمل بها ؟ وهل يمكن لمسلم ان يفض الطرف عن سنة رسول الله (ﷺ) التي أكد عليها القرآن ، وقال : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر - ٧) . ويهملها ؟ انّ هذا المعنى لا يتعارض والتأكيد على اتباع العتره والتمسك بها الوارد في الموارد الاخرى .

وبتعبير آخر : انّ اختيار احدى الروایتين يكون في موضع يتعارضان فيه ، والحال انهما لا يتعارضان على الاطلاق ، انّ التمسك بهدي اهل البيت (عليهم السلام) هو أحد المصاديق البارزة للعمل بسنة رسول الله (ﷺ) فمن اطاع اهل البيت (عليهم السلام) فقد عمل بسنة رسول الله (ﷺ) ، والذي أدار ظهره لهم وقدم اختياره على اختيار رسول الله (ﷺ) فقد تمرد على رسول الله (ﷺ) .

وعلى أي حال لا يمكن التنصل من المسؤولية التي حمّلتها ايانا احاديث الثقلين . الاحاديث المتواترة بلاشك ، لا يمكن التغاضي عنها من ناحية السند والبرهان .

١ - لقد تمت الاشارة الى هذه الموارد سابقاً ، ويجدر القول ان المرحوم السيد شرف الدين قد اشر الى الموارد في الرسالة الثامنة في كتابه المراجعات .

ونختم الكلام بشعر أورده الامام الشافعي بهذا الصدد :

ولما رأيت الناس قد ذهب بهم مذهبهم في ابحر العين والجهل

ركبتُ على اسم الله في سفن النجاة وهم آل بيت المصطفى خاتم الرسل

وأمسكتُ حبل الله وهو ولائهم كما قد أمرنا بالتمسك في الحبل

وما أسعد الانسان اذ يراهم الملاذ في كل شيء ويعرف الحق من خلالهم^(١).

وقد استند في الكثير من الروايات الأنفة الى قضية حوض الكوثر، وسبب ذلك

بحسب الظاهر أنّ حوض الكوثر يقع في باب الجنة، وأنّ أول قدم للدخول تكون

هناك، وأنّ الصالحين يزورون النبي (ﷺ) وأهل البيت (عليهم السلام) هناك.

٢ - حديث سفينة نوح

من الاحاديث المشهورة بحق اهل البيت (عليه السلام) والائمة المعصومين (عليه السلام) هو «حديث السفينة» الذي ورد في الكتب المعروفة لدى الشيعة واهل السنة بشكل واسع ، ونحن هنا نبحث في نص واسناد ومصادر هذا الحديث الشريف بشكل سريع :

لقد نقل هذا الحديث ما لا يقل عن ثمانية من اصحاب رسول الله (ﷺ) وهم (ابو ذر ، وابو سعيد الخدري ، وابن عباس ، وأنس ، وعبد الله بن الزبير ، وعامر بن واثلة ، وسلمة بن الاكوع ، وعلي عليه السلام)^(١).

لقد وردت الروايات الآتية في الكتب المشهورة لدى اهل السنة حيث نشير الى جانب منها فيما يأتي ، - وللمزيد من التوضيح نحث على مراجعة الكتب التالية : احقاق الحق ، الجزء التاسع ، وخلاصة عبقات الانوار ، الجزء الرابع وسائر الكتب .. ان أبا ذر كان ماسكاً بباب الكعبة ويقول : مَنْ عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني

١ - وفقاً لما نقل في اسد الغابة ان عبد الله بن الزبير ولد في بداية الهجرة ، وفي سن السابعة أو الثامنة جاء به ابوه الزبير الى الرسول (ﷺ) ليبايعه ، فسمع منه (عليه السلام) ما بقي من عمره ورواها (اسد الغابة ، ج ٣ ، ص ١٦٢).

فليعلم اني ابو ذر الغفاري ، سمعتُ رسول الله (ﷺ) يقول : « مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك » ، وجاء في رواية : « ومن تخلف عنها غرق »^(١).

وعليه فهم سفينة النجاة في بحر الحياة المتلاطم .

٢ - يروي «ابن عباس» وكذا «سلمة بن الأكوع» - وفقاً لما ينقله ابو الحسن علي بن محمد الشافعي ، المشهور بابن المغازلي ، في كتاب المناقب - عن النبي (ﷺ) انه قال : «أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» . وهذه العبارة نقلت عن ابن عباس ، إلا أن عبارة «ابن الأكوع» أكثر اختصاراً وهي : «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا» .

يقول الشيخ «محمد امين الانطاكي» ، مؤلف كتاب «لماذا اخترت مذهب الشيعة» في بحث حديث السفينة : اتفقت آراء علماء الاسلام على صحة واستفاضة نقل هذا الحديث حتى بلغ حدّ التواتر ، وهناك عدد كبير من الحفاظ وائمة الحديث وأهل السير والتواريخ نقلوا هذا الحديث حتى بلغ عددهم أكثر من مائة وحتى غير المسلمين نقلوا هذا الحديث ووضعوه بين الاحاديث الاسلامية^(٢).

وروي هذا الحديث في كتاب «عبارات الانوار» عن اثنين وتسعين كتاباً مكتوبة من قبل اثنين وتسعين من مشاهير علماء أهل السنة بشكل مفصل مع جميع الشخصيات :

وفي الملحقات التي ذكرها صاحب كتاب «خلاصة عبارات الانوار» نقل هذا

١ - روى هذا الحديث الحافظ الطبراني في المعجم الكبير والمعجم الصغير (ص ٧٨ طبعة دلهي) وابن قتيبة الدينوري في عيون الاخبار (ج ١ ص ٢١٢ طبعة مصر) والحاكم النيشابوري في المستدرک (ج ٣ ص ١٦٠) والذهبي في ميزان الاعتدال (ج ١ ص ٢٢٤) والسيوطي في تاريخ الخلفاء (ص ٥٧٣) وجماعة اخرى كثيرة .

٢ - كتاب «لماذا اخترت مذهب الشيعة» ، ص ١٦٦ .

الحديث عن ثمانية من الصحابة ، وثمانية من التابعين ، وثلاثة من علماء القرن الثاني ، وثمانية من علماء القرن الثالث ، وأربعة عشر من علماء القرن الرابع ، وهكذا قرناً بعد قرن حتى وصل الى القرن الحالي ، وذكرهم جميعاً بالاسم والمواصفات^(١).



مفاد حديث السفينة

من اجل ادراك المعنى الدقيق لهذا الحديث لابد من القاء نظرة على احوال سفينة نوح .

يقول القرآن الكريم : ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (القمر - ١١ و ١٢).

لقد دمر هذا الفيضان الشامل وغطى الماء كل شيء ولم يبق مأوى يلتجئ اليه الانسان اليه سوى سفينة النوح التي ضمن الله تعالى لمن ركبها النجاة من الغرق ، بحيث عندما قال ابن نوح بغرور: ﴿سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ فليس هناك فيضان يصل الى قمم الجبال لجوبه برد أبيه الجازم والرادع حيث قال له: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ ! اشارة الى المؤمنين الذين ركبوا في السفينة . وظهر صدق كلام نوح مباشرة اذ: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود / ٤٣).

ان تشبيه اهل البيت بمثل هذه السفينة وفي تلك الظروف زاخر بالمعاني التي تعلمنا الكثير من الحقائق ، منها:

١ - ان العواصف ستعصف بالأمة الاسلامية بعد النبي (ﷺ) وتجرّف الكثير معها ويفرق وسط امواجها .

٢ - هنالك نقطة واحدة فقط للخلاص من مخالب الاخطار التي تهدد الدين والايمان وارواح الناس ، ألا وهي سفينة اهل البيت (عليه السلام) التي يُعتبر التخلف عنها ومفارقتها سبباً للهلاك .

٣ - انّ الانفصال عن واسطة النقل في الصحراء قد لا يزامنه الموت دائماً ، إلا انه يُعرّض الانسان الى العناء ، بيد انّ التخلف عن سفينة النجاة في بحر متلاطم لا ينتج عنه سوى الموت والهلاك .

٤ - لقد كان شرط الركوب في سفينة نوح (عليه السلام) الايمان والعمل الصالح ، من هنا فقد عرض نوح على ابنه الايمان ، والانفصال عن الكافرين ، والركوب معه ومع اصحابه في السفينة : «يَا بَنِيَّ اِزْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ » ، بناء على ذلك فشرط نجاة هذه الأمة من العواصف والانحرافات هو الايمان واليقين بمقام سفينة النجاة هذه .

٥ - ليست محبتهم فقط التي تؤدي الى النجاة . حيث طرح بعض علماء الاسلام ذلك بادعائهم ان جميع المسلمين يحبون اهل البيت (عليه السلام) ويعظمونهم ، من هنا فهم جمعياً من الناجين .

بل ان الكلام الذي جاء في الرواية هو عن اتباعهم (مقابل التخلف عنهم) ، فإن ابن نوح كان يحب أباه إلا انه لم يكن يتبعه ، ولم تؤد محبته الى نجاته ابداً (تأملوا جيداً) .

٦ - كما استفيد من « حديث الثقلين » خلال البحوث الأنفة بان التمسك بولاء اهل البيت (عليه السلام) مستمر حتى نهاية العالم ، وأن القرآن واهل البيت (عليه السلام) لن يفترقا حتى يردا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحوض في الجنة ، يستفاد ايضاً من «حديث السفينة» ، ان هذا الخط مستمر حتى نهاية الكون ، لأن الدنيا ظرف العواصف ، أي ان الشياطين ودعاة الضلالة والتأهين في وادي الحيرة موجودون في كل زمان ، ولا تهدأ

هذه العواصف ، وهي قائمة الى يوم القيامة حيث يحكم الله تعالى بين عباده ، فتزال الاختلافات ^(١) على هذا الاساس ، فان وجود السفينة سفينة النجاة هذه ضروري الى الأبد والتخلف عنها يؤدي الى الهلاك .

٧ - ان التمسك المطلق باهل البيت (عليهم السلام) (في قبال التخلف عنهم) يمكن ان يكون شاهداً جلياً على وجود الامام المعصوم في كل زمان من اهل البيت (عليهم السلام) ، حيث يؤدي اتباعه الى النجاة والتخلف عنه الى الهلاك .

٨ - ان هذا الحديث تفسيرٌ للحديث المعروف « ستفرق امتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة ناجية والباقيون في النار » ^(٢) .

ويبرهن على ان الفرقة الناجية هم الذين يتمسكون بمذهب اهل البيت (عليهم السلام) ، ويهتدون بهداهم في اصول وفروع الدين .

من مجموع ما قيل يمكن الاستفادة ايضاً من هذا الحديث المعروف : ان مسألة اهل البيت (عليهم السلام) يجب أن تكون مسألة بسيطة وعلى الهامش ، بحيث يأخذ المسلمون ما يريدونه في امور الدين والدنيا من الغير ويكتفون بمحبة اهل البيت (عليهم السلام) .



١ - يصرح القرآن في آيات عديدة ان يوم القيامة يوم يزال فيه الاختلاف وان الله يفصل بين الامم .
٢ - لقد روى هذا الحديث طائفة كثيرة من علماء الشيعة والسنة ، وجاء في بعض طرق الحديث ان النبي (ﷺ) قال في جوابه لعلي (عليه السلام) الذي سأله : من هي الفرقة الناجية ؟ : المتمسك بما تمسكت به انت وشيعتك واصحابك (احقاق الحق : ج ٧ ، ص ١٨٥) .

٣- حديث النجوم

الحديث الآخر الذي ورد بشكل واسع بحق اهل البيت (عليهم السلام) في المصادر الاسلامية ، ويؤكد على انهم (عليهم السلام) هداة وائمة الناس في كل زمان هو حديث النجوم . حيث رواه جماعة كثيرة من اصحاب رسول الله (ﷺ) (ما لا يقل عن سبعة اشخاص ، ومنهم علي (عليه السلام) ، وجابر بن عبد الله ، وابو سعيد الخدري ، وانس بن مالك ، والمنكدر^(١) ، وسلمة بن الاكوع وابن عباس) وجرت الاشارة اليه في عشرات الكتب من قبل حفاظ اهل السنة ومحدثيهم ، حيث ندرج جانباً منها فيما يأتي ، ونشير الى بقية المصادر بشكل اجمالي (للمزيد من اطلاع القراء) :

١ - ينقل «الحاكم النيشابوري» في المستدرک عن «ابن عباس» ان النبي (ﷺ)

قال : « النجوم امان لاهل الارض من الفرق ، واهل بيتي امان لامتي من الاختلاف ، فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس » .

وبعد ذكره لهذا الحديث قال الحاكم : هذا حديث صحيح السند^(٢) .

١ - المنكدر بن عبد الله : ابو محمد بن المنكدر - طبقاً لقول ابن الاثير في اسد الغابة - هو من اصحاب رسول الله ﷺ .

٢ - الحاكم النيشابوري في المستدرک : ج ٣ ، ص ١٤٩ (طبعة حيدر آباد طبقاً لنقل احقاق الحق : ج ٩ ،

يقول العلامة «الحمزاوي» في «مشارك الانوار» : جاء في الرواية التي صححها^(١) الحاكم النيشابوري : « النجوم امان لاهل الارض من الفرق واهل بيتي امان لامتي من الاختلاف » .

ومن الذين اوردوا هذا الحديث في كتابه ، «ابن حجر» في «الصواعق» و«العلامة علي المتقي» في «منتخب كنز العمال» و «البدخشي» في «مفتاح النجاة» و«الشيخ محمد صبان المالكي» في «اسعاف الراغبين» و «العلامة النبهاني» في «الشرف المؤيد» و «جواهر البحار»^(٢) .

كل هذا متعلق بالحديث الذي رواه ابن عباس عن النبي (ﷺ) ، كما اشرنا ايضاً أنَّ هناك رواية كثيرين ايضاً نقلوا هذا الحديث عن النبي (ﷺ) ، حيث وردت رواياتهم في كتب السنة والشيعه المعروفة (وبالطبع هناك تفاوت قليل في عبارات هذه الروايات لا أثر لها في ما يمثل الهدف الحقيقي) .

فمثلاً نقراء في رواية «سلمة بن الاكوع» : قال رسول الله (ﷺ) : « النجوم امان لاهل السماء واهل بيتي امان لامتي »^(٣) .

وقد روى هذا المعنى عن رسول الله (ﷺ) بشيء من الاختلاف كل من جابر بن عبد الله الانصاري والمنكدر ، وانس ، وابو سعيد الخدري .

ونقرأ في الحديث الآخر الذي رواه علي (عليه السلام) عن النبي (ﷺ) بهذا الصدد : «النجوم امان لاهل السماء فاذا ذهب اهل السماء واهل بيتي امان لأهل الارض

ص ٢٩٤) .

١ - عبادة الحمزاوي هكذا : صححها الحاكم على شرط الشيخين (اشارة الى المعايير التي على اساسها يعتبر البخاري ومسلم الاحاديث صحيحة ، فهذا الحديث صحيح (مشارك الانوار ، ص ٩٠ المطبعة الشرقية مصر) .

٢ - للمزيد من الاطلاع يراجع احقاق الحق : ج ٩ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٦ .

٣ - لقد اورد هذا الحديث كل من السيوطي في الجامع الصغير (ص ٥٨٧ طبعة مصر) ومحبت الدين الطبري في ذخائر العقبى ، وابن حجر في الصواعق ، وجماعة آخرون في كتبهم .

فاذا ذهب اهل بيتي ذهب اهل الارض» .

وقد نقل هذا الحديث «محب الدين الطبري» في «ذخائر العقبى» عن «مناقب احمد بن حنبل»^(١).

ونقله جماعة آخرون في كتبهم ، مثل «الحمويني» في «فرائد السمطين» و«ابن حجر» في «الصواعق» و «محمد بن صبان» في «إسعاف الراغبين» و«الخوارزمي» في «مقتل الحسين» و«النبهاني» في «الشرف المؤيد» .



مضمون حديث النجوم

ان حديث أو احاديث النجوم تشير الى امور مختلفة :

١ - انّ هذا الحديث في واقع الامر اشارة الى آيات القرآن التي تبين ان لنجوم

السماء اثرين مهمين :

اولاً: قوله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل / ١٦).

ويقول في مكان آخر: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الانعام / ٩٧) .

انّ هذا في الواقع اشارة الى احدى الفوائد المهمة للنجوم ، فقبل اختراع

البوصلة كان من المتعذر تشخيص الطرق لاسيما في الاسفار البحرية - حيث لا

وجود للجبال والاشجار - الا عن طريق النجوم ، لهذا فانّ السفن تتوقف عن المسير

خلال الليالي التي تغطي فيها الغيوم السماء ، واذا واصلت طريقها فانّ خطر الموت

يهددهم .

وهذا يعود الى انّ نجوم السماء متجمعة ماعدا النجوم الخمسة السيارة (عطارد،

١ - ذخائر العقبى: ص ٧، طبعة القدس القاهرة.

الزهرة، المريخ، المشتري وزحل) ولا تغير مكانها، وكانها جواهر قد رصعت قطعة قماش سوداء، وهذه القطعة سحبت باتجاه معين وهنَّ يأخذن بها في الاتجاه المعاكس، لهذا فقد سميت «الثوابت» بالإضافة الى النجمة القطبية الثابتة في مكانها التي لا تبزغ أو تأفل كسائر النجوم، وهذا الوضع ادى الى ان يتعرفوا على سائر النجوم ويعرفون مكانها على مدار السنة. وان يلتمسوا طريقهم نحو مقاصدهم من خلال الخارطة التي كانت لديهم.

والفائدة الاخرى هي مايقوله : القرآن ان بعض النجوم «رجوم» للشياطين، أي أنها بمثابة السهام التي تنطلق نحو الشياطين وتحول دون نفوذهم الى السموات، اذ يقول القرآن: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ (الصافات / ٦-٩).

من هذه الآيات وسائر آيات القرآن يمكن ادراك مفهوم أمان النجوم لاهل الارض.

فكيف توصل النجوم أو «الشهب» الطريق امام الشياطين، وتمنعها عن النفوذ الى السموات؟ ان هذه المسألة يجب ان تبحث على حدة، وقد اوردنا شرحها في ذيل هذه الآيات في التفسير الامثل، وما يتوجب الاهتمام به هنا هو المفهوم الاجمالي للآيات التي تبين ان النجوم هي سبب تفهقر الشياطين عن الملأ الاعلى، ويصبح منطقة منزهة للملائكة والكروميين وهذا المقدار كاف لتفسير حديث النجوم.

نعم قال النبي (ﷺ) كنجوم السماء، فمن جهة ينقذون الناس من الضلالة في ظلمات الكفر والفساد والذنوب، ويشخصون لهم سبيل بلوغ غاياتهم، ويحفظون سالكي سبيل الحق من الفرق وسط امواج الضلالة.

ومن جهة اخرى عندما يحاول شياطين الجن والانس النفوذ الى حرم الاسلام

ليقوموا بتحريف احكام القرآن والسنة فانهم (عليه السلام) يردونهم على اعقابهم كالشهب الثاقبة ، ويردون كيدهم الى نحورهم ويحولون دون تطلعهم على الاسرار .
وهذه النكتة جديرة بالاهتمام ايضاً لاسيما وأنها تبين أن اهل البيت (عليه السلام) امان للامة ازاء الاختلافات ، فلو استمرت الاختلافات لصار الناس من حزب ابليس كما يُقال : (اختلفوا فصاروا حزب ابليس) وهذا التعبير مفعم بالمعاني .

٢ - يستفاد من هذا الحديث ان خطأ هداية اهل البيت (عليه السلام) متواصل حتى فناء الكون ، كاستمرار امان النجوم لاهل السماء أو اهل الارض .
٣ - أنه يثبت عصمتهم من الخطأ والذنب ايضاً ، فلو امكن صدور الخطأ والذنب عنهم لم يتسن لهم ان يكونوا اماناً - بشكل كامل ومطلق - لاهل الارض في مواجهة الاختلاف والضلال ، (تأملوا جيداً) .

٤ - كما ان نجوم السماء تتبادل البزوغ فكلما أفل منها واحدٌ بزغ آخر ، وكلما اختفت منها مجموعة في الافق ، طلعت اخرى ، فان اهل البيت (عليه السلام) كذلك ايضاً .
وقد وضع علي (عليه السلام) هذا الامر بصريح العبارة في نهج البلاغة:

«ألا أن مثل آل محمد ﷺ كمثل نجوم السماء اذا هوى نجمٌ طلع نجمٌ» .^(١)

ولعل الامر لا يحتاج الى تذكير بعدم امكانية تفسير اهل البيت (عليه السلام) في هذه الروايات بنساء النبي (ﷺ) ، لانه يتحدث عن اشخاص يمثلون اساس هداية الامة ونجاتها من الفرق في الضلالة ، ويتصدون للاختلافات في كل عصر ، ونحن نعلم ان نساء النبي كن يعشن في زمان خاص ، بالاضافة الى انهن لم يكن لهن دور خاص في التصدي للاختلافات .



سؤال :

ربما يقال : اننا نقرأ في الحديث المروي عن النبي (ﷺ) في مختلف الكتب :
«اصحابي بمنزلة النجوم في السماء فايما اخذتم به اهتديتم»^(١) .
فهل ان هذا الحديث لايتعارض والاحاديث اعلاه التي وردت بحق اهل
البيت (عليهم السلام) ؟

للإجابة على هذا السؤال ، لابد من الالتفات الى بعض الامور :

- ١ - على فرض ان حديث «اصحابي كالنجوم» حديث معتبر فهو لايتعارض مع ماورد بحق اهل البيت (عليهم السلام) ، لان وجود مرجع واحد في بيان حقائق الاسلام لايتعارض مع وجود المراجع الآخرين لاسيما وانه لم يرد الكلام في حديث « اهل بيتي كالنجوم » عن القرآن الكريم ، بينما يمثل القرآن الكريم اهم سند للمسلمين .
- ٢ - ان هذا الحديث «موضوع» و«مكذوب» من ناحية السند لدى الكثير من عظماء اهل السنة ، أو مشكوك على الاقل .

ومن الذين صرحوا بهذا المعنى «احمد بن حنبل» أحد الائمة الاربعة لاهل السنة ، و«وابن حزم» ، و«ابو ابراهيم المزني» ، أحد اصحاب الشافعي و«الحافظ البزاز» و«الدارقطني» و«الذهبي» وطائفة اخرى ، حيث يخرجنا نقل كلام كل منهم عن اطار البحث التفسيري ، ولكن بامكانكم مراجعة «خلاصة كتاب عبقات الانوار» بغية الاطلاع الواسع على جميع هذه الاقوال^(٢) .

- ٣ - ان مضمون هذا الحديث لايتناسب مع المعايير المنطقية ، فاننا نعلم ان اختلافات شديدة قد وقعت بين اصحاب رسول الله (ﷺ) (الاصحاب بالمعنى

١ - جامع الاصول، ج ٩، ص ٤١٠.

٢ - خلاصة العبقات، ج ٣، ص ١٢٤ الى ١٦٧ (وفي هذا الكتاب بين ضعف سند هذا الحديث عن اكثر من ثلاثين من علماء اهل السنة مع شرح لاحوالهم).

الشامل للكلمة تعني جميع الذين ادركوه (ﷺ) وكانوا الى جانبه)، وقد اريقت دماء كثيرة بسبب هذه الاختلافات ووقعت حروب رهيبة، فاي منطق يرتضي لنا ان نعتبر فرقتين متخاصمتين وكل منهما متعطش لدم الآخر، انوار هداية، ونخير الناس بأن لا فرق بالنسبة لكم في ان تلتحقوا بعسكر امير المؤمنين (عليه السلام) أو بعسكر معاوية؟ أي: أن الامر سيان للقوم في حرب الجمل سواء كانوا مع علي (عليه السلام) أو مع طلحة والزبير! فكلهم انوار هداية ويأخذون بأيديكم الى الجنة؟

فلا عقل يقبل مثل هذا المنطق، والنبي (ﷺ) اسمى وارفع من ان ينسب اليه مثل هذا.

انّ القرائن تبرهن على ان حكام « بني أمية » ومن لف لفهم قد ابتدعوا هذا الحديث ونسبوه الى النبي (ﷺ) من اجل ترسيخ دعائمهم أو اضعاف معنى حديث النجوم والتقليل من أهمية أهل البيت (عليهم السلام)، ليفهموا أهل الشام أن لو كانت حكومة علي (عليه السلام) على الحق ومشعل هداية، فان حكومة معاوية كذلك بحكم كونه من اصحاب رسول الله، فلا فرق في ان تكونوا مع هذا أو مع ذاك والله العالم بحقائق الامور.

٤- حديث «الائمة اثني عشر»

الحديث الآخر الذي يكشف عن منزلة أهل البيت (عليهم السلام) في الولاية والامامة بشكل عام، وبإمكانه الاجابة على الكثير من الاسئلة التي ترد بهذا الصدد، هو ذلك الحديث الذي يذكر ان الائمة اثني عشر وهو من اشهر الاحاديث، وقد نقل في اكثر كتب الصحاح،

وفي البداية نتجه نحو سند الحديث، ومن ثم نتطرق الى مضمونه :
روي هذا الحديث عن جملة من اصحاب رسول الله (ﷺ) اذ تنتهي اكثر الاسانيد الى «جابر بن سمرة»، ثم الى «عبد الله بن مسعود» و«عبد الله بن عمر»، و«عبد الله بن عمرو بن العاص»، و«عبد الملك بن عمير»، و«ابي الجلد»، و«ابي جحيفة» (وهم سبعة اشخاص على الاقل)، إلا ان حفاظ الحديث والذين نقلوه في كتبهم بلغت عشرات الكتب، والآن نلفت انتباهكم الى جانب منها:

١- روي في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة انه قال: «سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «لا يزال الاسلام عزيزاً الى اثني عشر خليفة - ثم قال كلمة لم افهمها! فقلت لابي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش»^(١).

وينقل في هذا الكتاب بسند آخر عن جابر، وجاء: «لا يزال هذا الامر» بدلا عن

«لا يزال هذا الدين عزيزاً»، وجاء في تعبير ثالث وبسند آخر: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً».

ويروى عن عامر بن سعد بن أبي وقاص بتعبير رابع: انني كتبت الى جابر بن سمرة أن اكتب لي الاخبار التي سمعتها من رسول الله (ﷺ)، فكتب لي: سمعت رسول الله يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثني عشر خليفة كلهم من قريش».

وسمعت ايضاً: «عصيبة من المسلمين يفتحون بيت أبيض، بيت كسرى أو آل كسرى».

وسمعت يقول ايضاً: «ان بين يدي الساعة كذا بين فاحذروهم»^(١).

وعن طريق آخر جاء في صحيح مسلم نفسه عن جابر: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً الى اثني عشر خليفة»، وفي آخر هذا الحديث تلاحظ ايضاً جملة «كلهم من قريش»^(٢).

٢ - جاء هذا الحديث في صحيح البخاري وبعبارات مشابهة، يقول جابر: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول:

«يكون اثني عشر اميراً فقال كلمة لم اسمعها، فقال ابي انه قال كلهم من قريش»^(٣).

٣ - وذكر هذا المعنى في صحيح الترمذي ايضاً مع شيء من الاختلاف، ويقول الترمذي بعد نقله: «هذا حديث حسن صحيح»^(٤).

٤ - كما جاء هذا الحديث في صحيح ابي داود ايضاً مع اختلاف بسيط، ويبرهن

١ - صحيح مسلم: ج ٣، ص ١٤٥٣.

٢ - صحيح مسلم: ج ٣، ص ١٤٥٣.

٣ - صحيح البخاري: المجلد الثالث، الجزء التاسع ص ١٠١ (في الباب الذي اوردته قبل باب اخراج الخصوم وأهل الريب) طبعة دار الجيل، بيروت.

٤ - صحيح الترمذي: ج ٤، ص ٥٠١ (طبعة دار احياء التراث العربي - باب ما جاء في الخلفاء الحديث ٢٢٢٢٣).

نمط الحديث على ان النبي (ﷺ) ادلى به على الملأ العام ، فقد جاء فيه ان النبي (ﷺ) حينما قال : «لا يزال هذا الدين عزيزاً الى اثني عشر خليفة فكبر الناس وضجوا ثم قال كلمة خفية: كلهم من قريش»^(١).

٥ - ذكر هذا الحديث في مسند احمد ايضا وفي عدة موارد ، بحيث عدّ بعض المحققين في هذا الكتاب طرقه الى جابر اربعاً وثلاثين طريقاً^(٢).

وجاء عن « مسروق » أنه قال : كنا جلوساً ليلة عند عبد الله بن مسعود يقرئنا القرآن فسأله رجل فقال: يا ابا عبد الرحمن هل سألت رسول الله (ﷺ) كم يملك هذه الامة من خليفة ؟ فقال عبد الله : ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك ، قال : سأله فقال : « اثني عشر كعدة نقباء بني اسرائيل »^(٣).

مانقلناه اعلاه يتعلق باشهر كتب السنة واكثرها اعتباراً التي نقل فيها عن طرق مختلفة ، ومن بعدها جاء في كتب اخرى ايضاً ، حيث نشير الى اسماء بعضها تجنبنا للاطالة في الحديث ، وبامكانكم الحصول على مزيد من التفصيل في كتب « احقاق الحق » ، و« فضائل الخمسة » ، و« منتخب الاثر » وامثالها .



مضمون حديث « الائمة اثني عشر ﷺ »

انّ التعابير التي جاءت في هذه الروايات متفاوتة ، فقد عبر في بعضها بـ« اثني عشر خليفة » وفي بعض « اثني عشر اميراً » وفي بعض جرى الحديث عن ولاية وحكم اثني عشر رجلاً « ما ولاهم اثني عشر رجلاً » ، ولكن غالباً ما عبر بـ « خليفة » ، وفي بعضها جاء التعبير ايضا بالعدد فقط « اثني عشر كعدة نقباء بني اسرائيل » ، كما

١ - صحيح ابي داود: ج ٤ ص ١٠٣ (طبعة دار احياء السنة النبوية - بيروت كتاب المهدي).

٢ - يراجع كتاب منتخب الاثر: ص ١٢ ، واحقاق الحق: ج ١٣ .

٣ - مسند احمد: ج ١ ، ص ٣٩٨ (طبعة دار الصادق - بيروت).

عبر في بعضها بـ « اثني عشرة قيماً ».

ولكن من الواضح انها جميعا تشير الى مسألة الخلافة والولاية والحكومة ، وبالتالي فهي واحدة .

ومن ناحية اخرى فقد ورد في بعضها : « لايزال هذا الدين عزيزا منيعاً » ، وفي بعض : « لايزال أمر امتي صالحاً » ، وفي بعض : « لايزال أمر هذه الامة ظاهراً » ، وفي بعض : « ماضياً » وفي بعض : « لا يضرهم خذلهم » .

وتعابير اخرى من هذا القبيل حيث تشير جميعها الى حقيقة واحدة وهي : صلاح امر الامة واقتدارهم وظفرهم ونجاتهم .

ومن جهة ثالثة نلاحظ جملة « كلهم من قريش » في اغلب هذه الروايات التي نقلت باساليب مختلفة ، ما عدا بعض الروايات مثل الرواية التي نقلها القندوزي الحنفي في ينابيع المودة اذ ينقل في ذيل هذه الرواية عن كتاب « مودة القريبي » عن « جابر بن سمرة » ان رسول الله (ﷺ) قال : « كلهم من بني هاشم »^(١) .

وجاء في اغلب هذه الروايات ان رسول الله (ﷺ) خفض صوته اثناء ذكره هذه الجملة ، وصرح بها سراً ، وهذا يدل بوضوح ان ثمة اشخاص كانوا يعارضون ان يكون الخلفاء الاثنى عشر لرسول الله (ﷺ) في قريش أو بني هاشم ، مما ادى الى ان يصرح النبي (ﷺ) بذلك بشكل سري !

على اية حال فان تفسير هذا الحديث الشريف الذي ورد في المصادر المشهورة والمعتبرة ونظراً لاعتراف جميع علماء الاسلام به فانه واضح لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) ، وانهم لا يرون معنى له سوى الائمة الاثنى عشر ، الا ان تفسيره بالنسبة لأتباع المذاهب الاخرى اصبح عبارة عن مسألة غامضة ومعقدة ومعضلة ، بنحو يمكن معه القول بكل اطمئنان : ان أياً منهم لم يقدم تفسيراً واضحاً له ، والسر في

ذلك معلوم ، فالخلفاء الاوائل كانوا اربعة ، وحكام بني امية كانوا اربعة عشر ، وبلغ عدد حكام بني العباس سبعاً وثلاثين شخصاً .

وان اياً منهم لم ينطبق عليه حديث « الائمة اثني عشر » ، كما ان الجمع والتميز بينهم لن يحل المشكلة ، الا ان نلغي البعض ونقبل بالبعض الآخر وفقاً لميولنا ، وننتخب اثني عشر منهم بمشقة وعناء ، وهذا ايضاً لا ينسجم مع اي منطق .

من الافضل لنا ان نضع زمام الحديث بيد «الحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي» فهو يقول في الكتاب المعروف « ينابيع المودة » :

قال بعض المحققين: ان الاحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده (ﷺ) اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان علم ان مراد رسول الله (ﷺ) من حديثه هذا الائمة الاثني عشر من اهل بيته وعترته ، اذ لا يمكن ان يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر ولا يمكن ان يحمله على الملوك الاموية لزيادتهم عن اثني عشر ، ولظلمهم الفاحش - إلا عمر بن عبد العزيز - ولكونهم غير بني هاشم ، لان النبي (ﷺ) قال : كلهم من قريش ، في رواية عبد الملك عن جابر واخفاء صوته (ﷺ) في هذا القول يرجح هذه الرواية لانهم لا يحسنون خلافة بني هاشم ، ولا يمكن ان يحمله على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور ولقلة رعايتهم الآية : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ، وحديث الكساء ، فلا بد من ان يحمل هذا الحديث على الائمة الاثني عشر من اهل بيته وعترته (ﷺ) لانهم كانوا اعلم اهل زمانه واجلهم وأورعهم واتقاهم واعلاهم نسباً وافضلهم حسباً واکرمهم عند الله ^(١) .

يقول الدكتور « محمد التيجاني السماوي » الذي كان من أهل السنة ثم اختار التشيع في الكتاب الذي افه حول سبب تشيعه واسماه « لاكون مع الصادقين » في

عدة جمل قصيرة ومفعمة بالمعاني : هذه الاحاديث لا تصح ولا تستقيم الا اذا فسرناها على ائمة اهل البيت الذي تقول بهم الشيعة الامامية ، واهل السنة والجماعة هم المطالبون بحل هذا اللغز اذ ان عدد الائمة الاثني عشر الذي اخرجوه في صحاحهم بقي حتى الان لغزاً لا يجدون له جواباً^(١).

والعجيب ان البعض ارادوا تفسير هذا الحديث الشريف دون الاذعان لاعتقاد اتباع اهل البيت (عليه السلام) في هذا المجال فتعرضوا لعناء مدهش ، فمن ناحية عدوا « يزيد بن معاوية » من الاثني عشر الذين سما بهم الاسلام واصبح مقتدرأ ، ومن ناحية أخرى الفوا عددا من الخلفاء وفقاً لرغبتهم .

وباعتقادنا أنهم لو اختاروا السكوت لكان افضل لهم من هذه التبريرات ، والاعجب من ذلك كله التفسير الذي سمعناه في احدى اسفارنا لحج بيت الله الحرام من أحد علماء مكة وفي المسجد الحرام وهو: ان الائمة الاثني عشر اولهم الخلفاء الاربعة وثمانية منهم سيظهرون في المستقبل !

بينما كل من يقرأ هذا الحديث يعرف ان المراد من الوجود المتتابع للخلفاء الاثني عشر ، والتعابير مثل : « لا يزال هذا الدين منيعاً عزيزاً » ، أو « لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة » تفيد هذا المعنى بجلاء وصراحة بأن سلسلة خلفاء النبي (ﷺ) الاثني عشر ستستمر الى يوم القيامة .

ونختم هذا البحث بحديث عن الحافظ ابي نعيم الاصفهاني في كتاب « حلية الاولياء » فهو ينقل بسنده عن ابن عباس ان النبي (ﷺ) قال : « من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي ، فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليه وليقتد بالائمة من بعدي فانهم عترتي »^(٢).

١ - لأكون مع الصادقين : ص ١٤٦ .

٢ - حلية الاولياء : ج ١ ، ص ٨٦ (وفقاً لنقل الفضائل الخمسة من الصحاح الستة ، ج ٢ ، ص ٣٤) .

ملاحظة :

وثمة ملاحظة مهمة هنا نشير اليها ونترك شرحها للبحوث اللاحقة ، وهي ورود اسماء الائمة الاثني عشر - كما يعتقد به اتباع مذهب اهل البيت - في العديد من الروايات التي نقلت عن طريق السنة والشيعة ، وفي بعض طرق هذه الروايات تمت الاشارة الى اسم اولهم علي (عليه السلام) وآخرهم المهدي (عج) بصيغة اولهم علي وآخرهم المهدي ، وفي بعضها أشير الى ثالثهم أي الامام الحسين (عليه السلام) بهذا الشكل الذي نقل ان رسول الله (ﷺ) اوما اليه وقال :

« هذا ابني امام ابن امام أخو امام ابوا ائمة تسعة^(١) ، وهكذا اشير الى جميع الائمة الاثني عشر ».



لاتخلو الارض من حجة

من المسائل المهمة التي يستند اليها في الروايات هي ان الارض لا تخلو من مندوب عن الله تعالى ، وقد تكرر هذه المضمون في الروايات المتواترة التي وصلتنا عن مصادر اهل البيت (عليهم السلام) ، بان الارض لا تخلو من امام أو «نبي» أو حجة على العموم ، وقد احتوى كتاب الكافي على بابين في هذا المجال ، وروي في باب منهما تحت عنوان : « ان الارض لا تخلو من حجة » ، ثلاثة عشر حديثاً عن الامام الباقر (عليه السلام) والامام الصادق (عليه السلام) والامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وبعض الائمة ، في الباب الآخر تحت عنوان : « انه لو لم يبق في الارض إلا رجلان لكان احدهما الحجة » ،

١ - يقول المرحوم العلامة في كشف المراد (شرح تجريد الاعتقاد): ان هذا الحديث روي بشكل متواتر عن النبي (ﷺ) (كشف المراد: ص ٣١٤ طبعة مكتبة المصطفوي - قم).

ورويت فيه خمسة احاديث بهذا المضمون^(١)، حيث نشير فيما يلي الى بعض هذه الاحاديث الواردة في كلا البابين .

نقرأ في احد الاحاديث الواردة عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال: «ان الارض لا تخلو إلا وفيها إمام كيما أن زاد المؤمنون شيئاً ردّهم وان نقصوا شيئاً أتمّهم لهم»^(٢).

ونقرأ ايضاً في حديث آخر عنه (عليه السلام): «ان الله أجل وأعظم من ان يترك الارض بغير امام عادل»^(٣)، بل ورد في بعض هذه الاحاديث ان الارض اذا خلت من الامام والحجة ساعة واحدة لتزلزلت الارض وساخت باهلها^(٤).

ونقرأ في حديث آخر عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال: «لو كان الناس رجلين لكان احدهما الامام»، «وان آخر من يموت الامام»^(٥).

بالاضافة الى الاحاديث الثمانية عشر اعلاه فقد اشير الى هذا المعنى بصراحة في نهج البلاغة ايضاً، ففي الكلمات المهمة التي قالها الامام علي (عليه السلام) لكميل بن زياد، يقول: «اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة، اما ظاهراً مشهوراً واما خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيئاته»^(٦).

وقد نقل المرحوم العلامة المجلسي ايضاً في الجزء ٢٣ من بحار الانوار في باب «الاضطرار الى الحجة» ١١٨ حديثاً في هذا المجال وهذه الاحاديث الموجودة في اصول الكافي هي قسم منها، وقسم كثير اضيف اليها من سائر الكتب^(٧).

بناءً على ذلك ان قضية وجود حجة على الارض في كل عصر تعتبر من الامور

١- اصول الكافي: ج ١، ص ١٧٨ و ١٧٩.

٢- اصول الكافي: ج ١ الحديث ٢ من الباب الاول.

٣- اصول الكافي: ج ١، الحديث ٦ من الباب الاول.

٤- نفس المصدر: الحديث ١١ و ١٢ و ١٣.

٥- نفس المصدر: الحديث ٣، (باب انه لو لم يبق الا رجلان احدهما الامام).

٦- نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.

٧- بحار الانوار: ج ٢٣، من الصفحة ١ الى ٥٦.

المسلم بها في مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، الى الحد الذي نقرأ في حديث للامام موسى بن جعفر (عليه السلام): «ان الله لا يخلي ارضه من حجة طرفة عين، إما ظاهر وإما باطن»^(١).



الاشارات القرآنية والمنطقية على وجوب الحجة

ان ماجاء في الروايات اعلاه يمكن تطبيقه مع الدليل العقلي ايضاً، لان «برهان اللطف» الذي ورد في مستهل البحث حول لزوم وجود الامام أو النبي في كل عصر وزمان، وكذلك المفاسد المترتبة على فقدانه تصدق على ذلك في جميع الاحوال حتى لو كان سكان الكرة الارضية شخصين فقط.

تقول قاعدة اللطف: ان الذي خلق الانسان من اجل السعادة والتكامل، والقي على عاتقه التكاليف، من الواجب ان يهيء مقدمات هداية الانسان وتربيته، وان يضع تحت تصرفه مستلزمات بلوغ هذا الهدف لانه لو لم يفعل هكذا فقد نقض الغرض، ومن المستحيل ان يفعل الله الحكيم هكذا.

لاشك في ان وجود العقل أو القادة العاديين لا يصون الانسان من الاخطاء والزلات والمعاصي، وبتعبير آخر: ان علم الانسان لا يستطيع لوحده ارشاد الانسان الى غايته، أي طاعة الله والسعادة الابدية، بل بالاضافة الى ذلك فهو يحتاج الى من يرتبط بالعلم الالهي والمعصوم من الخطأ والزلل والمعصية، ليتسنى له اتمام الحجة وتوضيح السبيل للناس تاماً.

ان هذا البرهان يصدق في كل عصر وزمان، ولكل مجتمع كبيراً كان ام صغيراً حتى ولو كان من شخصان، وعليه فلو لم يكن في الارض الا شخصين فاحدهما

النبي أو الامام المعصوم .

على أية حال فكما قرأنا في الروايات الآتية ان الله أجل من أن يكلف الناس بلوغ مقام السعادة من دون أن يرشدهم الى الطريق الصحيح الذي يخلو من الخطأ . يلاحظ في بعض آيات القرآن اشارات الى هذا المعنى ايضاً .

فالأية الكريمة : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد - ٧) . تدل على ان لكل قوم في كل عصر وزمان هادياً ، (هادٍ بالمعنى الحقيقي للكلمة حيث يجسد الهداية الكاملة والخالية من كل خطأ) ، من هنا نقرأ في الحديث الوارد عن الامام الباقر (عليه السلام) ، اذ قال في تفسير هذه الآية : «... وفي كل زمانٍ امامٌ منا يهديهم الى ما جاء به رسول الله ﷺ» ^(١) .

والتعبير الذي جاء في نهج البلاغة يضم في ثناياه دليلاً منطقياً ايضاً ، وهو : ان احد واجبات هو الامام المحافظة على آثار النبوة والتعاليم الالهية من كل تحريف ، ويتعبير آخر : لو فرضنا ان كل من على الارض كفروا فلا بد من وجود شخص يحافظ على تعاليم وآثار النبوة وينقلها الى الاجيال القادمة التي تريد سلوك سبيل الهداية ، والأفان الحجج الالهية تُمحى وتزول ، وتنتهي دلائله وبياناته «لئلا تبطل حجج الله وبياناته» .

وهنا نصل الى خاتمة البحوث المتعلقة بالولاية العامة ، والآن نتطرق الى شروطها وخصائصها .

الشروط والصفات الخاصة بالإمام

تمهيد :

نظراً للمسؤوليات الخطيرة الملقاة على عاتق الامام وخليفة النبي (ﷺ)، فلا بد بطبيعة الحال من ان تتوفر فيه شروط صعبة .

وتلك الشروط تشابه الى حد ما شروط وخصائص النبي (ﷺ) لانهما يسيران في طريق واحد، ويتحلمان نوعاً واحداً من المسؤولية، فالنبي (ﷺ) يتقدم في المرحلة الاولى والائمة يتابعونه في المراحل اللاحقة .

وكما تحدثنا في بحث النبوة، فالنبي وبحكم المسؤولية المهمة الملقاة على عاتقه يجب ان يتمتع بعلم واسع في كل مجال ، ليستطيع انقاذ البشر من اخطار الضلالة ، ويهديهم في القضايا العقائدية والاخلاقية والاحكام والانظمة الاجتماعية الى ما فيه خيرهم وسعادتهم وكمالهم ، ويوضح الاحكام الالهية بلا نقص أو زيادة .

اضف الى هذا فلا بد أن يتمتع باطلاع عن روح وجسم الانسان ، والمسائل النفسية والاجتماعية ، وتاريخ المجتمع البشري ، والخلاصة أن يتمتع بما يساعد على معرفة الناس الذين يحتاجون الى التربية، بل وتم التوضيح في بحث علم الانبياء ووجوب تمتعهم بالعلم بما يخص وقائع المستقبل نوعاً ما ، ليتسنى لهم وضع الخطط الدقيقة لذلك لشمولية رسالتهم (للمزيد من التوضيح بهذا الصدد

راجعوا الجزء السابع من نفحات القرآن ، بحث المقام العلمي للانبياء ص ٢٠ الى (٢٦٦).

وهذه الامور تصدق بالنسبة لائمة الحق وخلفاء الانبياء ايضاً مع شيء من التفاوت لانهم يواصلون طريق الانبياء وخطهم ، وكل ما يشرع به اولئك يواصله هؤلاء ، وكل ما اقامه الانبياء يصونه ويكملة الائمة (عليهم السلام) فالشتائل التي غرستها سواعد الانبياء تسقى بسواعد الائمة (عليهم السلام).

ومن جهة اخرى فالائمة الصالحون كالانبياء يجب ان يوصلوا ما يعلمونه الى الناس سالما من الخطأ والزلل والانحراف ، واذا لم يكونوا معصومين لانتحقق الغاية من وجودهم .

ومن ناحية ثالثة فالانبياء وبمقتضى مقام القيادة في الدين والدنيا لابد وان يكونوا ذوي أخلاق فاضلة وصفات محمودة ظاهرة كانت أو باطنية لئلا يتذمر منهم الناس ولكي تثمر الاهداف من بعثتهم ولا يعرض امرٌ ينقض الغاية .

هذا الامر يصدق بحق الائمة (عليهم السلام) تماماً ، فهم لا ينبغي عليهم التنزه عن اسباب التذمر فحسب ، بل لابد من توفر الجاذبيات الاخلاقية لديهم بالقدر الكافي لجذب القلوب والعقول ، وهنا لابد اولاً من البحث في علم الامام .



علم الامام

يشير القرآن الكريم الى هذه المسألة في عدة آيات :

فيقول في مكان : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء - ٨٣).

ويقول في آية اخرى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل - ٤٣).

(الانبياء).



تدل الآية الاولى على ان هناك اشخاصاً بين المسلمين كانوا يسلكون - وبلا وعي منهم - سبيل بث الشائعات التي يثيرها اعداء الاسلام احياناً ، فتارة يثيرون اشاعة الانتصار ، واخرى اشاعة الهزائم ، أو سائر الاشاعات ، وسبب هذا الامر الغفلة والجهل ، وقد يتسبب في انهيار معنويات المسلمين ، يقول القرآن : على المسلمين ان يراجعوا النبي (ﷺ) أو اولي الامر في مثل هذه المسائل الاجتماعية المهمة

التي يجهلونها .

اولي الامر تعني اصحاب القرار، ومن المسلم به انها لا تعني هنا القادة الحربيين ، لانه تعالى يقول بعد ذلك ما معناه : ان الذين يستنبطون الاحكام (اي الذين يبحثون القضايا من اصلها) يمتلكون الاطلاع حول هذه الامور، وعلى الذين يجهلون مراجعة هؤلاء). تأملوا جيداً فان «يستنبطونه» من مادة «نَبَطَ» - على وزن «فَقَطَ» - وتعني في الاصل الماء الاول الذي يستخرجونه من البئر ويتفجر من باطن الارض ، لذا يقال للحصول على الحقيقة من مختلف الادلة والقرائن ، استنباط). وهذا التعبير صادق بحق العلماء فقط ، لا قادة الجيش ولا الامراء ، من هنا فانه تعالى يكلف المسلمين بالرجوع الى العلماء وأولي الامر في المسائل الحساسة والمصيرية .

لكن ما المقصود هنا من «اولي الامر»؟ ثمة جدل بين المفسرين ايضاً، فبعض فسرهما بمعنى امراء الجيش لاسيما الجيش الذي فيه رسول الله (ﷺ)، وبعضٌ بمعنى العلماء والفقهاء، وبعضٌ بالخلفاء الاربعة، وبعضٌ بمعنى اهل الحل والعقد (زعماء المجتمع)، وطائفة اعتبرتهم الائمة المعصومين (عليهم السلام).

والظاهر ان التفسير الاخير اكثر ملائمة من البقية، فقد ذكرت خصلتان لاولي الامر في ذيل الآية لا يمكن لهما ان تصدقا على غير المعصوم .

الاولى ما يقوله تعالى بما معناه : ولوروده الى اولي الامر لارشدهم اولئك الذين يعلمون اصول القضايا وظاهر هذا التعبير ان علمهم غير مختلط بالجهل والشك، وهذا الامر لا يصدق على غير المعصومين .

والثانية هي انه تعالى يعدُّ وجود اولي الامر نوعاً من الفضل والرحمة الالهية حيث تحول طاعتهم دون اتباع الناس للشيطان : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

من الواضح ان اتباع المعصومين فقط الذي بإمكانه الحؤول دون ضلال الانسان واتباعه للشياطين بنحو حازم ، لان غير المعصومين ربما ينزلون ويقعون في الخطأ والمعصية ويصبحون العوبة بيد الشيطان !

لهذا فقد فسرت اولي الامر في هذه الآية في العديد من الروايات التي وصلتنا عن طرق اهل البيت (عليه السلام) واهل السنة بمعنى الاثمة المعصومين .

ففي رواية ينقل المرحوم الطبرسي في مجمع البيان عن الامام الباقر (عليه السلام) قوله: «هم الاثمة المعصومون»^(١) .

ونقرأ في الحديث الذي نقل في تفسير العياشي عن الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام): «يعني آل محمد، وهم الذين يستنبطون من القرآن ويعرفون الحلال والحرام وهم حجة الله على خلقه»^(٢) .

ونقرأ في الحديث الآخر الذي نقل في «كمال الدين» للصدوق عن الامام الباقر (عليه السلام): ومن وضع ولاية الله واهل استنباط علم الله في غير اهل الصفوة من بيوتات الانبياء فقد خالف امر الله^(٣) .



أما فيما يتعلق بالآية الثانية أي: ﴿فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون﴾ الواردة في سورتين من القرآن الكريم (النحل - ٤٣ والانباء - ٧) فهي توعد الى الجميع بسؤال اهل الذكر عن الامور التي يجهلون بها.

فمما لا شك فيه ان الذكر هنا بمعنى العلم والاطلاع، واهل الذكر تشمل العلماء

١ - مجمع البيان : ج ٣ ، ص ٨٢ .

٢ - تفسير كنز الدقائق : ج ٣ ، ص ٤٨٦ .

٣ - نفس المصدر : ص ٤٨٦ .

والمطلعين بشكل عام ، وعلى هذا الاساس فقد استدل بهذه الآية بشأن التقليد ورجوع الجاهل للعالم ، الا ان المصداق الكامل لها هم الذين يستلهمون علمهم من علم النبي (ﷺ) والباري جل وعلا ، فعلمهم علم منزه من الخطأ والزلل ، علمٌ مقترن بالعصمة ، لهذا فقد فسرت هذه الآية باهل البيت (عليهم السلام) والائمة المعصومين ، منها ما نقرأه في الرواية عن الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في اجابته عندما سئل عن الآية: نحن اهل الذكر ونحن المسؤولون^(١) .

والجدير بالذكر ان نفس هذا المطلب أو ما يقاربه قد نقل عن التفاسير الاثني عشر لاهل السنة ، (المراد من التفاسير الاثني عشر، تفسير «ابو يوسف» و«ابن حجر» و«مقاتل بن سليمان» وتفسير «وكيع بن جراح» وتفسير «يوسف بن موسى القطان» وتفسير «قتادة» وتفسير «حرب الطائي» وتفسير «السدي» وتفسير «مجاهد» وتفسير «مقاتل بن حيان» وتفسير «ابي صالح» وتفسير «محمد بن موسى الشيرازي»).

فقد روي في هذه التفاسير عن ابن عباس ان المراد من الآية « فاسألوا اهل الذكر هو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ، هم اهل الذكر والعلم والعقل والبيان ، وهم اهل بيت النبوة »^(٢) .

وملخص الكلام هو: بالرغم من سعة مفهوم الآية ، الا ان نموذجها الكامل والشامل لا يتصور الا في الائمة المعصومين (عليهم السلام) المنزه علمهم من الخطأ والزلل ، ومن هنا يتضح عدم معارضة نزول الآية بشأن علامات الانبياء السابقين ، والتوراة ، والانجيل ، والسؤال من علماء اليهود والنصارى ، مع ما قيل في معنى الآية .

١ - تفسير البرهان : ج ٢ ، ٣٦٩ .

٢ - احقاق الحق : ج ٣ ، ص ٤٨٢ .

ملاحظة :

كما ذكرنا في بحث علم الانبياء في الجزء السابع من هذه المجموعة ، فان الانبياء المكلفين بهداية الناس في جميع الجوانب المادية والمعنوية ، الذين يمتد حدود واجبهم الى الجسم والروح والدنيا والاخرة ، يجب ان يكونوا على جانب كبير للغاية من العلم ليتسنى لهم انجاز هذا الواجب على احسن وجه .

والائمة الذين هم خلفاء النبي يحظون بهذا الحكم ايضاً ، فلا بد من امتلاكهم لعلم يناسب واجبهم العظيم ليطمئن اليهم الناس ويسلمونهم دينهم . ويجب ان يكون هذا العلم منزهاً من الخطأ والعيب والتزل ، والا فانه لا يحظى بثقة الناس ، ويسمح الناس لانفسهم بتقديم بعض آرائهم على آراء النبي أو الامام ، باعتبار ان النبي والامام يخطأ ايضاً ولا ينبغي التسليم له مطلقاً ، اذن فالثقة المطلقة تتبع عصمتهم .

يقول القرآن الكريم بشأن امام بني اسرائيل « طالوت » : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ (البقرة - ٢٤٧) .

من هنا يقول تعالى في مقابل مزاعم بني اسرائيل الذين كانوا يقولون : ان طالوت من عائلة فقيرة ومجهولة ، وانه خالي اليدين من مال الدنيا : ان الاساس الحقيقي للحكم الالهي هو « العلم » و « القدرة » حيث وهبه الله ما يكفيه منهما .

وفيما يتعلق بيوسف (عليه السلام) عندما يصف نفسه بالاهلية للتصدي لجانب من حكم مصر ، أي ادارة بيت المال ، فهو يستند الى العلم والامانة : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ . (يوسف - ٥٥) .

بل كما قلنا سابقاً بشأن علم الانبياء لابد أن يتمتعوا بجانب من علم الغيب على الاقل ليتسنى لهم القيام بواجبهم على احسن وجه ، وأن الذي يصدق بحقهم يصدق

بحق الائمة ايضاً.

ان تكليفهم عالمي ايضاً ، فلا بد ان يكونوا مطلعين على اسرار العالم ، وواجبهم مرتبط بالماضي والمستقبل ، فكيف يمكنهم اداء رسالتهم جيداً اذا كانوا يجهلون الماضي والمستقبل ، وان يضعوا الخطط لجميع الناس ؟

ان حدود رسالتهم تشمل ظاهر وباطن المجتمع ، والناس ، فمن المتعذر انجاز هذه الامور المهمة بدون العلم بالغيب ، وهذا ماورد بتعبير لطيف للغاية في حديث الامام الصادق (عليه السلام):

يقول (عليه السلام) «مَنْ زَعَمَ ان الله يحتج بعبد في بلاده ثم يستر عنه جميع ما يحتاج اليه فقد افترى على الله»^(١).

نعم فالعلم باسرار العالم حالياً وفي الماضي والمستقبل هو في واقع الامر السبيل الى انجاز الرسالة المهمة في هداية البشر والتحول الى حجة لله تعالى . ومختصر الكلام هو ان اول شرط للتصدي لمقام الامامة هو العلم والاطلاع والالمام بجميع العلوم الدينية ، وحوائج الناس ، وكل مايلزم في أمر تعليم وتربية وهداية وادارة المجتمع الانساني ، ومن المستحيل اداء هذه المسؤولية بدون مثل هذا العلم .

مصادر علم الأئمة !

من الامور المهمة الجديرة بالدقة والاهتمام فيما يتعلق بعلم الائمة المعصومين (عليه السلام)، مصادر علم الائمة (عليه السلام). اذ من اين يحصل لهم هذا الاطلاع الواسع على امور الدين والدنيا، وبالتسليم بان الوحي لا ينزل عليهم، وان ابواب الوحي بعد وفاة خاتم الانبياء (عليه السلام) قد أوصدت والى الابد، فكيف يطلعون على مسائل الشريعة ومصالح الاسلام والمسلمين والحقائق المتعلقة بالماضي والمستقبل التي تعتبر ضرورية في أمر هداية الأمة ؟

من الممكن معرفة هذه المصادر جيداً من خلال الاشارات التي وردت في آيات القرآن والبيانات المفصلة والواسعة التي جاءت في الروايات .



ان هذه المصادر متنوعة وكثيرة نذكر بعضاً منها :

١ - العلم الكامل بكتاب الله بنحو يلمون بمعرفة تفسيره وتأويله وباطنه

وظاهره ومحكمه ومتشابهه .

يقول القرآن الكريم: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا تَبَيَّنِي وَبَيِّنْكُمْ ﴾ (الرعد - ٤٣).

يتضح من خلال هذه الآية ان هناك شخصا لديه علم الكتاب جميعاً (انتبهوا الى ان علم الكتاب قد جاء بشكل مطلق ، وشامل لجميع العلوم المتعلقة بعلم الكتاب ، على العكس مما ورد في الآية ٤٠ من سورة النحل ، قال : ﴿ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرَفُكَ ﴾ .

من المسلم به ان كتاب الله معين لا ينضب من العلوم ، وان العلم به مفتاح لجميع الامور ، فعندما يستطيع « آصف بن برخيا » وزير سليمان على القيام بهذا العمل المهم نتيجة لعلمه ببعض الكتاب ، ويأتي بعرش ملكة سبأ بطرفة عين من اقصى جنوب الجزيرة العربية (اليمن) الى اقصى شمالها (الشام مركز حكومة سليمان) ، فمن المسلم به ان الذي عنده جميع علم الكتاب يستطيع القيام باعمال اهم من ذلك كثيراً ، ولكن من الذي عنده علم الكتاب ؟ يشير القرآن الكريم الى ذلك اشارة غامضة .

فقال البعض : ان المراد هو الله تعالى (وعلى هذا سيكون عطف جملة «عنده علم الكتاب» عطفاً تفسيرياً وهذا يخالف ظاهر الكلام).

كما قال عدد من المفسرين : المراد منه هم علماء اهل الكتاب واشخاص كسلمان ، وعبد الله بن سلام الذين كانوا قد شاهدوا علامات النبي (ﷺ) في الكتب السماوية السابقة ويشهدون بحقانيته (ﷺ).

الا ان اغلب المفسرين نقلوا في كتبهم ان هذه الآية اشارة الى علي بن ابي طالب (عليه السلام) وائمة الهدى .

يروى المفسر الشهير القرطبي في تفسير هذه الآية عن عبد الله بن عطاء ان قلت لابني جعفر علي بن الحسين (عليه السلام) : ان الناس يظنون ان الذي عنده علم الكتاب هو

عبد الله بن سلام ، فقال : « انما ذلك علي بن ابي طالب رض الله عنه » ، هو علي بن ابي طالب فقط ، وكذلك قال محمد بن الحنفية ^(١) .

والجدير بالذكر ان هذه السورة (سورة الرعد) نزلت في مكة والحال ان عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وسائر علماء اهل الكتاب اسلموا في المدينة .

وقد ورد هذا الكلام عن سعيد بن جبيرة ايضاً عندما سئل : هل ان «مَنْ عنده علم الكتاب» هو عبد الله بن سلام ؟ قال : كيف يكون هو وهذه السورة مكية ^(٢) ؟

كما ينقل الشيخ سليمان القندوزي الحنفي ^(٣) في «ينابيع المودة» عن «الثعلبي» و «ابن المغازلي» عن «عبد الله بن عطاء» : كنت مع محمد الباقر (عليه السلام) في المسجد ورأيت ولد عبد الله بن سلام فقلت : هذا ابن مَنْ عنده علم الكتاب ، فقال : هذه الآية بحق علي بن ابي طالب (عليه السلام) ^(٤) .

وقد رويت في نفس الكتاب رواية اخرى عن عطية العوفي عن «ابي سعيد الخدري» قال : سألت رسول الله (ﷺ) عن آية «الذي عنده علم من الكتاب» ، فقال (ﷺ) : هو وزير اخي سليمان ، ثم سألته عن آية «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» ، فقال (ﷺ) : ذاك اخي علي بن طالب (عليه السلام) ^(٥) . ونقرأ ايضاً في رواية اخرى عن ابن عباس انه قال : مَنْ عنده علم الكتاب انما هو علي ، لقد كان عالماً بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ ^(٦) .

وملخص الكلام هو : لا يمكن تفسير الآية اعلاه بعلماء اهل الكتاب ابدأً ، بسبب نزول هذه السورة في مكة ، وهؤلاء اسلموا بعد الهجرة في المدينة ، واستناداً الى

١ - تفسير القرطبي : ج ٥ ، ص ٢٥٦٥ .

٢ - الدر المنثور : ج ٤ ، ص ٦٩ .

٣ - قندوز مدينة شمال افغانستان نسب اليها هذا العالم السني .

٤ - ينابيع المودة : ص ١٠٢ .

٥ - نفس المصدر : ص ١٠٣ .

٦ - ينابيع المودة : ص ١٠٤ .

الروايات الآتية فهي بحق علي (عليه السلام) ومن بعده تشمل (سائر الائمة المعصومين عليه السلام).

نعم، فهذا العلم الواسع بالقرآن الكريم واسراره، ودقائقه، وظاهره وباطنه، هو أحد المصادر الرئيسة لعلم الائمة المعصومين (عليهم السلام) ^(١).

ومن شواهد هذا المعنى قول الآية الكريمة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران - ٧).

وللتوضيح: ثمة جدل بين المفسرين بأن هل «الراسخون في العلم» معطوفة على «الله» أي ليس هنالك من يعلم تأويل القرآن سوى الله «والراسخون في العلم»، أم انها مطلع جملة مستقلة؟ وعليه فان مفهوم الآية يكون هكذا: لا يعلم تأويل القرآن غير الله، أما الراسخون في العلم فيقولون: وان كنا لانعلم تأويل الآيات المتشابهة، إلا أننا نسلم امامها.

وما يؤيد المعنى الاول هو أولاً: من المستبعد ان تكون في القرآن اسرار لا يعلمها الا الله فقط، فالقرآن نزل لتربية الناس وهدايتهم، ولا معنى في ان تكون في هذه الكتاب آيات وجمل لا يعلم مقصودها الا الله تعالى.

ثانياً: كما يقول المفسر الكبير «الطبرسي» في «مجمع البيان»: لا يوجد بين المفسرين من يقول بأن الآية الفلانية لا يعلم معناها إلا الله، بل انهم يسعون دائماً لكشف اسرار الآيات بطرق مختلفة، منها احاديث المعصومين (عليهم السلام)، وفي الواقع ان هذا الكلام يناقض اجماع المفسرين.

ثالثاً: اذا كان المقصود هو التسليم بدون علم فيجب ان يقال «الراسخون في الايمان، لا الراسخون في العلم»، فالذي لا يعرف شيئاً كيف يمكن تسميته راسخاً

١ - وردت عن اهل البيت (عليهم السلام) روايات عديدة في هذا المجال، فللمزيد من الاطلاع راجعوا كتاب كنز الدقائق: ج ٦، ص ٤٨٠ وتفسير البرهان ذيل الآية محل البحث.

في العلم ؟

رابعاً: جاء في عدة روايات ان «الراسخون في العلم ، يعلمون تأويل القرآن» وهذا دليل على ان هذه العبارة عطف على لفظ الجلالة «الله».

فنقرأ في حديث عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال: «الراسخون في العلم امير المؤمنين والاثمة من بعده»^(١).

وجاء في رواية اخرى عنه (عليه السلام) انه قال : نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله^(٢).

ونقرأ في رواية اخرى ايضاً، ان الامام الباقر (عليه السلام) (أو الامام الصادق عليه السلام) قال في تفسير الآية : « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم » : فرسول الله افضل الراسخين في العلم ، قد علمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله ، واوصيائه من بعده يعلمونه كله^(٣).

وهناك روايات عديدة اخرى بهذا الصدد تؤيد هذا المعنى المفهوم^(٤).

من خلال البراهين الاربعة التي ذكرناها آنفا - وكل برهان منها يكفي لاثبات الغرض - لا يبقى شك في ان عبارة « والراسخون في العلم » معطوفة على «الله» ومعناها علمهم بالتأويل وباطن الكتاب.

والجدير بالذكر ان التعبير بـ «الراسخون في العلم» جاء مرتين في القرآن الكريم ، فمرة جاء في الآية محل البحث (آل عمران - ٧) ، ومرة في الآية ١٦٢ من سورة النساء حيث يقول تعالى بعد أن ذم افعال أهل الكتاب (اليهود والنصارى) القبيحة المتمثلة باكل الربا ونهب اموال الناس :

١ و ٢ - اصول الكافي: ج ١ ، ص ٢١٣ ، الحديث ١ و ٣.

٣ - نفس المصدر: الحديث ٢.

٤ - للمزيد من التوضيح ، يراجع كتاب جامع الاحاديث: ج ١ ، ص ٢٧ وتفسير كنز الدقائق : ص ٤٢ - ٤٥ و اصول الكافي: ج ١ ، ص ٤١٥.

﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ .

ويبدو أن الذين ذكروا اسم «عبد الله بن سلام» وامثاله من علماء اهل الكتاب - الذين اسلموا - في تفسير الراسخين في العلم يقصدون هذه الآية (الآية ١٦٢ من سور النساء) لا الآية ٧ من سورة آل عمران، لان الآية التي تتحدث حول علماء اهل الكتاب الآية الاولى، أما الآية التي هي محل بحثنا (الآية ٧ من سورة آل عمران) فلا علاقة لها بقضية اهل الكتاب، (تأملوا جيداً).

كما تتضح هنا نكتة مهمة اخرى وهي : ان ما ورد في خطبة الاشباح في نهج البلاغة حيث يقول (عليه السلام): واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم الله عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب لاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب^(١)، ربما يكون اشارة الى آية سورة النساء ايضا، حيث يتحدث عن تسليم بعض علماء اهل الكتاب والمؤمنين بلا قيد أو شرط امام القرآن وسائر الكتب السماوية، لا الآية من سورة آل عمران (تأملوا جيداً كذلك).

وملخص الكلام ان ظاهر الآية ٧ من سورة آل عمران يقول : ان الله والراسخين في العلم يعلمون تأويل القرآن، ونظراً الى ان المقصود من الراسخين في العلم هم النبي (ﷺ) والائمة المعصومون (عليهم السلام) بالدرجة الاولى، اذن يُعرف أحد مصادر علمهم وهو القرآن الكريم وتأويله وتفسير وظاهره وباطنه.

ونختتم هذا الحديث باشارة اخرى الى آيات القرآن الكريم فنقرأ في الآية ٤٩ من سورة العنكبوت : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ ، ففي مصادر اهل البيت (عليهم السلام) تلاحظ روايات كثيرة بصدد تفسير جملة « الذين اوتوا العلم » في هذه الآية بالائمة المعصومين بعد النبي (ﷺ).

وللمزيد من الاطلاع راجعوا بحار الانوار وتفسير البرهان^(١).

٢- الوراثية من النبي (ﷺ)

المصدر الثاني من مصادر علوم الاثمة المعصومين (عليه السلام) هو الوراثية من النبي (ﷺ)، بمعنى ان النبي (ﷺ) قد علم علياً (عليه السلام) جميع العلوم وشرائع الاسلام، واستنادا الى بعض الروايات فان علياً (عليه السلام) قد كتب ذلك في كتاب بخط يده وانتقل هذا العلم الى اولاده اي الاثمة المعصومين (عليه السلام) نسلاً بعد نسل.

أو بتعبير آخر - كما ورد في الروايات - ان النبي (ﷺ) علم علياً (عليه السلام) الف باب من العلم يفتح من كل باب الف باب.

وقد احتوى في كتاب الكافي على روايات عديدة في هذا المجال، منها ما قرأه في حديث عن ابي بصير حيث يقول: سألت الامام الصادق (عليه السلام) ان شيعتكم يقولون: ان رسول الله (ﷺ) علم علياً (عليه السلام) بابا من العلم يفتح منه الف باب، قال الامام (عليه السلام): «علم رسول الله علياً الف باب يفتح من كل باب الف باب».

ثم قال (عليه السلام): يا أبا بصير! ان عندنا الجامعة... قلت وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (ﷺ) واملائه، من فلق فيه، وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس اليه حتى الارش من الخدش^(٢).

والجدير بالذكر انه قد روت روايات لاحصر لها في اشهر كتب السنة والشيعة حول الحديث المعروف بـ «مدينة العلم» ن ومن جملة رواة هذا الحديث «ابن عباس» و «جابر بن عبد الله» و «عبد الله بن عمر» و «علي (عليه السلام)».

ومن الذين نقلوا هذا الحديث في كتبهم هم «الحاكم النيشابوري» في

١- بحار الانوار: ج ٢٣، ص ١٨٨ - ٢٠٨ وتفسير البرهان: ج ٣، ص ٢٥٤ - ٢٥٦ (لقد روي في هذين الكتابين ما يقارب عشرين حديثاً بهذا الصدد).

٢- اصول الكافي: ج ١، ص ٢٣٩.

«المستدرک»، و«ابو بکر النیشابوری» فی «تاریخ بغداد» و«ابن المغازلی» فی «مناقب
أمیر المؤمنین (علیه السلام)»، والکنجی فی «کفاية الطالب» و«الحموینی» فی «فرائد
السمطین» و«الذهبی» فی «میزان الاعتدال» و«القندوزی» فی «ینابیع المودة»،
و«النبهانی» فی «الفتح الکبیر» وطائفة أخرى^(١).

ونقرأ ایضاً فی عدة روايات بصریح القول ان ائمة اهل البيت (علیهم السلام) كانوا
یقولون: مانقله بامكانك ان تنقله عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)، لاننا سمعنا كل ذلك عن
اجدادنا عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)! (تأملوا جيداً).

فقد سأل احد اصحاب الامام الصادق (علیه السلام): ربما نسمع حديثاً منك، ثم نشك
فی هل اننا سمعناه منك ام من أبیک؟

فقال (علیه السلام): « ماسمعته مني فاروه عن ابي، وما سمعته مني فاروه عن رسول
الله (صلی الله علیه و آله و سلم) »^(٢).

ویقول فی مكان آخر ایضاً: « حديثي حديث ابي، وحديث ابي حديث جدي،
وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن
حديث امير المؤمنين (علیه السلام) وحديث أمير المؤمنين (علیه السلام) حديث رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)
وحديث رسول الله قول الله عز وجل »^(٣).

وجاء عنه (علیه السلام) فی رواية أخرى حيث قال بصریح العبارة: « مهما اجبتك فيه
بشيء فهو من رسول الله لسنا نقول برأينا من شيء »^(٤).

١ - للمزيد من الاطلاع راجعوا احقاق الحق: ج ٥، ص ٤٦٨ - ٥٠١ وللإطلاع على مصادر هذا الحديث في
كتب الشيعة راجعوا كتاب جامع الاحاديث: الطبعة القديمة، ص ١٦ وما بعدها.

٢ - جامع الاحاديث: ج ١، ص ١٧، الحديث ٤، باب حجية فتوى الائمة.

٣ - نفس المصدر: الحديث ١.

٤ - نفس المصدر: الحديث ٧ (وتوجد احاديث أخرى ايضاً بهذا الصدد في نفس الكتاب).

٣- الاتصال بالملائكة

من مصادر علم الائمة ، اتصالهم بالملائكة ، لا بمعنى انهم كانوا من الانبياء والرسل ، فاننا نعلم ان نبي الاسلام (ﷺ) كان خاتم الانبياء والرسل ، وبوفاته انقطع الوحي ، بل انهم كانوا كـ«الخضر» و«ذي القرنين» و«مريم» ، حيث كانوا على اتصال بالملائكة بناءً على ظاهر آيات القرآن ، وكانت الحقائق تلقى في قلوبهم من خلال عالم الغيب .

جاء عن الامام الباقر (عليه السلام) انه قال : «انّ علياً كان مُحدثاً» ؟ وعندما طلبوا منه (عليه السلام) معرفة من يحدثه قال : يحدثه ملك ، ولما سأله : هل كان نبياً ؟ فاوماً بيده بالنفي والانكار ، ثم اضاف : كصاحب سليمان ، أو كصاحب موسى ، او كذي القرنين^(١) ، (هناك روايات عديدة ايضاً بهذا المجال)^(٢) .

٤- لقاء روح القدس

المصدر الرابع لعلم الائمة هو فيض روح القدس .
وتوضيح ذلك ان الحديث قد تكرر في آيات القرآن عن تأييد «روح القدس» فقد ورد ثلاث مرات بشأن المسيح (عليه السلام)^(٣) ، ومرة واحدة بشأن النبي (ﷺ)^(٤) .
فمن هو أو ما هو «روح القدس» ؟ ثمة جدل كثير بين المفسرين ، فقد فسره جماعة من المفسرين بـ«جبرائيل» ، وفسر بالروح المقدسة الطاهرة للمسيح (عليه السلام) ، أو بمعنى الانجيل الذي انزل عليه ، وتارة قالوا : ان المراد هو اسم الله الاعظم الذي

١- اصول الكافي : ج ١ ، ص ٢٧١ .

٢- نفس المصدر .

٣- البقرة : ٨٧ و ٢٥٣ ، والمائدة : ١١٠ .

٤- البقرة : ١١٠ .

كان المسيح يحيي به الموتى^(١).

ولكن يستفاد من تعابير القرآن الكريم ، وكذا مختلف الروايات ، ان روح القدس له عدة معان وربما يحمل معنى خاصاً في كل مكان ، ففي احدى آيات القرآن الكريم: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (النحل - ١٠٢) ، يعني بحسب الظاهر «جبرئيل» الذي كان ينزل بالقرآن على النبي (ﷺ) من قبل الله تعالى .

لكن يبدو انه يحمل مفهوماً آخر في الموارد الثلاثة الاخرى والتي جميعها بحق المسيح (ﷺ) ، فالتعبير « اذ ايدتك بروح القدس » - أو - « وايدناه بروح القدس » يدل على انه اشارة الى الروح التي كانت ترافق المسيح (ﷺ) وتؤيده وتسدده .

وفهم من الروايات التي وردت في مصادر اهل البيت (عليهم السلام) ان روح القدس هي الروح التي كانت مع الرسل والانبياء والمعصومين (عليهم السلام) دائماً ، وكانت تنقل اليهم الامدادات الغيبية في مختلف الحالات ، بل يستفاد من الروايات العديدة التي وردت في مصادر السنة ايضاً ، انهم كانوا يقولون احياناً للكلام أو الشعر ذي المغزى الذي يصدر عن شخص ما: « كان هذا بتأييد من روح القدس » .

ومن هذا الكلام ما نقرأه في الرواية الواردة في تفسير الدر المنثور بأن النبي (ﷺ) قال بحق الشاعر الاسلامي المعروف «حسان بن ثابت» : « اللهم أيد حسناً بروح القدس كما دافع عن نبيه »^(٢).

ونقرأ بشأن شاعر أهل البيت المعروف «الكميت بن زيد الاسدي» ان الامام الباقر (عليه السلام) قال له : كما قال رسول الله (ﷺ) لحسان بن ثابت ، « لن يزال معك روح

١ - جاءت هذه المعاني الاربعة في تفسير كنز الدقائق ، ج ٢ ، ص ٧٨ ، ولكن في بعض التفاسير المعروفة ذكر التفسير الاول فقط ، واكتفى في تفسير الرازي بذكر ثلاثة معانٍ وهي : جبرئيل ، والانجيل ، والاسم الاعظم (تفسير الفخر الرازي : ج ٣ ، ص ١٧٧).

٢ - الدر المنثور : ج ١ ، ص ٨٧ (ذيل الآية ٨٧ من سورة البقرة) وجاء في صحيح مسلم : ج ٤ ، ص ١٩ و ٣٢ باب فضائل حسان بن ثابت ما يشبه هذا المضمون .

القدس ما ذبيت عنا»^(١).

وورد في رواية أخرى ان الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بكى كثيراً عندما انشده الشاعر دحبل الخزاعي بعض أبيات قصيدته المعروفة «مدارس آيات» ثم قال له: «نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين»^(٢).

من هنا يتضح جيداً ان «روح القدس» روح معينة تعين الانسان اثناء ادائه للامال المعنوية الالهية، وبطبيعة الحال فانها متفاوتة بتفاوت مراتب الاشخاص، فهي لدى الانبياء والائمة المعصومين تكون فعالة وتعمل بشكل استثنائي واكثر وضوحاً، ولدى الآخرين تكون وفقاً لقابلياتهم وان كنا نفتقد للعلم بماهيتها وتفاصيلها.

وجاء عن الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ انه قال: فالسابقون هم رسل الله (عليه السلام) وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة ارواح، أيديهم بروح القدس فيه عرفوا الاشياء...^(٣).

وجاء في رواية أخرى عن الامام الباقر (عليه السلام) بهذا الصدد حيث قال بعد تعداده للارواح الخمسة الموجودة لدى الانبياء والاولياء: «فبروح القدس .. عرفوا ما تحت العرش الى ما تحت الثرى»^(٤).

وهناك روايات كثيرة أخرى بهذا المجال في اصول الكافي وسائر الكتب، حيث لا يسع المجال لشرحها هنا.

نعم فالامداد الالهي عن طريق روح القدس مصدر آخر من مصادر علم

١- سفينة البحار: ج ٢، ص ٤٩٥٤.

٢- كشف الغمة: ج ٢، ص ١١٨، واعلام الوري: ص ٣٣١، وذاتك البيتان هما:

خروج امام لامحالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

٣- اصول الكافي: ج ١، ص ٢٧١.

٤- نفس المصدر: ص ٢٧٢.

المعصومين (عليه السلام).

٥- النور الالهي

المصدر الخامس الذي يمكن ذكره لعلوم الاثمة هو ماورد في العديد من الروايات في اصول الكافي ، منها ما يقوله «حسن بن راشد» : سمعت الامام الصادق (عليه السلام) يقول: ... فاذا مضى الامام الذي كان قبله رفع لهذا منار من نور ينظر به الى اعمال الخلائق فهذا يحتج الله على خلقه^(١).

وورد في بعض الروايات ايضاً بـ«عمود من نور»^(٢) ، الا انه غالباً ما جاء تعبير «منار من نور» ، وبالطبع ليس هنالك تباين كثير بين هذين التعبيرين .

وللمزيد من الاطلاع راجعوا بحار الانوار، ج ٦ ، ص ١٣٢ ، لذي ينقل المرحوم العلامة المجلسي ستة عشر رواية بهذا الصدد ، وكذلك وردت روايات عديدة في هذا المجال في باب «عرض الاعمال» (ج ٢٣ ، ص ٣٣٣ وما بعدها) .



يستفاد من مجموع ما قيل ان مصادر علم الاثمة المعصومين متعددة ومتنوعة ، ويأتي علمهم بجميع معاني القرآن الكريم بالدرجة الاولى ، وفي الدرجة الثانية تأتي العلوم التي يرثونها عن رسول الله (ﷺ) ، ويليهما التسديد والتأييد الالهي ، والالهامات القلبية والاتصال بالملائكة وعالم الغيب .

ومن فيض هذه المصادر يقتبس الاثمة المعصومون علوماً ومعارف كثيرة ليتسنى لهم انجاز مهمتهم التي تتجسد في المحافظة على الاسلام والقرآن وسنة

١- اصول الكافي: ج ١، ص ٣٨٧، الحديث ٢.

٢- نفس المصدر: الحديث ٤.

النبي (ﷺ) وهداية الخلق نحو الخالق ، وتربية النفوس واقامة الحدود وتدبير الامور على أحسن وجه .

والملاحظة الاخرى الجديرة بالاهتمام هي انه يستفاد من بعض الروايات ان ارواح الائمة (عليهم السلام) تستلهم كل ليلة جمعة علوماً ومعارف جديدة بصدد القضايا المستجدة ، وذلك من قبل الله تعالى (لينسجموا مع متطلبات الامة الاسلامية) .
منها ما نقرأه في الرواية الواردة عن الامام الصادق (عليه السلام) حيث قال : « ان لنا في كل ليلة جمعة سروراً » .

يقول الراوي فقلت : زادك الله وما ذاك ؟

قال (عليه السلام) : « اذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله العرش ووافى الائمة معه ، فلا تُرَدُّ ارواحنا الى ابداننا إلا بعلم مستفاد ، ولولا ذلك لانفدنا »^(١) .

وتشاهد روايات عديدة في هذا البحث بهذا الصدد ايضا بطول شرحها هنا .
نظراً الى ما ذكرناه في هذا الفصل يتضح ان مصادر علم الائمة ليست امراً بسيطاً ، فالمصادر التي يمتلكونها هي التي تميزهم عن سائر الناس ، وتعينهم في ادائهم للمسؤوليات المهمة التي يتحملونها في المحافظة على الاسلام وتعاليم القرآن وهداية العباد .

١- اصول الكافي: ج ١، ص ٢٥٤ (باب في ان الائمة (عليهم السلام) يزددون في ليلة الجمعة).

عصمة الائمة (عليه السلام)

تمهيد :

التحصن من الخطأ والسهو والمقصية شرطاً آخر من الشروط العامة للائمة المعصومين ، وفي الحقيقة ان كافة القرائن التي تدل على عصمة الانبياء تدل على عصمة الائمة (عليه السلام) ايضاً ، لان مسؤوليتهم تتشابه الى حد كبير . صحيح ان النبي (ﷺ) واضع لاسس الشريعة ويتصل بعالم الوحي ، أما الائمة فهم بمثابة الامتداد لوجود النبي (ﷺ) وهم حماة حراس الشريعة بالرغم من عدم نزول الوحي عليهم ، لأنهم يتبعون اثر النبي (ﷺ) في هداية الناس ، والدفاع عن الاحكام والحدود الالهية وجميع ما يتعلق بالشريعة ، من هنا فهم يشتركون في الكثير من الصفات ويتشابهون فيما بينهم .

بناءً على ذلك فان جميع الادلة الرئيسة التي ذكرناها في بحث عصمة الانبياء^(١) تصدق فيما يتعلق بالائمة ايضاً .



بهذه التلميح نرجع الى بعض آيات القرآن الواردة بهذا الصدد ونبدأ بالكلام من القرآن :

١ - ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَفْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾
(الاحزاب - ٣٣).

في البحوث السابقة واثناء تفسير الآية ١٢٤ من سورة البقرة، قرأنا ما يتعلق بعظمة مقام الامامة والولاية في قصة ابراهيم (عليه السلام) ان الله تبارك وتعالى قد اخضع هذا النبي العظيم الى العديد من الاختبارات المهمة، ولما خرج منها ظافراً قال له: ﴿أَنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (فالامامة تعني الهيمنة على الجسم والروح، وتربية النفوس والمجتمعات البشرية).

وعندما سأل ابراهيم (عليه السلام) هذا المقام لبعض ذريته وابنائهم جوبه بالرد الالهي المشروط، فقال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي (الذين همط الظاهر والمعصوم من ابنائك يستحقون هذا المقام فقط).

وقد تبين في تلك البحوث كيف ان هذا المقطع من الآية دليل على عصمة الائمة، وان الذين امضوا عمرهم في طريق الكفر والشرك من ناحية الاعتقادات، أو من ناحية اعمالهم حيث ارتكبوا الظلم بحق انفسهم أو الآخرين، لا يستحقون هذا المقام، لان الظلم بالمعنى الشامل للكلمة يشمل الظلم والشرك والكفر والانحرافات العقائدية، وكذلك جميع اشكال التجاوز على الآخرين، وظلم النفس عن طريق ارتكاب المعصية.

وحيث ان هذه البحوث قد جاءت هناك بشكل مفصل ومستفيض فلا نرى حاجة للتكرار، وعليه فقد وضع القرآن الكريم الركيزة الاساسية لشرط عصمة الائمة في هذه الآية الكريمة.

والآن نعود الى آية التطهير وبحث مسألة العصمة الواردة في هذه الآية :
 صحيح ان هذه الآية تتوسط الآيات المتعلقة بنساء النبي (ﷺ) الا انها تحمل
 نعمة مختلفة عنها ، وتشير الى معنى آخر ، فجميع الآيات التي سبقتها وتلتها جاءت
 بضمير «جمع المؤنث» بينما جاءت الآية محل البحث بضمائر «جمع المذكر»!
 ففي مسجّل هذه الآية خاطب تعالى نساء النبي (ﷺ) وأمرهنّ بالمكوث في
 بيوتهنّ ، وان لا يخرجن بين الناس كما كان سائداً في الجاهلية ، ويحافظن على معايير
 العفة ، وان يقمن الصلاة ويؤتين الزكاة ويطعن الله ورسوله ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ
 وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَاطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ .
 فجميع الضمائر الستة التي وردت في هذا المقطع من الآية هي على صورة
 جمع المؤنث (تأملوا جيداً) .

ثم يتبدل ملحن الآية ، ويقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
 وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ .

وقد استخدم في هذا المقطع من الآية ضميرين جمع بصورة جمع المذكر .
 صحيح ان مطلع ونهاية كل آية يستهدف امراً واحداً ، الا ان هذا الكلام يجري
 في المكان الذي لا تتوفر فيه قرينة على الخلاف ، وعلى هذا فالذين رأوا ان هذا
 الجانب من الآية ناظر الى نساء النبي (ﷺ) ايضاً فقد نطقوا خلافاً لظاهر الآية
 والقرينة التي فيها ، أي تباين الضمائر .

بالاضافة الى ذلك نمتلك روايات عديدة فيما يتعلق بهذه الآية حيث نقلها اكابر
 علماء المسلمين سواء الشيعة أم السنة عن النبي (ﷺ) وجاءت بشكل واخر في
 اشهر كتب الفريقين التي تحظى بقبولهم .

هذه الروايات باجمعتها تفيد ان المخاطب في هذه الآية هو النبي (ﷺ) وعلي
 وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) (لا نساء النبي) كما سيأتي بالتفصيل فيما بعد .

ولكن قبل الدخول في البحث لابد من التطرق الى تفسير العبارات :
 ان التعبير بـ«انما» الذي عادة ما يستعمل للحصر دليل على ان الموهبة الواردة في هذه الآية تخص آل النبي (ﷺ) ولا تشمل غيرهم .
 وعبارة «يريد» اشارة الى ارادة الله التكوينية - أي ان الله تعالى شاء من خلال امر تكويني ان يطهركم ويحفظكم من كل فذارة - لا الارادة التشريعية ، فالارادة التشريعية تعني تكليفهم بصيانة انفسهم طاهرة ، ونحن نعلم ان هذا التكليف لا يختص بآل الرسول (ﷺ) بل ان المسلمين جميعاً مكلفون بتطهير انفسهم .
 ربما يتصور بان الارادة التكوينية تفرض نوعاً من الجبر، وفي هذه الحالة لن تكون العصمة فضيلة وفخراً .

لقد ذكرنا الاجابة على هذا السؤال بالتفصيل في الجزء السابع في بحث عصمة الانبياء ، ولابد من التعرض اليه باختصار : ان المعصومين يمتلكون نوعين من القابلية «قابلية ذاتية موهوبة» و «قابلية اكتسابية من خلال اعمالهم وملكاتهم الداخلية» ، ومن مجموع هاتين القابليتين اللتين لا تخلو احدهما على اقل تقدير عن صبغة اختيارية يحصل هذا المقام السامي ، وبتعبير آخر فان المشيئة الالهية توفر الارضية للتوفيق من اجل بلوغ هذا المقام الشامخ ، واستثمار هذا التوفيق يتعلق بارادتهم (تأملوا جيداً) .

فترك الذنب بالنسبة لهم محال عادي لا عقلي ، فمثلاً محال عادي ان يصطحب انسان عالم ومؤمن الخمر الى المسجد ويحتسيه بين صفوف الجماعة ، إلا انه من المسلم به ان هذا الامر ليس محالاً عقلياً ، ولا يتعارض مع كون هذا الفعل اختيارياً ، أو على سبيل المثال ان الانسان العاقل لا يخرج الى الزقاق والشارع عارياً كما ولدته أمه ابداً ، فالقيام بهذا العمل ليس محالاً بالنسبة له ، بل مستوى تفكيره ومعرفته لا يسمح له بالقيام بمثل هذا الفعل وان كان فعله وتركه باختياره .

وهكذا حالة ارتكاب الذنوب بالنسبة للانبياء والائمة ، صحيح ان العصمة من اللطاف الالهية ، بيد ان اللطاف الالهية تخضع لحساب ، كما يقول القرآن الكريم بشأن ابراهيم (عليه السلام): لن تنال منزلة الامامة ما لم تفلح في الابتلاءات الالهية ﴿ وَادَّابَّاهُ اِبْرَاهِيمَ ... ﴾ (البقرة - ١٢٤) ^(١).

وأما «الرجس» فتعني لغة الشيء القذر سواء من ناحية كونه قذراً ومقززاً لطبع الانسان ، أو بحكم العقل ، أو الشرع ، أو جميعها .

من هنا فبعد أن يفسر «الراغب» في «المفردات» الرجس بأنه الشيء القذر ، يذكر له اربع حالات (نفس الحالات الاربع التي ذكرت اعلاه من ناحية طبع الانسان ، أو العقل ، أو الشرع ، أو جميعها) ، واذا ما فسر الرجس في بعض تعابير العلماء على انه «الذنب» أو «الشرك» أو «العقيدة الباطلة» أو «البخل والحسد» فهو في الحقيقة بيان لمصاديق من هذا المفهوم الواسع الشامل .

على أية حال ، نظراً لمجيء «الف ولام الجنس» في بداية هذه الكلمة «الرجس» والتي تفيد العموم ، يكون مفهوم الآية : ان الله شاء ان يبعد كل انواع الرجس عنهم . وفي عبارة : «ويطهركم تطهيراً» ، فيما ان «التطهير» تعني التزكية فهي تمثل تأكيداً آخر على قضية نفي الرجس وكافة الاقذار التي وردت في العبارة السابقة ، وكلمة «تطهيراً» التي هي بعنوان مفعول مطلق فهي تأكيد آخر على هذا المعنى .

والنتيجة : هي ان الله تعالى شاء وبمختلف التأكيدات ان يُطهر ويُنزّه آل النبي (ﷺ) من كل اشكال القذارة والرجس ، ومن المسلم انه يشمل النبي (ﷺ) بالمرتبة الاولى باعتباره صاحب الدار ومن ثم البقية ، والآن لنعرف من هم أهل البيت ؟



١ - للمزيد من الايضاح في مجال ان العصمة لا تتنافى واختيارية افعال المعصومين راجعوا الجزء السابع من فتحات القرآن : ص ١٩٣ وما بعدها .

مَنْ هُم أَهْلُ الْبَيْتِ ؟

رأى بعض من مفسري أهل السنة أن ذلك يعني نساء النبي (ﷺ)، ولكن كما قلنا فإن تغيير سياق الآية، وتبديل الضمائر من «جمع المؤنث» - فيما قبل وبعد هذه الآية - إلى «جمع المذكر» دليل بَيِّنٌ على أن لهذه العبارة مضموناً منفصلاً، وأن المراد منها أمر آخر، أليس الله حكيماً والقرآن في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة وجميع عباراته تخضع للحساب.

وطائفة أخرى من المفسرين خصتها بالنبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، والروايات الكثيرة الواردة في مصادر أهل السنة والشيعة والتي تشير إلى بعضها لاحقاً شاهدٌ على هذا المعنى.

ويسبب وجود هذه الروايات ربما ذكر الذين لا يحصرون الآية بهؤلاء العظماء معنىً واسعاً لها بحيث يشملهم ويشمل نساء النبي (ﷺ) وهذا تفسير ثالث للآية. أما الروايات التي تدل على اختصاص الآية بالنبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام) وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) وابنيهما الحسن والحسين (عليهم السلام) فهي - وكما أشرنا - كثيرة للغاية، منها ثمانية عشرة رواية نقلت خمس منها في تفسير «الدر المنثور» عن أم سلمة، وثلاث عن أبي سعيد الخدري، وواحدة عن عائشة، وواحدة عن أنس، واثنان عن ابن عباس، واثنان عن أبي الحمراء، وواحدة عن وائلة بن الأسقع، وواحدة عن سعد، وواحدة عن الضحاك بن مزاحم، وواحدة عن زيد بن الأرقم^(١).

ويحصى المرحوم العلامة الطباطبائي في تفسير «الميزان» الروايات التي وردت بهذا الصدد بما يربو عن سبعين رواية ويقول: وهي روايات جمة تزيد على سبعين

حديثاً يربو ما ورد منها من طرق اهل السنة على ما ورد منها من طرق الشيعة، ويضيف رواية آخرين سوى الذين ذكرناهم اعلاه (الرواة الذين ذكرت رواياتهم في غير تفسير الدر المنثور).

وذكر البعض ان عدد الروايات والكتب التي نقلت فيها بلغ المئات ولا يُستبعد ان يكون كذلك.

وهنا نذكر طائفة من هذه الروايات فقط مع ذكر مصادرها ليتبين قول الواجدي في «اسباب النزول»: ان الآية نزلت في النبي (ﷺ) وعلي فاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) خاصة لا يشاركون فيها غيرهم^(١).

ويمكن اختصار هذه الروايات في اربعة اقسام:

١ - الروايات التي نقلت عن بعض نساء النبي (ﷺ) تقول بصريح التعبير، عندما كان النبي (ﷺ) يتحدث عن هذه الآية سألناه هل نحن منهم؟ فقال: لا ولكنكم على خير!

منها ما يرويه الثعلبي في تفسيره عن «ام سلمة» زوجة النبي (ﷺ) ان النبي كان في بيتها وجاءته فاطمة (عليها السلام) بالطعام، فقال لها (ﷺ): «ادع لي بعلك وابنيك» فجاؤوا فتناولوا الطعام ثم نشر (ﷺ) عليهم الكساء وقال: اللهم هؤلاء اهل بيتي وعترتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ونزلت آية انما يريد الله ... فقلت يا رسول الله وانا معكم؟! فقال: انك على خير^(٢).

وكذلك الثعلبي وهو من العلماء المعروفين لدى اهل السنة الذي عاش في القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، وتفسيره الكبير معروف، يروي عن عائشة زوجة النبي (ﷺ) ما يلي: عندما سئلت عن حرب الجمل ودورها في تلك الحرب

١ - الميزان: ج ١٦، ص ٣١١.

٢ - ذكر الطبرسي في مجمع البيان في ذيل الآية محل البحث، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٥٦، الحديث اعلاه.

المدبرة، قالت (بتأسف): لقد كان تقديراً الهياً! وعندما سئلت عن علي (عليه السلام) قالت:

« تسألني عن أحب الناس كان إلى رسول الله، وزوج أحب الناس كان إلى رسول الله، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وجمع رسول الله (ﷺ) بثوب عليهم، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت: فقلت يا رسول الله انا من اهلك قال تنحي فانك الى خير^(١) .

فمثل هذه الروايات تؤكد بصراحة ان نساء النبي (ﷺ) لم يكن من أهل البيت في هذه الآية.

٢ - وردت قصة حديث الكساء في روايات كثيرة للغاية ويستعابير مختلفة والمضمون المشترك لها جميعاً هو ان رسول الله (ﷺ) دعا علياً (عليه السلام) وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) - أو انهم حضروا عند رسول الله (ﷺ) - أو انه غطاهم بالكساء أو بقماش، وقال: الهي هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس، فنزلت آية: ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾.

والجدير بالاهتمام ان هذا الحديث روي في صحيح مسلم عن عائشة، وكذلك نقله الحاكم في «المستدرک»، والبيهقي في «السنن»، وابن جرير في «تفسيره»، والسيوطي في «الدر المنثور»^(٢).

واورده الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ايضاً^(٣)، كما نقل هذا الحديث في صحيح «الترمذي» مراراً، ففي موضع رواه عن «عمرو بن ابي سلمة» وفي موضع آخر عن «ام سلمة»^(٤).

١ - مجمع البيان: ذيل الآية محل البحث.

٢ - صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٨٨٣، الحديث ٢٤٢٤ (باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ).

٣ - شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٣٣، الحديث ٣٧٦.

٤ - صحيح الترمذي: ج ٥، ص ٦٩٩، الحديث ٣٨٧١ (باب فضل فاطمة) طبعة احياء التراث.

والملاحظة الاخرى هي ان «الفخر الرازي» يضيف في ذيل آية المباهلة (سورة آل عمران الآية ٦١) بعد نقله لهذا الحديث (حديث الكساء):
واعلم ان هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث^(١).
كما يجدر ذكر هذه الملاحظة وهي : ان الامام «احمد بن حنبل» أورد هذا الحديث في مسنده بطرق مختلفة^(٢).



٣ - نقرأ في جانب آخر من الروايات العديدة والكثيرة ايضا ان النبي (ﷺ) وبعد نزول آية التطهير كان يمر من دار فاطمة ولعدة اشهر «في بعضها ستة اشهر، وفي بعضها ثمانية أو تسعة اشهر» اثناء ذهابه لصلاة الصبح وينادي : «الصلاة يا اهل البيت ! انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً».
وروي هذا الحديث في «شواهد التنزيل» للمفسر الشهير «الحاكم الحسكاني» عن «انس بن مالك»^(٣).
وجاء في نفس الكتاب رواية اخرى عن «ابي الحمراء» يذكر فيها ان المدة كانت «سبعة اشهر».
ورويت هذه الواقعة ايضا في نفس الكتاب عن «ابي سعيد الخدري» ذاكراً ان المدة كانت «ثمانية اشهر»^(٤).
ان الاختلاف في هذه التعابير امر طبيعي ، فربما شاهد انس هذا الامر لمدة ستة

١ - تفسير الفخر الرازي : ج ٨ ، ص ٨٠ .

٢ - مسند احمد : ج ١ ، ص ٣٣٠ و ج ٤ ، ص ١٠٧ و ج ٦ ، ص ٢٩٢ (نقلاً عن فضائل الخمسة : ج ١ ، ص ٢٧٦ وما بعد).

٣ - شواهد التنزيل : ج ٢ ، ص ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ٩٢ (انتبهوا الى ان شواهد التنزيل نقل هذا الرواية بطرق عديدة).

٤ - شواهد التنزيل : ج ٢ ، ص ٢٨ ، واحقاق الحق : ج ٢ ، ص ٥٠٣ الى ٥٤٨ .

أشهر، وابو سعيد الخدري لمدة ثمانية أشهر، وابو الحمراء لمدة سبعة أشهر وابن عباس تسعة أشهر^(١).

فكل منهم نقل ما رآه، بلا تضارب بين كلامهم.

على أية حال، فاستمرار هذه الحالة وتكرار هذا الكلام خلال تلك الفترة الطويلة من قبل النبي الأكرم (ﷺ) كان أمراً مخططاً له، فهو كان يريد ان يبين بوضوح ان المراد من «اهل البيت» هم اهل هذه الدار فقط، لئلا يبقى شك بالنسبة لأي شخص في المستقبل، وليعلم الجميع ان هذه الآية نزلت بحق هذه الزمرة فقط، والعجيب ان القضية بالرغم من هذا التكرار والتأكيد بقيت غامضة بالنسبة للبعض.

لا سيما وان الدار الوحيدة التي كانت بابها مفتوحة على مسجد النبي (ﷺ) هي دار النبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام)، فقد أمر النبي (ﷺ) باغلاق جميع الابواب التي كانت تفتح على المسجد ماعدا هاتين البابين).

ويذكر ان الكثير من الناس طالما سمعوا هذا الحديث عن رسول الله (ﷺ) اثناء الصلاة، ويعد هذا التأكيد والاثبات أليس من المدهش ان يصر بعض المفسرين على سعة مفهوم الآية لتشمل نساء النبي (ﷺ) ايضاً، مع ما قلناه سابقاً في ان عائشة زوجة النبي (ﷺ) واستنادا الى شهادة التاريخ لم تدع شيئاً اثناء ذكرها لفضائلها وتفاصيل حياتها مع النبي (ﷺ)، فهي لم تر نفسها غير مشمولة بهذه الآية فحسب، بل تقول: ان النبي قال لي: «لست منهم»!



٤- الروايات العديدة المروية عن الصحابي المعروف ابي سعيد الخدري التي اشارت الى آية التطهير تقول بصراحة: نزلت في خمسة في رسول الله وعلي وفاطمة

والحسن والحسين (عليهما السلام) ^(١).

وملخص الحديث هو: ان الروايات التي وردت في المصادر الاسلامية بشأن آية التطهير واختصاصها بالنبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين من الكثرة بحيث يجعلها في صف الروايات المتواترة، ولا يبقى فيها ادنى شك من هذه الناحية، حيث ان صاحب شرح احقاق الحق ينقلها عن ما يربو على سبعين مصدراً من مصادر أهل السنة (بالإضافة الى المصادر المعروفة لدى اتباع أهل البيت) ويقول: «لو احصينا كافة هذه المصادر لتجاوزت الالف» ^(٢)!

جواب على عدة أسئلة :

نظراً الى ان الآية اعلاه التي تواترت الروايات في المصادر الاسلامية المعروفة في تفسيرها، تعد كرامة عظيمة لائمة اهل البيت (عليهم السلام) يمكن اعتبارها دليلاً على حقانية خطهم، وقد تثبتت بعض العلماء واخذوا كالعادة بالبحث عن اشكالات اشبه بملكوذباختلاق المبروات بعيداً عن الانتقاد العلمي، بينما أيقنت طائفة اخرى بالآية والروايات بشجاعة، وان ظلوا اتباعاً لطريقة اهل السنة من الناحية الاصولية، وفيما يلي بعض الانتقادات:

١- المراهمن اهل البيت هم الساكنون في بيت النبي (ﷺ)، لان البيت يعني المنار المسكونة، وسكانه بيت النبي (ﷺ) هم نساؤه، وليس الآخرين، واذا ما جاء الضمير على صورته ضمير المذكر فالسبب يعود الى ان لفظ «الاهل» مذكر، واذا جاء البيت بصيغة المفرد لا يجمع بينهما نساء النبي (ﷺ) كن يسكن في بيوت عديدة، فذلك بسبب ان النبي (ﷺ) كان واحداً، فذكر بيته بصفة الواحد ايضاً، والخلاصة

١- ورد في شواهد التنزيل اربع روايات بهذا الصدد، ج ٢ من الصفحة ٢٤-٢٧ (الحديث ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٤).

٢- اقتباساً من ج ٢ من احقاق الحق: من الصفحة ٥٠٢ الى ٥٦٣.

ان الآية ناظرة الى نساء النبي (ﷺ) فقط .

لقد اتضحت الاجابة جيداً على هذا السؤال أو التبرير من خلال الابحاث السابقة ، وآثار التكلف اثناء الدفاع عن هذا الرأي مشهودة تماماً ، فلو كان المقصود من الامل نساء النبي (ﷺ) يكون ظاهر اللفظ «مفرد مذكر» ومعناه «جمع مؤنث» ، بينما لم يذكر في الآية لا «المفرد المذكر» ولا «الجمع المؤنث» بل جاء بصيغة «الجمع المذكر» .

كما ان التعبير بـ«البيت» جاء بصيغة المفرد خلافاً لمطلع الآية الذي جاء بصيغة الجمع ، فمن المتعذر ان تكون عبارة : « وقرن في بيوتكن » من اجل شخص النبي (ﷺ) ، لان النبي (ﷺ) لم يكن يمتلك بيتاً مستقلاً ، فقد كان بيته هي البيوت التي كانت تعيش فيها زوجاته .

على هذا الاساس فلا سبيل سوى ان يكون المقصود من البيت هنا بيت القرابة والارتباط النسبي بالنبي (ﷺ) ، لا بيت السكنى كما في التعبير المتداول والمعتاد عليه .

بالاضافة الى كل هذا فعلى فرض قبولنا بهذه الآراء البعيدة عن الواقع ، فهل يمكن التفاضل عن روايات بهذه السعة والكثرة والصراحة وهي التي تحصر اهل البيت (عليهم السلام) بخمسة اشخاص ؟ أم نعتبرها روايات ضعيفة السند ؟ فلو لم تكن هذه الروايات متواترة وقوية ، فليس لدينا حديث متواتر وصحيح ، ولو كانت هذه الروايات خالية من الصراحة فاي رواية صريحة في مضمونها ؟

والادهي من ذلك كله ما نقل عن «عكرمة» قوله: من شاء باهله انها نزلت في نساء النبي (ﷺ) ^(١) ، ونقل عنه في تعبير آخر: ان عكرمة كان ينادي في السوق ان

قوله تعالى انما يريد الله ... نزل في نساء النبي (ﷺ) ^(١) !!

انه لمدھش حقاً، فهل يمكن اثبات المسائل العلمية والاستدلالية بالمباهلة والصراخ في الاسواق، وهو أمر يمتلك جميع هذه الادلة والشواهد والقرائن، اذ يقوم النبي (ﷺ) ببسط الكساء على خمسة اشخاص ويشخصهم بدقة ويخاطبهم، حتى انه لم يسمح لأم سلمة، و«عائشة» بالدخول تحته، وأخذ يكرر هذه العبارة أمام دار فاطمة (عليها السلام) لمدة ستة اشهر أو ثمانية اشهر أو تسعة اشهر، دالاً على ان المرادف لهذه الآية هو أنتم، وان كلمة «انما» التي تدل على الحصر واضحة للعيان.

والنبي (ﷺ) انما يريد بهذا التأكيد ازالة جميع اشكال الشبهات، بيد ان عكرمة يريد من خلال الدوافع التي يعلمها جيداً ان يثبت بالمباهلة غير ذلك رافعا عقيرته في الاسواق ضد ذلك !

انّ حماس واندفاع عكرمة وراء المباهلة النادرة والقليلة الحصول في الابحاث العلمية، وكذا مناداته في الاسواق التي هي من النوادر في القضايا العلمية ايضاً، بحد ذاته دليل على ان هناك امراً وراء ذلك، وان وراء هذا القيل والقال تكمن اسراراً اخرى، فهل كان مكلفاً بانكار هذه الفضيلة الالهية العظيمة ارضاءً لسلطين زمانه، وان ينبري للتصدي لاحاديث النبي (ﷺ) بهذه الصلافة ؟!

٢ - السؤال الآخر هو : اذا كان المراد هو تلك الانوار المقدسة الخمسة، فما هي

منزلة سائر ائمة اهل البيت (عليهم السلام) ؟

والجواب هو ان الذين كانوا يعاصرون ذلك الوقت هم اولئك الخمسة،

والاخرون جاءوا فيما بعد، وورثوا تلك الصفات عن النبي (ﷺ) وابائهم (عليهم السلام).

٣- كما تم التلميح آنفاً الى ان المراد من الارادة في «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس»، الارادة التكوينية، لا التشريعية، وبتعبير آخر ليس المراد هو ان الله أمركم بالابتعاد عن المعصية، لان هذا الامر الالهي يعم المسلمين جميعاً ولا يخص اصحاب الكساء فقط.

يتضح مما تقدم ان الارادة التكوينية والمشيئة الالهية قضت بتطهيرهم، والمحافظة عليهم من كل ذنب، وصيانتهم من شر الشيطان والاهواء النفسية، ونحن نعلم ان مشيئة الله غير قابلة للتخلف، وانما تفوه به البعض من ان اراة الله قابلة للتخلف يمثل غاية الجهل والغباء، فما الذي يستطيع الحيلولة دون مشيئة الله، وإلا ان تكون مشيئة الله متعلقة بشرط ولم يحصل ذلك الشرط؟ ونحن نعلم ان الارادة في الآية اعلاه مطلقة، وليست مشروطة بشرط ابداً.

وما قاله البعض في ان هذا الكلام يستدعي ان يكون صحابة النبي (ﷺ) معصومين لاسيما الذين شاركوا في معركة بدر، حيث قال تعالى بحقهم: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

ومما يبعث على الاسف هو عند اضطرام نار التعصب فانها تلتهم كل شيء وتحوله الى رماد، وبالاساس فاننا نفتقد في القرآن الكريم الى مثل هذه الآية بشأن معركة بدر، وما نزل بشأن معركة بدر هو: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ (الانفال - ١١).

وظاهر هذه الآية تتعلق بنزول المطر (في معركة بدر) واستثمار المسلمين له للغسل والوضوء، ولا ترتبط ببحثنا ابداً، الا ان هذا الاخ المتعصب حذف مطلع الآية وجاء بعبارة «ليطهركم» فقط، وعدّها دليلاً على طهارة وقداسة كافة الصحابة.

١ - تفسير روح المعاني: تأليف الألوسي: ج ٢٢، ص ١٧، (ذيل الآية ٢٣ من سورة الاحزاب).

وبالطبع فان عبارة « ولكن ليظهركم به وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » لم تأت بشأن اصحاب بدر، بل جاءت في ذيل آية الوضوء والغسل والتيمم، وواضح انها تشير الى الطهارة التي تحصل من هذه المطهرات الثلاثة، فكيف يصادها هذا المفسر الشهير من هناك ويذهب بها الى ميدان بدر، ويصادر أمراً يخص الغسل والتيمم ويقحمه في موضوع بحث العصمة؟ انه أمرٌ غامض.

يثار هنا سؤال آخر وهو: اذا كانت الآية دليلاً على عصمة هؤلاء العظماء، فلماذا جاءت « يريد » بصيغة « الفعل المضارع » اذن؟

فان كانوا معصومين فلماذا يقول: « يريد الله » فهل ان تحصيل الحاصل ممكن؟ لماذا لم يقل « اراد الله بصيغة الفعل الماضي »؟^(١).

لو كان قائل هذا الكلام يبحث التعبير بـ « يريد » في آيات القرآن الكريم بدقة وتمعن لما تفوه بمثل هذا الكلام، لان هذه الكلمة طالما استعملت في الكثير من آيات القرآن الكريم بشأن الامور المتعلقة بالارادة المستمرة من الماضي وحتى الان، ومن الان الى المستقبل، وبتعبير آخر ان: هذه العبارة غالباً ماتستعمل للدلالة على استمرار وثبات المشيئة على شيء ما في الماضي والحاضر والمستقبل، ويمكن ملاحظة صدق هذا الكلام في الآيات التالية:

﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران - ١٠٨).

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة - ١٨٥).

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ (النساء - ٢٨).

وبديهي ان مفهوم هذه الآيات ليس هو ان الله اراد ظلماً في السابق، وكان يريد بكم العسر قبل ذلك، أو أنه لم يرد سابقاً التخفيف عنكم واليوم فعل هكذا، بل ان

مفاد هذه الآيات جميعها هو انه اراد هكذا في الماضي والحاضر وفي المستقبل .
وكذلك قال تعالى بشأن الشيطان : ﴿يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُفْسِدَ لَهُمْ صِلَاً بَعِيداً﴾
(النساء - ٦٠).

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾
(المائدة - ٩١).

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ﴾ (القيامة - ٥).

يتضح جلياً من خلال هذه الآيات بيان الارادة المستمرة للشيطان في الماضي والحاضر والمستقبل لاغواء الناس ، وذلك بخلق العداوة والبغضاء عن طريق الخمر والقمار ، وكذا مفهوم الآية الثالثة ، وهو : ان الانسان الجاحد يريد أن يكون متحرراً على الدوام ويرتكب الذنب ، لذا فهو ينكر القيامة .

هنالك آيات كثيرة في القرآن تتابع هذا الموضوع ، غير هذه الآيات الست اعلاه التي تبين ان استعمال كلمة «يريد» بنحو الاستمرارية يشمل الازمنة الثلاثة .

على هذا الاساس فمفهوم الآية الكريمة ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ هو تعلق الارادة الالهية المستمرة بطهارة وقداسة وعصمة اصحاب الكساء .



شبهات حول العصمة

تثار عدة اسئلة فيما يتعلق بعصمة الانبياء والائمة المعصومين (عليهم السلام) اهمها هو :
أليس العصمة صفة اجبارية ؟ فاذا كانت العصمة موهبة الهية تمنح فقط الى هؤلاء ،
وليس بمقدور الانبياء والائمة المعصومين (عليهم السلام) ارتكاب الذنب ، أو ان الله يحول
دون عوامل الذنب بشكل حازم ، فما الفضيلة والفخر في ذلك ؟

لقد تم تقديم الاجابة على هذا السؤال بشكل مفصل في الجزء السابع من رسالة القرآن في بحث عصمة الانبياء وهو باختصار :

ان اثاره هذه الشبهة سببه عدم التمعن باصول عصمة المعصومين (عليه السلام) ، فهم لم يلتفتوا الى ان هذه «التقوى الراسخة» تنبع من «ايمانهم القوي وعلمهم ومعرفتهم الخارقة» التي يكون جانب منها اكتسابياً والآخر هبة ، فمثلاً : ان الانسان الذي يبلغ درجة عالية في الطب ، محال ان يشرب ماءً ملوثاً بالجراثيم ، بينما ربما يفعل الانسان الامي هذا الأمر ، ان امتناع الطبيب عن شرب الماء الملوث كان باختياره ، فهو يستطيع شرب ذلك الماء ، الا ان ايمانه ومعرفته بعواقب الامر تحول دون ذلك ، فهو شبيه المعصوم في حرية ارادته ازاء القيام بهذا العمل^(١) .



السؤال الآخر هو : ان الائمة اعترفوا بالخطأ والذنب من خلال كلماتهم ، فكيف يمكن اعتبارهم معصومين ؟ ففي ادعيتهم يسألون الله ان يغفر لهم ذنوبهم ، وهذا بحد ذاته دليل على عدم عصمتهم .

يقول امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الخطبة ٢١٦ من نهج البلاغة : « اني لست في نفسي بفوق أن اخطيء ولا آمن ذلك من فعلي الا ان يكفي الله من نفسي ما هو املك بي مني »^(٢)

ويشار نظير هذا الاعتراض بشأن الكثير من الآيات المتعلقة بقصص الانبياء في القرآن الكريم ايضاً ، حيث ذكرناها جميعاً في نفس الجزء السابع تحت عنوان « تنزيه

١ - للمزيد من التوضيح راجعوا الجزء السابع : ص ١٩٣ - ١٩٧ من رسالة القرآن .

٢ - يصرُّ الالوسي في تفسير روح المعاني : ذيل آية التطهير اصراراً عجيباً في انكار ان مفهوم الآية يتعلق بعصمة اهل البيت (عليه السلام) ويشير الشبهة اعلاه (روح المعاني : ج ٢٢ ، ص ١٧) .

الانبياء ، واعطينا الجواب عليها ، وتعقبنا هذه القضايا من خلال الاشارة الى جزئيات تاريخ الانبياء وما يمكن ان يتعرض الى هذه الشبهات .
ولا بد من الاشارة الى بعض النقاط بشكل مختصر :

١ - في الكثير من الحالات كان الائمة (عليهم السلام) يتحدثون لتعليم الناس باعتبارهم الاسوة ، وان اقوالهم كانت تحمل طابعاً تعليمياً ، واللطيف ان تفسير روح المعاني وبعد اثاره هذا الاعتراض بشأن علي (عليه السلام) يأتي بهذا الجواب ، ثم يقول : وقصد الكلام كما في بعض الادعية النبوية بعيد ^(١) فلماذا لا يكون مستبعداً في كلام النبي (ﷺ) بينما يستبعد في كلام علي (عليه السلام) ، ان هذا لا يدل الا على تعصب هذا المفسر المعروف .

٢ - كان الغرض في بعض الحالات هو انهم (عليهم السلام) يريدون ان يقولوا : اننا لا نملك شيئاً بدون الاعتماد على اللطف الالهي ، وهذه هي عطاياه ومواهبه وفيوضاته التي تجعلنا معصومين ، ويتعبير آخر : ان ما نقل عن علي (عليه السلام) في العبارة يعاكس ما يقول المشككون تماماً فهو يدل على عصمته بالاعتماد على اللطاف الالهية ، فالامام يقول : لست معصوماً عن الخطأ «بدون اللطف الالهي» ، وهذه الموهبة ليست سوى لطف الهي ، أو وفقاً للتعبير الذي ورد في سورة يوسف ليست سوى .

٣ - في الكثير من الامور التي وردت في الآيات أو الادعية باعتبارها ذنباً ، فهي ليست سوى ترك الاولى ، ومصداق للقول المعروف : «حسنات الابرار سيئات المقربين» .

وهذه النكتة جديرة بالذكر ايضاً وهي ان المراد من ترك الاولى ليس ترك عمل واجب ، أو ارتكاب محرم أو مكروه ، بل اراد الفعل المباح أو المستحب في قبال

عمل اكثر استحباباً منه ، وواضح ان ترك المستحب الاولى والاتيان بمستحب آخر ليس في فعله خلاف ، إلا انه ترك للاولى ، لكن ليس هذا الفعل بالنسبة للآخرين لايعتبر خلافاً فحسب ، بل ان اداء المستحب بحد ذاته يعدُّ فضيلة ، وربما يؤدي الى اللوم بالنسبة الى المقربين لدى الله تعالى .

فالصلاة المقبولة من شخص عادي ، تعد تركاً للاولى بالنسبة للعالم الكبير ، وصلاة ذلك العالم لاتليق بالمعصوم ، للمزيد من التوضيح راجعوا الجزء السابع من رسالة القرآن^(١) .

خصائص الائمة (عليه السلام)

كما تكررت الاشارة فان رسالة الائمة المعصومين (عليه السلام) تشبه وتنسجم مع رسالة الانبياء في الكثير من الحالات ، سوى ان الوحي لا ينزل عليهم ، ولا هم واضعوا حجر الاساس الحقيقي للدين ، بل هم يواصلون خط الانبياء ، من هنا فان اكثر المواصفات اللازمة فيهم تطابق مواصفات الانبياء ، ونظراً الى اننا قد جئنا بهذه المواصفات بشكل مفصل مستندين الى آيات القرآن الكريم في بحث المواصفات العامة للانبياء في الجزء السابع فلا نرى ضرورة لشرحها بشكل موسع هنا ، ولكن من اجل التذكير لابد لنا من المرور عليها ثانية (التفتوا الى ان هذه المواصفات جميعها طرحت في القرآن بشأن الانبياء) ، ولابد للقادة الالهيين والائمة المعصومين (عليه السلام) بالاضافة الى تمتعهم بـ«العلم» و«العصمة» أن يتمتعوا بالمواصفات التالية :

- ١ - الصدق : فلو لم تتوفر لديهم هذه الصفة لم يحصل الاطمئنان والثقة اللازم توفرها من اجل اقامة الارتباط المعنوي بين الاتباع والقادة .
- ٢ - الالتزام بالعهود والمواثيق : لان جانباً عظيماً من دعوتهم يقوم على اساس الوعود التي يمنحونها للناس ، فان لم يكونوا «صادقي الوعد» تنهار ركائز ثقة العامة

بهم .

٣ - الامانة في المحافظة على الودائع والاحكام الالهية وابلاغها: حيث انها تمثل إحدى دعائم الثقة والاعتماد .

٤ - المحبة والحرص الفائق تجاه الناس: فلو لم تتوفر هذه الميزة من المستحيل ان يبدي الناس تحملاً للعناء والمشقات في قيادة المجتمع - لاسيما الجهلة والمعاندون ..

٥ - الاخلاص والتجرد التام وقطع الامل بكل اجر مادي والا ستفقد الدعوة والقيادة جاذبيتها .

٦ - الاحسان والتفضل بحق الاصدقاء بل وحتى الاعداء: وهي من مظاهر رحمانية الله ورحيميته وسبب في اقامة الارتباط المعنوي بين القيادة والقاعدة .

٧ - الشجاعة الفائقة وعدم الخشية الا من الله تعالى التي تعد ميزة اساسية للذين «يلفون رسالات الله» في القرآن الكريم ، لانها السر الحقيقي وراء النجاح ، وبدونها لا يتقدم العمل في مجال القيادة .

٨ - التوكل المطلق على الله : فغالباً ما يبقى القائد الرباني وحيداً فريداً ويعزله عن الآخرين الفساد الذي يسود البيئة ، فلو لم يكن متوكلاً على الله من المتعذر عليه مواصلة طريقه .

٩ - الرفق وحسن الخلق: الميزة الاخرى التي وردت في القرآن الكريم بشأن النبي (ﷺ) ، وفي الحقيقة لابد لكل قائد الهي (سواء كان نبياً أو اماماً) ان يتمتع بها ، والا فان الخشونة والغلظة والاتصاف بـ«فظ غليظ القلب» يؤدي الى تفرق الناس وعقم اهداف القائد الالهي .

١٠ - الظفر اثناء الامتحانات القاسية: حيث يعتبر القرآن الكريم اعطاء منصب الامامة لابراهيم (عليه السلام) بدافع تجاوزه (عليه السلام) الى الابتلاء وتحمله المشاق .

وفي واقع الامر يجب على المعصومين ان يخرجوا من الامتحانات القاسية ظافرين ، ليكونوا مؤهلين لقيادة المؤمنين جسماً وروحاً وظاهراً وباطناً .
لقد وردت هذه المواضيع بشكل مفصل ومستند الى آيات القرآن الكريم في بحث المواصفات العامة للانبياء في الجزء السابع ^(١) .

الله فقط الذي يعين الامام

يستنتج من مجموع الابحاث التي جرت بشأن صفات الامام وتشبيهه بالانبياء في الكثير من الحالات ان الائمة المعصومين عليهم السلام (اوصياء الانبياء) ويجب ان يكون تعيينهم من قبل الله تعالى .

وبتعبير آخر: ليس لـ «انتخاب الامة» دور في هذا المجال ولا «اجماع الامة» أو «التنصيب» من قبل اشخاص عاديين ، لان الصفات اللازمة في الامام لا يعلمها الا الله تعالى ، واهمها «العصمة» ، و«العلم الخاص» ، حيث يتعذر على الامام التحليق في سماء الامامة والزعامة بدون هذين الجناحين!

فمن الذي يعلم ان فلاناً معصوم عن الذنب والخطأ ، وان هيمنة علمه على جميع مسائل التشريع وحياة البشر مسلمة وثابتة ؟

ان تشخيص سائر الصفات الخاصة بالامام التي ذكرت آنفاً ، متعذر على أغلب الناس ، وربما جميعهم .

من هنا يستفاد جيداً ان لا سبيل لتعيين الامام سوى عن طريق التنصيب الالهي ، وهذا «التنصيب» يثبت من خلال ثلاثة طرق :

الاول : عن طريق النبي ﷺ أو الامام المعصوم السابق الذي يعين خليفته

بأمر الله تعالى ويعرّفه لجميع الناس ، وفي الحقيقة انه في هذه القضية يمثل الوساطة في نقل الامر الالهي الى الناس .

الثاني : عن طريق مشاهدة «المعجزات» كما مر ذكره في بحث النبوة ، أي خرق العادة ، وهو خارج عن طاقة البشر ، وهو مترافق مع التحدي ودعوة الآخرين بالاتبان بمثلها ان لم يدعنوا .

غاية الامر ان التحدي في قضية «النبوة» يأتي في مجالها وفي قضية «الامامة» في مجال الامامة ، أو بتعبير اكثر بساطة : ان الذي يدعي الامامة يقوم بخرق العادة الخارج عن طاقة اي انسان تأكيداً على ادعائه الامامة .

من المسلم به ان خرقاً للعادة كهذا يعطى اليه من قبل الله تعالى ، ومن المحال ان يمنح الله الحكيم والعالم بالسرائر هذه الوسيلة للذي يدعي الامامة زوراً وبهاتاً .

الثالث : الطريق الثالث هنا هو كالذي مر في بحث النبوة ، وهو جمع القرائن ، اي مجموعة الصفات والافعال والخصائص المتوفرة لدى شخص ما بحيث يتيقن الانسان من خلال مشاهدتها انه امام معصوم وقائد الهي ، فيتظافر علمه ومعرفته مع المزايا الاخلاقية والصفات الانسانية والافعال والاقوال والسلوكيات لتثبت بكل يقين انه امام معصوم وخليفة النبي (ﷺ) .

راجعوا تفصيل هذه المسألة في الجزء السابع في بحوث «النبوة والقرآن»^(١) .

الولاية التكوينية
للأنبياء والأئمة (عليهم السلام)

تمهيد :

نحن نعلم ان الولاية على نحوين:

١ - الولاية التشريعية .

٢ - الولاية التكوينية .

المراد من الولاية التشريعية هو الحكم والاشراف القانوني والالهي الذي يكون تارة بشكل محدود كولاية الاب والجد على الصغير، وتارة بشكل واسع وشامل كولاية الحاكم الاسلامي على كافة القضايا المتعلقة بـ«الحكومة» و«ادارة الامة الاسلامية» ، حيث سيأتي بحث ذلك بشكل مفصل في «الجزء العاشر من رسالة القرآن» ان شاء الله تعالى .

أما المراد من الولاية التكوينية ، هو قدرة الانسان على التصرف بصالح الخلق والتكوين بامر الله واذنه ، والاتيان بافعال خلافا للمعتاد والمسيرة الطبيعية لعالم الاسباب ، فمثلاً يبريء المريض الذي لا علاج له باذن الله ، وذلك من خلال الهيمنة والنفوذ الذي وهبه الله تعالى له ، أو يحيي الموتى ، واعمال اخرى من هذا القبيل ، وكل اشكال التصرف المعنوي غير الاعتيادي في ارواح واجسام البشر، وهذا النوع يشمل الطبيعة ايضاً .

وربما تكون للولاية التكوينية، اربع حالات بعضها «مقبولة» وبعضها «غير مقبولة» .

١- «الولاية في امر الخلقة وخلق العالم»: بمعنى ان الله تبارك وتعالى يمنح عبداً من عبادہ أو ملكاً من ملائكته قدرة خلق العوالم أو محوها من الوجود، ومن المسلم به ان هذا الامر ليس مستحيلاً، لان الله على كل شيء قدير وقادرٌ على منح اي نحو من القدرة لاي انسان، بيد ان آيات القرآن تؤكد في كل المواضع على ان خلق عالم الوجود والسموات والارضين والجن والانس والملائكة والنباتات والحيوانات والجبال والبحار قد حصل بقدرة الله جل وعلا، لا عن طريق عبادہ الخاصين أو ملائكته، لذا فقد نسب الخلق اليه في جميع الاحوال، ولم ينسب هذا الامر الى غيره «بنحو واسع» في اي موضع ابدأ، وعليه فان خالق السموات والارضين والنبات والحيوان والانسان هو الله وحده .

٢- «الولاية التكوينية في ايصال الفيض»: بمعنى ان كل امداد ورحمة وبركة وقدرة من قبل الله تعالى تصل الى عبادہ أو سائر الكائنات في عالم الوجود بواسطة اولياء الله وخاصة عبادہ، كمياه الشرب بالنسبة للبيوت في مدينة ما التي تمر من خلال الانبوب الرئيس وهذا الانبوب الكبير يستلم المياه من مصدرها ويوصلها الى جميع النقاط، ويعبر عنه بـ«الواسطة في الفيض» .

وهذا المعنى ليس محالاً ايضاً من الناحية العقلية، ويشاهد نموذجه في العالم الصغير، وبناء الانسان، وتوزيع المواد الغذائية الى كافة الخلايا عن طريق شريان القلب، فما المانع من ذلك في العالم الكبير ايضاً؟

ولكن مما لا شك فيه ان اثباته بحاجة الى دليل مقنع، واذا ما ثبت فهو باذن الله تعالى .

٣- ولاية تكوينية في حدود معينة كاحياء الموتى وشفاء المرضى الذين لا علاج

لهم ونحو ذلك .

وقد وردت نماذج من هذا النوع من الولاية بشأن بعض الانبياء في القرآن الكريم بصراحة حيث سيشار اليها لاحقاً ، والروايات الاسلامية شاهد على ذلك ايضاً ، من هنا فان هذا الفرع من الولاية التكوينية ليس ممكناً من ناحية العقل فحسب ، بل هنالك ادلة نقلية عليه ايضاً .

٤ - الولاية التي تعني الدعاء من اجل تحقيق المطالب ، ويأتي ذلك بقدره الله تعالى ، بهذا فان النبي (ﷺ) أو الامام المعصوم يدعو فيتحقق ما طلبه من الله تعالى .

وهذا المعنى ليس فيه اي محذور عقلي ولا نقلي ، وان الآيات والروايات مليئة بنماذج منه ، بل ربما لا يمكن اطلاق اسم الولاية التكوينية عليه لان استجابة دعائه تأتي من قبل الله تعالى .

ويشاهد في الكثير من الآيات اشارات الى الـ «الاسم الاعظم» الذي كان لدى الانبياء والائمة أو بعض اولياء الله (من غير الانبياء والائمة) ، ومن خلاله كانوا يستطيعون التصرف بعالم التكوين .

وبغض النظر عن المراد من « الاسم الاعظم » - الذي بحثناه بشكل مفصل في بحث صفات الله - فان مثل هذه الروايات ربما تكون ناظرة الى القسم الثالث من الولاية التكوينية وتنطبق عليه بشكل تام .



بهذه الاشارة نعود الى بعض آيات القرآن في هذا المجال «الولاية التكوينية»:

١ - ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ نَفْثًا فَيَكُونُ لَكُمْ أَنْبِيَاءٌ يُرْسِلُكُمْ إِلَىٰ الْقُرَىٰ فَتِلْكَ الْأُيُوتُ يُضِلُّ فِيهَا مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ ﴾

فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَأَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ
اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ (آل عمران - ٤٨ و ٤٩).

٢ - ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (ص - ٣١).

٣ - ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ
فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ
وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (النمل - ٤٠).

في الآية الاولى يدور حديث اولاً عن اللطاف الالهية بحق عيسى (ﷺ) حيث
﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ﴾ .

ثم بعثه كرسول الى بني اسرائيل ، ﴿ ورسولاً الى بني اسرائيل ﴾ ، ومن ثم يشرح
كلام المسيح (ﷺ) في اثبات حقانيته وبيان معاجزه التي تم بيانها في خمس
مراحل :

يقول في الاولى : ﴿ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ
فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

وفي الثانية والثالثة : ﴿ وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ ﴾ .

والرابعة : ﴿ وَأَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

والخامسة : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

ان التمعن في مضمون هذه الآية والتفاوت في التعابير المستعملة فيها ، يوضح
هذه المسألة وهي : ان المسيح (ﷺ) ينسب خلق الطير الى الله تعالى ، بينما في
الاقسام الثلاثة الاخرى ينسب (شفاء الاعمى ، والابرص ، واحياء الموتى) الى
نفسه ، ولكن باذن الله وأمره ، وهذا هو المقصود من الولاية التكوينية ، حيث ان الله

تعالى قد يمنح مثل هذه القدرة للانسان بحيث يؤثر في عالم الخلق والطبيعة بأمره، ويخرق الاسباب الطبيعية، فيحيي الميت ويشفي المرضى الذين يستحيل علاجهم.

هذا النموذج من الولاية التكوينية التي وهبها الله تبارك وتعالى لعبده المسيح (عليه السلام)، ولأمانع او حائل ابدأ دون اعطاء مثل ذلك لسائر الأنبياء أو الائمة المعصومين (عليهم السلام).

واذا قال قائل: ان مقصود هذه الآية هو أن المسيح (عليه السلام) كان يدعو فيبرىء الله المريض، أو يحيي الميت، فقد نطق بما يخالف ظاهر الآية، لأن الآية تقول بوضوح: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي انني افعل ولكن تحقيق الفعل بإذن الله، وليس هنالك من دليل لترك هذا والبحث عن معنى يخالف الظاهر.

بل ليس هنالك مانع ايضاً في مرحلة خلق الطير من أن يلقي الله تعالى هذا الأثر في فم عيسى (عليه السلام) فيكون القيام بمثل هذا العمل بإذن الله، بيد ان بعض المفسرين لم يقتنعوا بهذا المعنى وقالوا: ان خلق الطير مستند الى الله مباشرة، ولعل هذا القول يأتي لثلا يدعي الجهلاء الوهية المسيح، لأن أمر الخلقة متعلق به وحده: وورد شبيه هذا المعنى ايضاً في الآية ١١٠ من سورة المائدة، غاية الأمر ان الخطاب كل من قبل الله تعالى للمسيح (عليه السلام) لا على لسان المسيح (عليه السلام)، فيقول تعالى:

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِءُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾.

والملفت للنظر هو ان اختلاف التعبير الذي كان في سورة آل عمران ظاهر بدقة هنا ايضاً، أي لم تُنسب مسألة الخلق وخلق الطير الى المسيح (عليه السلام)، ولكن تُنسب اليه احياء الموتى وشفاء المرضى والعمي الذين يستحيل علاجهم، وأن جاء التعبير

باذن الله في كل ذلك .

وملخص الكلام ان هذه الآيات تثبت بأن الولاية التكوينية لعيسى (عليه السلام) هي في نطاق خاص ، وليس هنالك دليل على اختصاصها المطلق بالمسيح (عليه السلام) ، ويمكن ان تصدق بحق سائر الانبياء او الائمة المعصومين بمقتضى ان : «حكم الامثال في ما يجوز وما لايجوز واحد» .



وفي الآية الثانية يتحدث تعالى عن تسخير الرياح لسليمان (عليه السلام) ويقول :
﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ .

يستفاد من هذه الآية والآيات التي تليها انه وكما ان الشياطين كانت تنفذ أمر سليمان وتنجز له اعمالاً مهمة في البر والبحر ، فان الرياح كانت تنفذ أمره ايضاً ، وكانت تتحرك حيث يأمرها ، وهذا الأمر ليس سوى مصداق للولاية التكوينية في هذا الجانب من الموجودات .

وورد نظير هذا المعنى ايضاً في الآية ٨١ من سورة الانبياء ، اذ يقول تعالى :
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ ، والحديث هنا عن أمر سليمان على العواصف .

وهذا الاحتمال وارد ايضاً فيما جاء في قصة موسى (عليه السلام) : (من ضرب الحجر وانبثاق عين الماء فيه باذن الله) (سورة البقرة / الآية ٦٠) ، (وكذا ضرب البحر بالعصا ، حيث يقول تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ﴾ (الشعراء / ٦٣) ، وكل ذلك كان من قبيل الولاية التكوينية ايضاً .
والخلاصة هو انه في جميع الحالات التي يمنح فيها الله تعالى لأحد عباده

الخاصين القدرة والقوة للنفوذ في عالم الخلق والطبيعة، يحصل لذلك العبد نوع من الولاية التكوينية.



والحديث في الآية الثالثة عن التصرف التكويني لشخص من المقربين لسليمان ومن خاصته، بيد أن اسمه لم يأت في القرآن سوى بوصف الذي عنده علم من الكتاب، فعندما خاطب سليمان أصحابه وخاصته: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾، ثم يضيف: ﴿ وَقَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾.

وبطبيعة الحال إن هذا لم يكن ادعاءً فحسب، بل أنه نفذ وعده، إذ نقرأ في سياق الآية: ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي ﴾.

وهنا بحوث كثيرة:

من ذلك الذي كان عنده علم من الكتاب؟ فالمعروف والمشهور أنه كان وزير سليمان، أصف بن برخيا الذي يقال بأنه كان ابن اخته، وطبقاً لما ورد في الرواية في تفسير العياشي في جواب الامام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) ليحيى بن الأکثم فان «أصف» كان وصي وخليفة سليمان (عليه السلام)، وكان نبياً، وكان سليمان (عليه السلام) يريد بهذا العمل تعريف العامة بمكانته ومنزلته، وإلا فانه كان يمتلك القدرة على هذا العمل من باب أولى^(١).

وقد احتمل البعض أيضاً بأن هذا الشخص كان سليمان نفسه^(٢)، إلا أنه لا

١ - تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٩١، الحديث ٧٧ كما نقل هذا المعنى بصريح القول في تفسير الدر المنثور عن ابن عباس وآخرين بأن القائل كان أصف بن برخيا حيث كان الاسم الآخر له «أتمليخا»، (الدر المنثور، ج ٥، ص ١٠٩).

٢ - نقل هذا الاحتمال في الميزان في الجزء ١٥، ص ٣٦٣ واشكل عليه.

ينسجم وظاهر الآية .

واحتمل البعض انه كان رجلاً من بني اسرائيل ، حيث يتعارض هذا مع التفسير الذي يقول بأنه كان آصف بن برخيا ، لأنه وحسب الظاهر كان من بني اسرائيل على اية حال فالذي يحظى باهتمامنا هنا ليس شخصاً بعينه ، بل الغرض هو ان أحد اولياء الله كانت له القدرة في التصرف في عالم التكوين وعالم الاسباب من خلال امتلاكه «علم من الكتاب» أو معرفة الاسم الاعظم ، أو أي شيء آخر ، وأن ينقل عرش وملكة سبأ من اقصى جنوب شبه الجزيرة العربية الى اقصى شمالها خلال طرفة عين ، ولا يخفى ان هذا الأمر ممكن لسائر اولياء الله والانبياء والائمة المعصومين (عليهم السلام) .

لا سيما وقد ورد في بعض الرويات عن الامام الباقر (عليه السلام) :

«ان اسم الله الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وانما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فغسفت بالارض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الارض كما كانت أسرع من طرفة عين ونحن عندنا من الاسم الاعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم»^(١) .

ونقل هذا المعنى ايضاً في روايات اخرى عن الامام الباقر (عليه السلام) والامام الصادق (عليه السلام) وبعض ائمة اهل البيت (عليهم السلام) .

ويستفاد بوضوح مما مر من الآيات ان الولاية التكوينية أمر ممكن وجدير بالقبول في نظر القرآن الكريم .



الولاية التكوينية في الاحاديث الاسلامية

كثيراً ما نصادف في الروايات الاسلامية اشارات عن المعجزات التي حصلت في اطار الولاية التكوينية ، وتوضح ذلك ان المعجزات لها اقسام وانواع فبعضها يحصل بدعاء النبي (ﷺ) أو الامام المعصوم فقط ، وبعض يحصل بطلب الناس منهم وبإذن الله ، وبعضها يحصل عن طريقهم وبفعلهم ، اي ان بعض المعجزات يحصل من خلال تصرفهم ومقامهم الروحي والمعنوي وبإذن الله ، بحيث لا يمثل سوى الولاية التكوينية التي نتحدث عنها الآن .

وهذه الحالات كثيرة للغاية ، وفيما يلي نشير الى بعض النماذج منها :

١ - ورد نموذج ظريف منها في نهج البلاغة - خطبة القاصعة - حيث يقول (عليه السلام) «ولقد كنتُ معه (ﷺ) كما اتاه الملائكة من قريش فقالوا له : يا محمد انك ادعيت عظيماً لم يدعه اباؤك ولا أحد من بيتك ، ونحن نسألك أمراً ان انت اجبتنا اليه وأرئتناه علمنا انك نبي ورسول ، وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب» .

فقال رسول الله (ﷺ) «وما تسألون» قالوا : تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك ، فقال (ﷺ) : «ان الله على كل شيء قدير ، فان فعل الله لكم ذلك ، أتؤمنون وتشهدون بالحق» ؟ قالوا : نعم ، «فاني سأريكم ما تطلبون واني لأعلم انكم لا تفيثون الى خير ، وان فيكم من يطرح في القليب ومن يحزب الاحزاب» ، ثم قال (ﷺ) : يا ايها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر ، وتعلمين اني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي باذن الله .

فوالذي بعثه بالحق (لا نقلعت) بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف اجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله (ﷺ) مرفرفة ، والقت بعضها الاعلى على رسول الله (ﷺ) وبعض اغصانها على منكبيه ، وكنت عن يمينه (ﷺ) .

فلما نظر القوم الى ذلك قالوا - علواً واستكباراً : فَمُرْهَا فليأتك نصفها ، ويبقى نصفها ، فامرها بذلك فاقبل اليه نصفها كأعجب اقبال واشدّه دويّاً فكادت تلتف برسول الله (ﷺ) !

فقالوا - كفراً وعتواً :- فمر هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان ، فامرهم (ﷺ) فرجع ، فقلت انا : لا اله إلا الله ، اني اول مؤمن بك يا رسول الله ، واول من اقر بان الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك واجلالاً لكلمتك .

فقال القوم كلهم : بل ساحرٌ كذاب عجيب السحر ، خفيفٌ فيه ، وهل يصدقك في امرك إلا مثل هذا «يعنونني» ؟ .

واني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم ، سيماهم سيما الصديقين ، وكلامهم كلام الابرار ، عمارٌ الليل ومنار النهار ، متمسكون بحبل القرآن ، يحيون سنن الله وسنن رسوله ، لا يستكبرون ولا يعلون ، ولا يغفلون ولا يفسدون ، قلوبهم في الجنان واجسادهم في العمل^(١) .

تأملوا تعابير هذه الخطبة قليلاً ، فانها تثبت ان هذا الامر الخارق للعادة حدث بنفوذ وتصرف النبي (ﷺ) في التكوين ، وعليه فما ورد في ذيل هذه العبارة : «انّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى» ، هو امر الله واذنه والقدرة التي قد وهبها لنبيه لمثل هذا التصرف ، كما ورد التعبير بـ «اذن الله» في بداية هذه الكلمة .

بناءً على ذلك ، فالتعابير مثل مَرَّ لِيحدث كذا او كذا ، وكلام رسول الله (ﷺ) ايته الشجرة افعلي كذا وكذا ، كلها أدلة على ولاية النبي (ﷺ) ونفوذه التكويني .



٢ - يروي المرحوم العلامة المجلسي في كتاب بحار الانوار عن سلمان الفارسي : لما قدم النبي (ﷺ) المدينة تعلق الناس بزمام الناقة ، فقال

النبي (ﷺ): يا قوم دعوا الناقة فهي مأمورة، فعلى باب من بركت فانا عنده (وهذا افضل طريق للخلاص من كل اختلاف وتفرقة).

فاطلقوا زمامها وهي تهف في السير حتى دخلت المدينة، فبركت على باب ابي ايوب الانصاري، ولم يكن في المدينة افقر منه، فانقطعت قلوب الناس حسرة على مفارقة النبي (ﷺ)، فنادى ابو ايوب: يا اماه افتحي الباب، فقد قدم سيد البشر، واكرم ربيعة ومضر، محمد المصطفى والرسول المجتبى.

فخرجت وفتحت الباب وكانت عمياء، فقالت: واحسرتاه ليت كانت لي عين ابصر بها وجه سيدي رسول الله (ﷺ) في المدينة وضع (ﷺ) كفه على وجه أم ابي ايوب فانفتحت عيناها (ربما يراد في وضع اليد الاشارة باليد، أو وضع اليد فوق قطعة قماش)^(١).



٣- كما وردت هذه الرواية ايضاً في الكتب المشهورة لدى الشيعة والسنة وهي لما لم يأت النصر على يد بعض امراء الجيش في معركة خيبر، قال رسول الله (ﷺ): «سأعطي الراية غداً الى رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ثم ارسل على علي وكان أرمداً، فحضر فبصق في عينية فبرأت، ثم سلّمه الراية وفتح خيبر»^(٢).

تفيد هذه الرواية المشهورة أنّ النبي (ﷺ) ابرء عين علي (عليه السلام) من خلال ولايته التكوينية - باذن الله -.



١- بحار الانوار: ج ١٩، ص ١٢١.

٢- لقد اورد ابن الاثير هذه الرواية في الكامل بالتفصيل (ج ٢، ص ٢١٩) وكذا ابن هشام في السيرة النبوية ج ٣، ص ٣٤٩ والعلامة المجلسي في بحار الانوار ج ٢١، ص ٢٩٨، الحديث ٣٠.

٤ - وجاء في تاريخ امير المؤمنين (عليه السلام) ايضاً «مُد الفرات في عهد علي (عليه السلام) فاقبل إليه الناس ، فقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نخاف الفرق لان في الفرات قد جاء من الماء ما لم يرمثله وقد امتلأت جنبته فإله الله ، فركب امير المؤمنين (عليه السلام) والناس معه وحوله يميناً وشمالاً ٠٠٠٠ حتى انتهى الى الفرات وهو يزخر بأمواجه ، فوقف والناس ينظرون فتكلم بالعبرانية كلاماً فنقص الفرات ذراعاً ، فقال : حسبكم ؟ قالوا : زدنا»^(١).

فهل هذا الفعل سوى تصرف تكويني باذن الله ؟



٥ - ونقرأ في تاريخه (عليه السلام) ايضاً انه واثناء مروره قرب الكوفة جاءه قوم من اليهود ، وقالوا : «انت علي بن أبي طالب الامام ؟ فقال : أناذا ، قالوا : لنا صخرة مذكورة في كتبنا عليها اسم ستة من الانبياء ، وهو ذا نطلب الصخرة فلا نجدها فان كنت إماماً أوجدنا الصخرة فسار القوم خلف أمير المؤمنين (عليه السلام) الى ان استبطن فيهم البر فاذا بجبل من رمل عظيم فقال (عليه السلام) : ايتها الريح انسفي الرمل عن الصخرة بحق اسم الله الاعظم فما كان إلا ساعة حتى نسفت الرمل وظهرت الصخرة»^(٢) وهذا نموذج آخر من النفوذ والتأثير على عالم التكوين .

وقد وردت نماذج اخرى في كثيرة كتب التاريخ والتفسير ، والحديث ، ومختلف المصادر الاسلامية للشيعه والسنة ، حيث يحتاج ذكرها كلها الى تدوين كتاب مستقل .

انّ هذه الايات والروايات تؤكد ان اولياء الله سواء من الانبياء او الائمة المعصومين (عليهم السلام) كانوا يتمتعون بقدرة بأمر الله واذنه ، بحيث كانوا يستطيعون

١ - بحار الانوار: ج ٤١ ، ص ٢٣٧ (مع الاختصار).

٢ - بحار الانوار: ج ٤١ ص ٢٣٧ (مع الاختصار).

التصرف في عالم التكوين من خلال ما وهبهم الله تعالى من اذن في حالات معينة، وهذا ما نُعبر عنه بالولاية التكوينية .

وبطبيعة الحال ، فإنَّ الولاية التكوينية لها تفرعات اخرى ايضاً ، منها التأثير في القلوب المستعدة لقبول الحق عن طريق اللطاف المعنوية والروحية ، وتربية وهداية النفوس المؤهلة من خلال التأثير الروحي فيها ، حيث تتوفر امثلة كثيرة لذلك في التاريخ الاسلامي .

وغالباً ما كان يحصل لكثير من الاشخاص تحولٌ وتغيّرٌ مفاجيءٌ ، بنحوٍ لا ينسجم مع الموازين والمعايير الطبيعية ، وذلك بمجرد وجودهم في محضر رسول الله (ﷺ) أو الامام المعصوم (عليه السلام) ، وبالتالي يستقيم سلوكهم في الحياة على أثره . انّ هذا التحول والتغير المفاجيء والخارق للعادة يحصل ايضاً نتيجة لـ «الولاية التكوينية» والتاثير في النفوس المؤهلة .

الولاية والامامة الخاصة

تمهيد :

بعد الفراغ من البحوث العامة في «الامامة العامة» ندخل في بحث الامامة الخاصة ، ونبحث في معرفة الامام المعصوم والوصي بعد النبي (ﷺ) ، مُستعينين بمختلف المصادر الاسلامية ، والنصوص الواردة في القرآن ، والروايات الموثوقة في هذا البحث .

كما نستعين بأسلوب جمع القرائن الذي هو أحد اهم الاساليب لمعرفة الانبياء والائمة المعصومين (عليهم السلام) ، ونسأل الله تعالى أن يأخذ ايدينا وقلمنا وبياننا الى ما هو حق ، ويبعدنا عن كل خلاف وانحراف .

في البداية نيمّم وجوهنا صوب آيات القرآن الكريم ونبحث فيما ورد بصدد الامامة الخاصة .

بوسعنا تقسيم هذه الآيات الى قسمين :

١ - الآيات التي تهتم بمسألة الامامة بشكل مباشر وتبحث فيها بجلاء .

٢ - الآيات التي تبحث هذه المسألة بشكل غير مباشر .

وبالرغم من كثرة الآيات في كلا القسمين ، فاننا سننتخب مجموعة من الايات وذلك لمزيد من التوضيح لا لشيء آخر ، ومن ثم نشرع بالبحث .

ففي القسم الاول نتوجه نحو الآيات التالية :

١ - آية التبليغ وواقعة الغدير .

٢ - آية الولاية .

٣ - آية اولي الأمر .

٤ - آية الصادقين .

٥ - آية القربى .

وفي القسم الثاني نتجه نحو آيات الفضائل ، هذا الآيات التي لا تطرح مسألة الخلافة والولاية بشكل مباشر ، إلا انها تثبت الفضائل بحق امير المؤمنين (عليه السلام) ، حيث تصفه بأنه افضل أمة محمد (ﷺ) ، واسمى شخصية بعد النبي (ﷺ) ، مع الحاق مقدمة عقلية واضحة (ترجيح المرجوح على الراجح قبيح) نستنتج عدم وجود شخص أليق وأجدر منه لقيادة الأمة بعد النبي (ﷺ) .

وهذه الآيات كثيرة للغاية حيث تجري الإشارة الى ٣٢ آية ، من بينها :

١ - آية المباهلة . ٢ - آية خير البرية . ٣ - آية ليلة المبيت . ٤ - آية الحكمة . ٥ -

آيات سورة هل اتى . ٦ - آيات مطلع سورة براءة . ٧ - آية سقاية الحاج . ٨ - آية صالح

المؤمنين . ٩ - آية الوزارة . ١٠ - آيات سورة الاحزاب . ١١ - آية « الصديقون » . ١٢ -

آية النور . ١٣ - آية الانذار . ١٤ - آية مرج البحرين . ١٥ - آية النجوى . ١٦ - آية

« السابقون » . ١٧ - آية الاذن الواعية . ١٨ - آية المودة . ١٩ - آية « المنافقون » . ٢٠ - آية

الايداء . ٢١ - آية الانفاق . ٢٢ - آية المحبة . ٢٣ - آية اشقاها .

١- آية التبليغ

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

شأن النزول

جاء في الكثير من كتب علماء السنة (وكافة كتب الشيعة المعروفة) سواء التفسير أو الحديث أو التاريخ ، ان الآية اعلاه نزلت بحق علي (عليه السلام) .

وروى هذه الروايات جمع كثير من الصحابة ، منهم «ابو سعيد الخدري ، وزيد بن ارقم ، وجابر بن عبد الله الانصاري ، وابن عباس ، والبراء بن عازب ، وحذيفة ، وابو هريرة ، ابن مسعود ، وعامر بن ابي ليلى» ، وجاء في رواياتهم ان هذه الآية نزلت بشأن علي (عليه السلام) وواقعة يوم الغدير .

واللطيف ان بعض هذه الروايات نُقلت بطرق متعددة منها:

رواية ابي سعيد الخدري عن أحد عشر طريقاً .

رواية ابن عباس عن احد عشر طريقاً ايضاً .
ورواية البراء بن عازب نُقلت عن ثلاثة طرق .
ومن بين الذين اوردوا هذه الروايات (بشكل واسع أو بالاجمال) في كتبهم ،
العلماء المعروفون المدرجة اسمائهم ادناه :

« ابو الحسن الواحدي النيشابوري في اسباب النزول ص ١٥٠ .
« ابن عساكر الشافعي نقلاً عن « الدر المنثور » ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .
« الفخر الرازي في التفسير الكبير ج ٣ ، ص ٦٣٦ .
« ابو اسحاق الحمويني في « فرائد السمطين » (مخطوط) .
« ابن الصباغ المالكي في « الفصول المهمة » ص ٢٧ .
« جلال الدين السيوطي في « الدر المنثور » ج ٢ ، ص ٢٩٨ .
« القاضي الشوكاني في « فتح القدير » ج ٣ ، ص ٥٧ .
« شهاب الدين الالوسي الشافعي في « روح المعاني » ج ٦ ، ص ١٧٢ .
« الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في « ينابيع المؤدة » ص ١٢٠ .
« بدر الدين الحنفي في عمدة القاري في « شرح صحيح البخاري » ج ٨ ، ص ٥٨٤ .
« الشيخ محمد عبدة المصري في تفسير المنارج ٦ ، ص ٤٦٣ .
« الحافظ ابن مردويه (المتوفي عام ٤١٨ هـ ق) (على ضوء نقل السيوطي في الدر المنثور) وكثير غيرهم .

وبالطبع لا ينبغي نسيان ان بعض هؤلاء العلماء في الوقت الذي ينقلون به
الرواية وشأن النزول فانهم يمرون بها مرور الكرام للاسباب التي سنشير اليها لاحقاً ،
أو يبادروا الى نقدها ، حيث سنتطرق الى بحث اقوالهم بشكل دقيق في البحوث
القادمة ان شاء الله .

حادثه الغدير

ادركنا من البحث الآنف بشكل اجمالي ان هذه الآية وعلى ضوء الشواهد التي لا تحصى قد نزلت بحق علي (عليه السلام)، وأن الروايات التي نقلت في الكتب المعروفة لاهل السنة - فضلاً عن كتب الشيعة - اكثر من ان يستطيع احداً انكارها.

وبالاضافة الى الروايات اعلاه، فلدينا روايات اخرى تفيد بصريح القول: ان هذه الآية وردت اثناء واقعة الغدير وخطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في التعريف بعلي (عليه السلام) على أنه الوصي والولي، وعددها يربو على الروايات السابقة، حتى ان المحقق الكبير العلامة «الاميني» ينقل في كتاب الغدير، حديث الغدير عن ١١٠ من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالاسناد والوثائق الحية، وكذلك عن ٨٤ من التابعين و ٣٦٠ من مشاهير علماء المسلمين ومؤلفيهم.

ان كل من يلقي نظرة على مجموعة هذه الاسانيد والوثائق يدرك بان حديث الغدير من اكثر الروايات الاسلامية جزمًا، ومصدقًا واضحًا للحديث المتواتر ومن يشك في تواتره، فعليه ان لا يؤمن بأي حديث متواتر.

وحيث ان الولوج في هذا البحث بنحوٍ واسع يخرجنا عن اسلوب كتابة تفسير موضوعي، فنكتفي بهذا القدر بشأن اسناد الرواية وشأن نزول هذه الآية، ونتطرق الى مضمون الرواية، ونحيل الذين يريدون المزيد من المطالعة حول اسناد الرواية الى الكتب التالية:

١ - كتاب الغدير، ج ١.

٢ - احقاق الحق، تأليف العلامة الكبير القاضي «نور الله الشوشنري» مع شرح

مفصل لآية الله النجفي، ج ٢ و ٣ و ١٤ و ٢٠.

٣ - المراجعات للمرحوم السيد «شرف الدين العاملي».

٤ - عبقات الانوار للعالم الكبير « ميرحامد الحسيني الهندي » (من الافضل مراجعة خلاصة العبقات، ج ٧ و ٨ و ٩).

٥ - دلائل الصدق، تأليف العالم الكبير المرحوم « المظفر »، ج ٢ .

مضمون روايات الغدير

وهنا تأتي بقصة الغدير بشكل مختصر كما يستفاد من مجموع الروايات اعلاه، (وطبعاً فان هذه الواقعة قد وردت في بعض الروايات بشكل مفصل ومطول، وفي بعضها بشكل مختصر وقصير، وفي بعضها اشير الى جانب من هذه القصة وفي البعض الى جانب آخر، ومنها جميعاً يستفاد ما يلي) :

في السنة الاخيرة من حياة النبي (ﷺ) اقيمت مراسم حجة الوداع بكل جلال بمشاركة النبي (ﷺ)، وكانت الافئدة تمتلئ بالمعنويات ولم تزل اللذة المعنوية لهذه العبادة العظيمة ينعكس اشعاعها في النفوس .

وكان اصحاب رسول الله (ﷺ) الذين كان عددهم كثيراً للغاية لا تسعهم انفسهم نتيجة لادراكهم هذا الفيض والسعادة العظيمة^(١) .

ولم يكن اهل المدينة وحدهم الذين يرافقون رسول الله (ﷺ) في هذا السفر، بل كان المسلمون من مختلف بقاع الجزيرة العربية كانوا برفقته (ﷺ) لنيل هذا الفخر التاريخي العظيم .

وكانت شمس الحجاز تضيء على الجبال والاوادية حرارة لا تطاق، إلا ان حلاوة هذا السفر المعنوي النادر كانت تيسر كل شيء، وقد اقترب الظهر، واخذت منطقة الجحفة، وصحراء « غدير خم » الجافة الرمضاء تبدو للعيان .

١ - ذكر البعض ان عدد الذين كانوا مع رسول الله (ﷺ) ٩٠ ألفاً، والبعض ١١٢ ألفاً، وبعض ١٢٠ ألفاً، وبعض ١٢٤ ألفاً.

ومن هذا المكان الذي يتشعب الى اربعة طرق يفرق اهل الحجاز ، فطريق يتجه الى الشمال نحو المدينة ، وطريق الى الشرق نحو العراق ، وطريق الى الغرب نحو مصر ، وطريق الى الجنوب نحو اليمن ، وهنا يجب ان تُطرح آخر المستجدات في هذا السفر ، ويتفرق المسلمون بعد استلامهم لآخر حكم وهو في واقع الامر كان خط النهاية في الواجبات الناجحة للنبي (ﷺ) .

كان ذلك في يوم الخميس من السنة العاشرة للهجرة ، وقد مضت عشرة ايام على عيد الاضحى ، وفجأة صدر الامر من الرسول (ﷺ) الى الذين معه بالتوقف ، ونادى المسلمون باعلى اصواتهم أصحابهم الذين تقدموا الركب بالتوقف والعودة ، وامهلوا المتأخرين حتى يصلوا ، وزالت الشمس وصدح صوت مؤذن رسول الله (ﷺ) بالاذان : الله اكبر ، داعياً الناس الى صلاة الظهر ، وسرعان ما استعد الناس للصلاة ، إلا ان حرارة الجو كانت الى الحد الذي اجبر البعض على ان يغطي ارجله بقسم من ازاره ويستر رأسه بالقسم الآخر ، وإلا فان حصي الصحراء واشعة الشمس ستحرق ارجلهم ورؤوسهم .

فلا خيمة في الصحراء ، ولا خضرة ، ولا نبات ، ولا شجرة ، سوى بعض الاشجار البرية الجرداء التي تقاوم حرارة الصحراء ، والتي لاذ بها البعض ، ووضعوا قطعة من القماش على احداها وجعلوها ظلاً لرسول الله (ﷺ) ، إلا ان الرياح اللاهبة تهب تحتها وتلفها بحرارة الشمس المحرقة .

وانتهت صلاة الظهر ، وعزم المسلمون على اللجوء الى خيامهم الصغيرة التي كانوا يحملونها معهم ، بيد ان النبي (ﷺ) اوعز لهم بالاستعداد لسماع بلاغ الهي جديد يُوضّح ضمن خطبة مفصلة ، ولم يكن بمقدور البعيدين عن رسول الله (ﷺ) رؤية وجهه الملكوتي وسط زحام الناس ، لذا فقد صنعوا له منبراً من اربعة من أحداج الابل ، فارتقاء النبي (ﷺ) ، وفي البداية حمد الله واثنى عليه

واستعاذ به ، ثم خاطب الناس قائلاً :

ايها الناس : يوشك ان ادعى فاجيب .

انا مسؤول ، وانتم مسؤولون .

فكيف تشهدون بحقي ؟

فصاح الناس : نشهد انك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً ، ثم

قال :

الستم تشهدون ان لا اله الا الله ، وانني رسول الله اليكم ، وان البعث حق ، وان الله

يبعث من في القبور؟ فقالوا : نشهد بذلك ، قال : اللهم اشهد ، ثم قال :

ايها الناس اتسمعونني ؟ قالوا : نعم ، ثم عم السكوت الصحراء فلم يسمع الا

صوت الريح ، فقال (ﷺ) : فانظروا ماذا صنعتم بالثقلين من بعدي ؟

فقال رجل من بين القوم : ما هذان الثقلان يا رسول الله ؟!

قال (ﷺ) : أما الثقل الاكبر فهو كتاب الله حبل ممدود من الله اليكم ، طرفه بيد

الله والطرف الآخر بايديكم ، فلا تدعوه ، وأما الثقل الاصغر فهم عترتي وقد اخبرني

اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا

تأخروا عنهما فتهلكوا .

ونظر الناس الى رسول الله (ﷺ) وهو يلتفت حوله ، وكأنه يبحث عن أحد ،

ولما وقعت عيناه على علي (عليه السلام) التفت اليه واخذ بيده ورفعها حتى بان بياض

ابطيهما ، وشاهدهما جميع القوم ، وعرفوا انه ذلك الفارس المقدام ، وهنا ارتفع

صوت النبي (ﷺ) ، وقال : ايها الناس من اولي الناس بالمؤمنين من انفسهم ؟ قالوا :

الله ورسوله اعلم ، فقال النبي (ﷺ) : الله مولاي ، وانا مولى المؤمنين واولى منهم

بانفسهم ، ثم قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، وكرر هذا الكلام ثلاثة مرات ، وكما قال

ارباب الحديث : انه كرره اربعاً ، ثم رفع رأسه نحو السماء ، وقال :

اللهم والي من والاه وعاد من عاداه ، واحب من احبه وابغض من ابغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار .

ثم قال (ﷺ) : الا فليبلغ الشاهد الغائب .

هنا انتهت خطبة الرسول (ﷺ) وكان العرق يتصبب من النبي (ﷺ) والجميع ، ومازال الناس لم يتفرقوا من ذلك المكان حتى نزل عليه الوحي وقرأ هذه الآية على رسول الله (ﷺ) : ﴿ الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ ، فقال رسول الله (ﷺ) :

الله اكبر ، الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي .

في هذه الاثناء عم الناس النشاط والحركة ، واخذوا يهتفون علياً (عليه السلام) بهذا المقام ، وكان من الذين هتفوه ، ابو بكر وعمر حيث نطقا بهذه العبارة امام اعين الحاضرين :

بخ ، بخ لك يا ابن ابي طالب اصبحت وامسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .
اثناء ذلك قال ابن عباس : «والله انه عهد سيبقى في اعناقهم» ، واستاذن النبي (ﷺ) الشاعر المعروف « حسان بن ثابت » لينشد شعراً بهذه المناسبة ، ثم استهل قصيدته المعروفة :

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم وأسمع بالرسول مناديا
فقال فمن مولاكم ونبيكم؟	فقالوا ولم يبدو هناك التعاميا
الهك مـولانا وانت نـبينا	ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فاني	رضيتك من بعدي اماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له اتباع صدق مواليا

هناك دعا اللهم والي وليه وكن للذي عادى علياً معادياً^(١)

بحث وتحليل مستجد حول آية التبليغ

لو تغاضينا عن جميع الروايات الواردة بشأن نزول الآية اعلاه، وكذا الروايات الواردة حول قصة الغدير، وامعنا النظر بمضمون الآية نفسها وما تلاها من الآيات، نستطيع من خلال عمق هذه الآيات استجلاء موقفنا ازاء مسألة خلافة النبي (ﷺ). والتوضيح هو: ان الآية اعلاه باختلاف التعابير التي وردت فيها تؤكد على انها ناظرة الى قضية ذي ثلاث مزايا مهمة:

١ - انها قضية تحظى باهمية فائقة من وجهة نظر الاسلام الى الحد الذي يؤمر النبي (ﷺ) بابلاغها، وان لم يفعل فما بلغ رسالة الله! وبتعبير آخر فقد كانت امراً مرادفاً لقضية النبوة، فان لم يؤد تبقى رسالة النبي (ﷺ) ناقصة! ومن البديهي أنه ليس المراد ان هذا أمر الهي عاد وكل أمر الهي لا يبلغ لم تبلغ رسالة الله، فهذا الكلام من قبيل توضيح الواضح وغني عن البيان، بينما ظاهر الآية هو ان القضية المشار اليها تحظى باهتمام خاص من حيث انها خلاصة الرسالة والنبوة.

٢ - ان هذه القضية لاتتعلق بالصلاة والصوم والحج والزكاة وماشابه ذلك من قواعد تعاليم الاسلام، لانها من آيات سورة المائدة، ونحن نعلم ان سورة المائدة هي آخر سورة نزلت على النبي (ﷺ) (أو من أواخر السور) أي في اواخر عمر النبي (ﷺ) المبارك حيث كان قد تم بيان كافة الاركان المهمة للاسلام^(٢).

١ - روى هذا الشر جماعة من كبار علماء السنة منهم: الحافظ «ابو نعيم الاصفهاني»، والحافظ «ابو سعيد السجستاني»، و«الخوارزمي المالكي»، والحافظ «ابو عبد الله المرزباني»، و«الكنجي الشافعي»، و«جلال الدين السيوطي»، و«سبط بن الجوزي»، و«صدر الدين الحموي».

٢ - يقول الفخر الرازي في ذيل هذه الآية: قال اصحاب الآثار انه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ لم

٣- ان عبارات الآية تدلل على ان القضية المقصودة من الآية كانت مسألة قد اتخذ البعض ازاءها موقفا متصلباً ، ولربما تعرضت حياة النبي (ﷺ) الى الخطر بسببها ، من هنا اعلن الباري تعالى دعمه الخاص لنبيه في هذا الصدد وقال :

﴿ وَاللَّهُ يَعْصُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

ثم يؤكد تعالى في نهاية الآية :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وهذه العبارة بحد ذاتها دليل على المواقف السلبية لبعض المخالفين .

ان مجموع هذه الامور الثلاثة التي تستنتج من الآية تؤكد على ان المراد منها ليس الا ابلاغ خلافة ووصاية النبي (ﷺ) .

نعم ، فمثل هذا الامر يمكن ان يحظى بالبحث والتمعن في اواخر حياة النبي (ﷺ) ، وليس سائر دعائم الاسلام التي كانت قد بُيّنت انذاك ، ومثل هذا الامر باستطاعته ان يكون مرادفاً للنبوة ومماثلاً لها ، وربما تثار الاعتراضات نتيجة لظهور مثل هذا الأمر قبل هذا الوقت ويكمن فيه الخوف من الخطر .

ان اي تفسير آخر يعطى للآية اعلاه عدا مايتعلق بالولاية والامامة والخلافة ، لا ينسجم معها .

فلو طالعتم جميع كلمات المفسرين الذين ارادوا صرف مضمون الآية الى قضايا اخرى ، لم يستطع اي منهم ان يُشير الى الامر الذي تؤكد عليه الآية ، وهذا ما حدا بهم الى ان يتوقفوا عن تفسيرها .



يعمر بعد نزولها الا احد وثمانين يوماً ، أو اثنين وثمانين يوماً (التفسير الكبير) : ج ١١ ، ص ١٣٩ . وجاء في تفسير المنار ايضاً وبعض الكتب الاخرى ان سورة المائدة جميعها نزلت في حجة الوداع (المنار ، ج ٦ ، ص ١١٦) وبالطبع فقد نقل البعض بشأن عدد الايام اعلاه ، اقل من ذلك .

توضيحات :

١ - معنى الولاية والمولى في حديث الغدير

لقد اطلعنا على حديث الغدير المتواتر بشكل اجمالي ، والعبارة المشهورة التي جاءت عن رسول الله (ﷺ) في جميع الكتب وهي : من كنت مولاه فعلي مولاه توضح الكثير من الحقائق ، وان أصر كثير من كتاب اهل السنة على تفسير كلمة «المولى» «هنا بمعنى الصديق والمحِبِّ والناصر» ، لأن هذا أحد المعاني المعروفة للمولى» .

ونحن نسلم بأن إحدى معاني «المولى» الصديق والمحِبِّ والناصر، إلا أن ثمة قرائن عديدة تثبت أن المولى في الحديث اعلاه تعني «الولي والمشرق والقائد» وهي كما يلي بايجاز :

١ - ان قضية محبة علي (عليه السلام) مع جميع المؤمنين لم تكن امراً خفياً وسرياً ومعتداً، بحيث يحتاج الى هذا التأكيد والايضاح ، وبحاجة الى ايقاف ذلك الركب العظيم وسط الصحراء القاحلة الساخنة والقاء خطبة عليهم لأخذ الاقرارات من ذلك الجمع .

فالقرآن يقول بصريح القول : انما المؤمنون إخوة (الحجرات / ١٠) .

وفي موضع آخر يقول : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض (التوبة / ٧١) .

والخلاصة ، ان الاخوة الاسلامية ومودة المسلمين مع بعضهم من اكثر المسائل الاسلامية بداهة ، حيث كانت موجودة منذ انطلاقة الاسلام ، وطالما اكد عليها النبي (ﷺ) مراراً بالاضافة الى عدم كونها مسألة تحتاج الى بيان بهذا الاسلوب الحاد في الآية ، وان يشعر النبي (ﷺ) بالخطر من البوح بها (تأملوا جيداً) .

٢ - ان عبارة : «أأنت أولى بكم من أنفسكم» الواردة في الكثير من الروايات

لاتتناسب ابدأً مع بيان مودة عادية ، بل انه يريد القول بان تلك الاولوية والتصرف الذي لي تجاهكم وانني امامكم وقائدكم ، فانه ثابت لعلّي (عليه السلام) وان اي تفسير لهذه العبارة غير ما قيل فهو بعيد عن الانصاف والواقعية ، لاسيما مع الأخذ بنظر الاعتبار جملة « من أنفسكم » (انا اولى بكم من انفسكم) .

٣ - التهاني التي قدمها الناس لعلّي (عليه السلام) في هذه الواقعة التاريخية ، لاسيما التهاني التي قدمها ابو بكر وعمر ، اذ انها تبرهن على ان القضية لم تكن سوى تعيين الخلافة التي يستحق التبريك والتهاني ، فالاعلان عن المودة الثابتة لدى كل المسلمين بشكل عام لا يحتاج الى تهنئة .

جاء في مسند الامام احمد ان عمراً ، قال لعلّي بعد خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :
هنيئاً لك يا ابن ابي طالب اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة ^(١) .
ونقرأ في العبارة التي ذكرها الفخر الرازي في ذيل الآية : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك » ان عمراً قال : هنيئاً لك اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومومنة ، وبهذا فان عمراً يعدّه موله ومولى المؤمنين جميعاً .

وفي تاريخ بغداد جاءت الرواية بهذا الشكل : بخ بخ لك يا ابن ابي طالب ! اصبحت مولاي ومولى كل مسلم ^(٢) .

وجاء في «فيض القدير» ، و «الصواعق» ، ان ابا بكر وعمرأ باركا لعلّي بالقول : امسيت يا ابن ابي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة ^(٣) .

ومن نافلة القول : ان المودة العادية بين المؤمنين ليست لها مثل هذه المراسيم ، وهذا لا ينسجم إلا مع الولاية التي تقضي الخلافة .

٤ - ان الشعر الذي نقلناه آنفاً عن «حسان بن ثابت» بذلك المضمون والمحتوى

١ - مسند احمد : ج ٤ ، ص ٢٨١ (على ضوء نقل الفضائل الخمسة ، ج ١ ص ٤٣٢) .

٢ - تاريخ بغداد : ج ٧ ، ص ٢٩٠ .

٣ - فيض القدير : ج ٦ ، ص ٢١٧ - الصواعق ، ص ١٠٧ .

الرفيع ، وتلك العبارات الصريحة والجلية شاهد آخر على هذا الادعاء ، وتشير الى هذه القضية بما فيه الكفاية (راجعوا تلك الايات مرة أخرى).



٢ - سائر آيات القرآن في تأييد حديث الغدير

روى كثير من المفسرين ورواة الحديث في ذيل الآيات الاولى من سورة المعارج : ﴿ سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع - من الله ذي المعارج ﴾ شأن النزول و خلاصته :

ان النبي (ﷺ) عين علياً خليفة يوم غدير خم وقال بحقه : «من كنت مولاه فعلي مولاه» ، فمالبت ان انتشر الخبر ، فجاء «النعمان بن الحارث الفهري» - (وكان من المنافقين) ^(١) - الى النبي (ﷺ) وقال : لقد امرتنا ان نشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ، فشهدنا ، ثم امرتنا بالجهاد والحج والصلاة والزكاة فقبلنا ، فلم ترض بكل ذلك ، حتى اقامت هذا الفتى «مشيراً الى علي (عليه السلام) خليفة لك ، وقلت : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ فهل هذا منك ام من الله ؟ قال النبي (ﷺ) «والله الذي لا معبود سواه انه من الله» ، فالتفت إليه «النعمان بن الحارث» ، وقال : «الهي ان كان هذا حقاً منك فانزل علينا حجارة من السماء» !

وفجأة نزلت حجارة من السماء على رأسه وقتلته فنزلت آية سأل سائل بعذاب واقع .

ما ورد اعلاه يطابق الرواية التي نقلت في مجمع البيان عن ابي القاسم الحسكاني ^(٢) وقد نقل هذا المضمون الكثير من مفسري اهل السنة ورواة الاحاديث

١ - جاء في بعض الروايات انه «الحارث بن النعمان» وفي بعضها «النضر بن الحارث» .

٢ - مجمع البيان : ج ٩ و ١٠ ، ص ٣٥٢ .

مع شيء من الاختلاف، مثل: القرطبي في تفسيره المعروف^(١)، والآلوسي في تفسير روح المعاني^(٢)، وأبو إسحاق الثعلبي في تفسيره^(٣).

وينقل العلامة الأميني هذه الرواية في كتاب الغدير عن ثلاثين من علماء السنة (مع ذكر المصدر ونص العبارة)، منها السيرة الحلبية، «فرائد السمطين» للحموي، «درر السمطين» للشيخ محمد الزرندي، و«السراج المنير» لشمس الدين الشافعي، «شرح الجامع الصغير» للسيوطي، و«تفسير غريب القرآن» للحافظ أبو عبيد، الهروي، و«تفسير شفاء الصدور» لأبي بكر النقاش الموصلي، وكتب أخرى.

وقد أورد بعض المفسرين أو المحدثين الذين يُقرّون بفضائل علي (عليه السلام) على مضيض إشكالات مختلفة على شأن النزول هذا، أهمها الإشكالات الأربعة التالية التي أوردها صاحب تفسير المنار وآخرون بعد ذكرهم للرواية أعلاه:

الإشكال الأول: أن سورة المعارج مكية، ولا تتناسب مع واقعة غدير خم.

والجواب: أن كون السورة مكية لا يعتبر دليلاً على أن جميع آياتها نزلت في مكة، فلدينا العديد من سور القرآن الكريم التي تدعى بالمكية وكتبت في جميع المصاحف على أنها مكية، بيد أن عدداً من آياتها نزلت في المدينة، وكذا العكس، فعلى سبيل المثال أن سورة العنكبوت من السور المكية، والحال أن آياتها العشر الأولى نزلت في المدينة، على ضوء قول الطبري في تفسيره المعروف، والقرطبي في تفسيره وآخرين من العلماء^(٤).

أو سورة الكهف المعروفة بأنها مكية بينما نزلت آياتها السبع الأولى في المدينة

١- الجامع لأحكام القرآن: ج ١٠، ص ٦٧٥٧.

٢- روح المعاني: ج ٢٩، ص ٥٢.

٣- وفقاً لنقل نور الأبصار للشبلنجي: ص ٧١.

٤- تفسير الطبري: ج ٢٠، ص ٨٦، القرطبي ج ١٣، ص ٣٢٣.

استناداً لتفسير «القرطبي»، و«الاتقان» للسيوطي، وتفسير عديدة^(١).

وهكذا فهناك سورٌ عدت بانها مدينة بينما نزلت آيات منها في مكة، مثل سورة «المجادلة» فهي مدنية كما هو معروف، إلا أن الآيات العشر الأولى منها نزلت في مكة، طبقاً لتصريح بعض المفسرين^(٢).

وموجز الكلام أنه توجد حالات كثيرة بأن تذكر سورة على أنها مكية أو مدنية، ويكتب عليها في التفسير والمصاحف هذا الاسم إلا أن جانباً من آياتها قد نزل في موضع آخر.

وعليه فلا مانع أبداً من أن تكون سورة المعارج هكذا أيضاً.

الاشكال الثاني:

جاء في هذا الحديث أن الحارث بن النعمان جاء إلى النبي (ﷺ) في إلبطح، ونحن نعلم أن إلبطح اسم لوادي مكة، ولاتلائم مع نزول الآية بعد واقعة الغدير بين مكة والمدينة.

الجواب: أولاً أن عبارة إلبطح في بعض الروايات فقط لا في جميعها، وثانياً: أن «إلبطح والبطحاء» تعني الأرض الرملية التي يجري فيها السيل، وهناك مناطق في المدينة وسائر المناطق يطلق عليها اسم إلبطح أو البطحاء أيضاً، واللطف أنه قد أشير إليها مراراً في الشعر العربي.

منها الشعر المعروف الذي أنشده «شهاب الدين» المشهور بـ «حيص بيص» في رثائه لأهل البيت (عليهم السلام)، عن لسانهم في مخاطبة قاتليهم:

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم ابطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما غدونا عن الاسرى نعفوا ونصفح

١ - للمزيد من الاطلاع على الموضوع: راجعوا الجزء الاول من كتاب الغدير، ص ٣٥٦، و ٢٥٧.

٢ - تفسير أبي السعود الذي كتب على هامش تفسير الرازي، ج ٨ ص ١٤٨ والسراج المنير، ج ٤، ص ٣١٠.

ومن الواضح ان مقاتل اهل البيت (عليه السلام) كانت على الاغلب في العراق وكربلاء والكوفة والمدينة ، وما أريق دم في ابطح مكة ابداً ، نعم استشهد بعض اهل البيت (عليه السلام) في واقعة «الفخ» التي تبعد عن مكة ما يقرب من فرسخين ، والحال انّ الابطح يجاور مكة^(١).

وشاعر آخر يرثي الامام الحسين (عليه السلام) سيد الشهداء قائلاً:
وتأُنُّ نفسي للربوع وقد غدا بيت النبيّ مقطّع الاطنابِ
بيت لآلِ المصطفى في كربلاء ضربه بين اباطح وروابي
وثمة اشعار أخرى كثيرة ورد فيها تعبير «الابطح» أو «الاباطح» لا تعني منطقة خاصة في مكة .

وملخص الكلام ، صحيح ان أحد معاني الابطح هو بقعة في مكة ، إلا ان معنى ومفهوم ومصداق الابطح لا ينحصر بتلك البقعة .



٣- كيفية ارتباط هذه الآية بما قبلها وبعدها

ان بعض المفسرين ومن اجل مجانية الحقيقة الكامنة في هذه الآية توّسل بمبرر آخر وهو: ان سياق الآيات السابقة واللاحقة بشأن اهل الكتاب لا تنسجم مع قضية الولاية والخلافة والامامة ، ولا تتناسب هذه الاثنيينية مع بلاغة وفصاحة القرآن^(٢).
إلا ان كافة المطلعين على كيفية جمع آيات القرآن يعرفون ان آيات القرآن نزلت تدريجياً وبمناسبات مختلفة ، من هنا فكثيراً ما تتحدث سورة ما حول قضايا مختلفة ، فجانّب منها يتحدث عن الغزوة الفلانية ، والجانب الآخر حول الحكم والتشريع الاسلامي الفلاني ، وجانّب يخاطب المنافقين ، وآخر يخاطب المؤمنين ،

١- الفدير: ج ١، ص ٢٥٥.

٢- تفسير المنار: ج ٦، ص ٤٦٦.

فمثلاً لو طالعنا سورة النور لوجدناه تحتوي على جوانب متعددة ، كل منها ناظرٌ الى موضوع ، بدءً من التوحيد والمعاد ومروراً بتنفيذ حدِّ الزنا وقصة «الافك» ، والقضايا المتعلقة بالمناققين ، والحجاب وغيرها ، (وكذلك سائر السور الطوال التي حدِّ ما) بالرغم من وجود ارتباط عام بين مجموعة اجزاء السورة .

والسر وراء هذا التنوع في المحتوى ما قيل : ان القرآن نزل تدريجياً وحسب المتطلبات والضرورات وفي مختلف الاحداث ، وليس على هيئة كتاب كلاسيكي ابدأ بحيث يتابع موضوعاً معداً سلفاً ، على هذا الاساس لامانع على الاطلاق من ان تنزل مقاطع من سورة المائدة بشأن اهل الكتاب ، ومقاطع منها في واقعة الغدير ، بالطبع فمن وجهة النظر العامة انهما يرتبطان معاً اذ انَّ تعيين خليفة لرسول الله (ﷺ) يترك اثره على قضايا اهل الكتاب ايضاً ، لأنه سيؤدي الى يأسهم من انهيار الاسلام برحيل النبي (ﷺ) .



٤- لماذا لم يحتج الامام علي (عليه السلام) بحديث الغدير ؟

إنَّ البعض الآخر من اللاهثين وراء التبريرات يقول : اذا كان حديث الغدير يتمتع بهذه العظمة والواقعية فلماذا لم يحتج به علي (عليه السلام) واهل بيته واصحابه ومحبيه عند الحاجة ؟ الم يكن من الافضل ان يستندوا الى مثل هذه الوثيقة المهمة من اجل اثبات خلافة علي (عليه السلام) ؟!

انَّ هذا الاشكال شأنه شأن سائر الاشكالات فهو ناتج عن عدم الاطلاع الكافي على كتب الحديث والتاريخ والتفسير ، فلقد رويت أحاديث عديدة في كتب علماء السنة انَّ علياً (عليه السلام) أو الأئمة أو انصارهم قد احتجوا بحديث الغدير ، والمدعاه هو : كيف غابت عن أنظار المشككين ؟ .

منها ما ينقله «الخطيب الخوارزمي الحنفي» في كتابه «المناقب» عن «عامر بن

وائلة»

قال: كنت مع علي (عليه السلام) يوم الشورى وسمعته يقول لهم: لاحتجن عليكم بما لا يستطيع عربيتكم ولا عجميتكم تغير ذلك، ثم قال: انشدكم الله ايها النفر جميعاً أفيكم أحد وخذ الله قبلي؟ فانشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ﷺ): مَنْ كُنْتُ مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره ليسبلغ الشاهد الغائب غيري^(١).

ونقل هذه الرواية «الحمويني في فرائد السمطين في الباب ٥٨، وابن حاتم في درر النظم، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة».

كما روى ابن حجر في الصواعق هذا المضمون عن الدار قطني^(٢).

وفي كتاب الغدير ذكر بحث شامل وبمصادر واسعة حول «مناشدة» امير المؤمنين (عليه السلام) في مواطن عديدة، منها أيام عثمان، وابان خلافته، يوم الجمل، ومرة اخرى في الكوفة يوم صفين، بالاضافة الى المواضع الستة عشر الاخرى المنقولة من احتجاجات فاطمة (عليها السلام)، والامام الحسن (عليه السلام)، والامام الحسين (عليه السلام)، وجماعة من الصحابة وغيرهم، التي تحكي عن المعلومات الواسعة لهذا الكاتب الكبير من جهة، ومن ناحية اخرى تبرهن على ان الاحتجاج بهذا الحديث كان موضع اهتمام على مدى القرون المختلفة، بالرغم من سعي السياسات الخاصة التي كانت مهيمنة على هذه القضية في التقليل من اهميتها قدر الامكان. نظراً الى ان الفور في هذه البحوث الواسعة يخرجنا عن الهدف الذي نبتغيه، فاننا نكتفي بهذا المقدار ونحيل الراغبين الى هذا المصدر^(٣) وسائر المراجع.

١- المناقب: ص ٢١٧.

٢- الغدير: ج ١ ص ١٦١.

٣- الغدير: ج ١، ص ١٥٩ - ٢١٣.

٢- آية الولاية

الآية الاخرى التي تعقب قضية الامامة الخاصة ، تقول :
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (المائدة / ٥٥).

شأن النزول

روى الكثير من المفسرين والمحدثين في شأن نزول هذه الآية انها نزلت بحق
علي (عليه السلام).

فينقل السيوطي في «الدر المنثور» عن ابن عباس : ان علياً كان راکعاً واذا سائل
فاعطاه خاتمه ، فسأله النبي (ﷺ) من الذي أعطاك هذا الخاتم ؟ فأوماً الى
علي (عليه السلام) وقال : ذلك الراكع ، فنزلت آية : انما وليكم الله^(١)

وفي الكتاب نفسه رويت روايات عديدة بنفس المضمون عن «ابن عباس» ، و«

سلمة بن كهيل» وعن علي (عليه السلام) نفسه^(١).

وروي المعنى نفسه في كتاب «اسباب النزول» للواحدي عن «جابر بن عبد الله»، وكذا عن «ابن عباس»^(٢).

يقول المفسر الشهير «جار الله الزمخشري» في كتاب «الكشاف» :

«انها نزلت في علي (عليه السلام) حين سأل سائل وهو راکع في صلاته فطرح له خاتمه»^(٣)، وينقل الفخر الرازي في تفسيره عن «عبد الله بن سلام»: لما نزلت هذه الآية، قلت: يا رسول الله أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه على محتاج وهو راکع فنحن نتولاه.

كما ويروى عن ابي ذر قوله: صليت مع رسول الله (ﷺ) يوماً صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده الى السماء وقال: اللهم اشهد اني سألت في مسجد رسول الله (ﷺ) فما اعطاني احد شيئاً، وعلي (عليه السلام) كان راکعاً فأوما اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فاقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي (ﷺ) فقال: اللهم ان أخي موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري - واشركه في امري فانزلت قرآناً ناطقاً «سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطاناً» فنزلت الآية^(٤).

وبطبيعة الحال فان للفخر الرازي - وكالعادة - شبهات على كيفية دلالة هذه الآية على الامامة حيث سنشير اليها لاحقاً.

ويروي الطبري ايضاً في تفسيره روايات عديدة في ذيل هذه الآية وشأن نزولها، اذ تفيد اكثرها ان هذه الآية نزلت بحق علي (عليه السلام)^(٥).

١ - تفسير الدر المنثور: ج ٢، ص ٢٩٣.

٢ - اسباب النزول: ص ١٤٨.

٣ - تفسير الكشاف: ج ١، ص ٦٤٩.

٤ - تفسير الفخر الرازي: ج ١٢، ص ٢٦.

٥ - تفسير الطبري: ج ٦، ص ١٨٦.

واوردت طائفة أخرى هذه الرواية بعبارات مختلفة في حق علي (عليه السلام)، منها في كنز العمال ج ٦، ص ٣١٩ حيث ينقل هذه الرواية عن ابن عباس .
كما ينقل «الحاكم الحسكاني» الحنفي النيشابوري من علماء القرن الخامس المعروفين في «شواهد التنزيل» بخمسة طرق عن «ابن عباس»، واثنتين عن «انس بن مالك»، ومثلها عن «محمد بن الحنفية»، وواحد عن «عطاء بن السائب»، ومثله عن «عبد الملك بن جريح المكي» عن النبي (ﷺ) آية «انما وليكم الله» نزلت بحق علي (عليه السلام) عندما تصدق بخاتمه وهو راع (١).

ونقل المرحوم العلامة الاميني الرواية اعلاه ونزول هذه الآية بحق علي (عليه السلام) عن كثير من كتب السنة فقارب العشرين كتاباً (مع ذكر دقيق لمصادرها ووثائقها)، وبامكان الراغبين مراجعة ذلك الكتاب للمزيد من الاطلاع (٢).

ونقل هذا المعنى في كتاب احقاق الحق عن كثير من الكتب (٣).
والأمر اللطيف الآخر هو ان شاعر الرسول (ﷺ) المعروف «حسان بن ثابت» اورد هذه القضية في شعره على انها مسألة تاريخية مُسلم بها.
فهو يقول في شعره مخاطباً علياً (عليه السلام):

وانت الذي أعطيت إذ كنت راعاً زكاةً فدتك النفس ياخير راع
فانزل فيك الله خير ولاية وبينها في محكمات الشرائع (٤)
ونقرأ في القصيدة الأخرى التي رواها «سبط بن الجوزي» عن «حسان»:
من ذا بخاتمه تصدق راعاً واسرّها في نفسه اسراراً! (٥)

١ - للمزيد من الاطلاع على الطرق المذكورة، راجعوا شواهد التنزيل ص ١٦١ - ١٦٨ (طبعة الاعلامي بيروت).

٢ - الغدير: ج ٢، ص ٥٢ و ٥٣.

٣ - احقاق الحق: ج ٢، ص ٣٩٩ - ٤٠٧.

٤ - روي شعر حسان بن ثابت في كثير من الكتب باختلاف بسيط، منها في تفسير روح المعاني، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي وكتب أخرى.

٥ - تذكرة الخواص: ص ١٠، ونقله الكنجي الشافعي أيضاً في كفاية الطالب ص ١٢٣ وعد قائله بعدة شعراء.

وموجز القول : ان نزول هذه الآية بحق علي (عليه السلام) ليس بالأمر الذي يُشككُ أو يرتاب فيه حتى ان مؤلف «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» ، يقول : لقد نقلت روايات «متظافرة» بل متواترة عن طرق أهل السنة واتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الصدد .

والمهم هو تبين كيفية دلالتها على الولاية وخلافة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .



كيفية دلالة الآية على الخلافة

لقد استند في الآية اعلاه على مفهوم كلمة «الولي» ، وذكرُ علي على انه ولي المسلمين ، صحيح أن لكلمة الولي معاني عديدة كما أشرنا اليها آنفاً ، فتارة تعني الناصر والصديق ، واخرى جاءت بمعنى المتصرف والحاكم المشرف وكما يقول الراغب : ان اصلها بمعنى أن يحصل شيان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ماليس منهما ثم يضيف : «الولاية» بكسر الواو بمعنى «النصرة» و«الولاية» بفتح الواو تعني تولي الأمر^(١) .

أما القرينة الموجودة في الآية فهي تدل على ان «الولي» هنا تعني المتولي والمشرف وصاحب الخيار لانها لو كانت تعني الناصر والصديق والمعين لشملت المؤمنين جميعاً ، كما نقرأ في الآية ٧١ من سورة التوبة : «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» ، بيد ان الولاية في آية البحث اعتبرت منحصرة في حالة خاصة بذلك المتصدق في ركوعه ، وكلمة «انما» التي تفيد الحصر جاءت معها (تأملوا جيداً) .

ان هذا التعبير يجعلنا نتيقن بان «الولاية» في الآية أعلاه لا تعني الصداقة

١ - مفردات الراغب : مادة «ولي» وذكر البعض ٢٧ معنى للمولى (الغدير، ج ١، ص ٣٦٢) إلا ان اصول معانيها ذاك المعنيان والبقية ترجع اليها .

والنصرة (وكذا سائر المعاني المشابهة والقريبة لهذا المعنى) ، وعلى هذا الاساس فلا مجال إلا ان تكون بمعنى المتولي وصاحب الأمر المشرف ، الذي توازي ولايته ولاية الله والنبى الاكرم (ﷺ) .

والآية التالية : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

وحقيقة هذه الآية أنها تتمم لمضمون الآية اعلاه ، وتلاحظ فيها قرينة اخرى على تفسير الولاية بمعنى تولى الأمر والاشراف ، لان التعبير بـ «حزب الله» وانتصارهم على الاعداء يتعلق باقامة حكومة اسلامية لا على أساس الصداقة العادية ، وهذا يفيد ان كلمة الولي في الآية تعني المشرف والحاكم والماسك بزمام امور الاسلام والمسلمين ، لأن معنى «الحزب» هو ضرب من التنظيم والتضامن الاجتماعي من اجل تأمين اهداف مشتركة .



شبهات واعتراضات

ان دلالة الآية على الامامة والخلافة كما رأينا واضحة ، ولو كانت هذه الآية قد نزلت بحق الآخرين ربما لم يجر حولها أدنى جدال ! ولكن لكونها قد نزلت بحق علي (عليه السلام) ولا تنسجم مع الغاية الناشئة عن الطائفية ، فقد اصر البعض على ايراد الشبهات على صدر الآية وذيلها وشأن نزولها ودلالاتها من كل جانب .

ويمكن تصنيف هذه الشبهات الى صنفين : فبعضها ذات صبغة علمية ظاهراً فيجب الرد عليها بصورة علمية ، إلا ان البعض يستند الى ما يُستشهد به ، وكذلك وجود المبررات حسب زعم مثيرها فينبغي ايضاً بحثها ونقدها بشكل اجمالي :

١ - الشبهة الاولى التي تعتبر من الصنف الاول هي ان الضمائر والاسماء الموصولة التي في الآية جاءت بصيغة ضمير الجمع ، مثل «الذين آمنوا» و«الذين

يقيمون الصلاة» و«يوتون الزكاة» و«هم راكعون» فكيف والحالة هذه تنطبق على فرد واحد.

فالآية تقول : ان اولياءكم هم الذين يتمتعون بهذه المزايا أي علي بن ابي طالب (عليه السلام).

الجواب : بالنظر الى شأن نزول الآية الذي نقل بشكل مستفيض بل متواتر في كتب الشيعة والسنة لم يبق مجال للشك في انها ناظرة الى شخص واحد ، وتعبير آخر : ان الروايات والتاريخ الاسلامي يشهد بان التصديق على السائل في حال الركوع يختص بعلي (عليه السلام) لأن القائم بالتصدق واحد ، ولم تقم به مجموعة من هنا لابد من القول : ان التعبير بصيغة الجمع جاء من اجل احترام وتعظيم منزلة ذلك الشخص . وكثيراً ما يُشاهد في الادب العربي أن جاء لفظ الجمع تعبيراً عن المفرد ، فمثلاً جاءت كلمة «نساتنا» في آية المباهلة بصورة الجمع ، بينما المقصود منها فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقط طبقاً لصريح شأن النزول ، وفي نفس الآية جاءت كلمة «انفسنا» بصيغة الجمع ، والحال ان الجميع يسلمون بان لا أحد شارك في المباهلة غير النبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام) ، وجاء ايضاً في قصة «غزوة حمراء الاسد» : الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً .

وهنا ذكر الناطق بهذا الكلام كلمة «الناس» التي تفيد الجمع بينما جاء في التاريخ ان القائل ليس سوى «نعيم بن مسعود» .

وجاء ايضاً بشأن نزول الآية ٥٢ من سورة المائدة : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة » اذ نقرأ هنا انها نزلت بشأن «عبد الله بن أبي» ، والحال ان الضمائر هنا جاءت بصيغة الجمع .

كما ان الخطاب في الآية الاولى من سورة الممتحنة عامً بينما نزلت بشأن رجل يدعى «حاطب بن ابي بلتعة» ، وفي الآية ٨ من سورة المنافقين جاء الضمير بصيغة الجمع ايضاً ، يقولون : (لئن رجعنا الى المدينة ٠٠٠) بينما كان القائل هو «عبد الله بن

أبي).

وكذلك في الآية ٢٧٤ من سورة البقرة: «الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار» التي نزلت في حق علي (عليه السلام) طبقاً للكثير من الروايات، بينما ان ضمائرهما جميعاً جاءت بصيغة الجميع.

وجاءت الآية ٢١٥ من سورة البقرة المتعلقة بالسؤال عن الاشياء التي يجب ان ينفقوها: «يسألونك ماذا ينفقون» بصيغة الجمع بينما كان السائل هو شخص يدعى «عمر بن الجموح»^(١).

ولكن ما السبب في ان يأتي الكلام بصيغة الجمع في هذه الحالات مع ان المراد شخص واحد؟ ربما يكون سببه في بعض الحالات، الاحترام، وفي بعضها اشارة الى مؤازرة الآخرين لذلك الشخص، وبالتمعن في الحالات اعلاه يمكن تمييز حالات الاحترام عن حالات المؤازرة.

فضلاً عن كل ذلك فنحن نعلم ان ضمير الجمع «المتكلم مع الغير» قد استخدم في آيات القرآن في حالات لاحتصاها اثناء حديث الله عن نفسه، مع ان ذاته المقدسة لانظير لها في الوحدة والتفرد، وهو «احد واحد» من جميع الجوانب، وهذا مرده الى ان العظيم يمتلك جنوداً مطيعين وممثلين لاوامره في اداء ما يشاء، وهذا يؤدي الى استخدام ضمير الجميع مع كونه مفرداً، وبتعبير آخر ان ضمير الجميع هذا دليل على عظمتة وسمو مقامه.

٣ - الشبهة الثانية: هي ان من المسلم به ان علياً (عليه السلام) لم تكن له ولاية بمعنى الحكم وقيادة المسلمين في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكيف يتعين تفسير الآية هكذا؟ الجواب على هذا السؤال واضح، فكثيراً ما شاهدنا خلال التعابير اليومية بان يطلق اسم او عنوان على اشخاص مرشحين او منتخبين لذلك المنصب وان لم يمارسوا العمل به بعد، او بتعبير آخر: انهم يتمتعون بذلك المقام بالقوة لا بالفعل.

١ - للمزيد من الاطلاع على مصادر هذه الروايات، يراجع التفسير الامثل، ذيل الآيات اعلاه.

فمثلاً يقوم انسان في حياته بتعيين شخص ما «وصياً» له ، وبالرغم من كونه حياً فاننا نقول : ان فلانا وصيه أو القيم على اطفاله .

فاطلاق الوصي والخليفة على علي (عليه السلام) في عهد النبي (ﷺ) كان من هذا القبيل ايضاً ، حيث اختاره النبي (ﷺ) في حياته لهذا الأمر باذن من الله ، وأثبت له الخلافة بعد رحيله .

ويلاحظ هذا المعنى ايضاً في الآية ٥ من سورة مريم اذ يطلب زكريا من الله تعالى : « هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا » ، واستجاب الله له ووهبه يحيى ، ومن المسلم به ان يحيى لم يكن خليفته ووليه ووارثه في حياته ، بل عُيِّنَ لما بعد حياته .

ويشاهد نظير هذا الكلام في واقعة «يوم الانذار» (اليوم الذي جمع به النبي (ﷺ) اقربائه ليدعوهم الى الاسلام للمرة الاولى) ، فطبقاً لما « المؤرخون » الاسلاميون سواء من السنة أو الشيعة ، ان النبي (ﷺ) اوما الى علي (عليه السلام) في ذلك اليوم وقال :

ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوه^(١) .

فهل يتسبب التعبير اعلاه في خلق مشكلة في عهد النبي (ﷺ) ؟
فلا شك من أن الجواب سيكون بالنفي فالتعبير بالولي في آية البحث كذلك تماماً .

أما شبهات الفريق الثاني (التبريرات) فهي عديدة ايضاً منها :

١ - قولهم : أي زكاة واجبة كانت متعلقة بذمة علي (عليه السلام) وهو الذي لم يكن يجمع لنفسه من مال الدنيا ؟ واذا كان المراد الصدقة المستحبة فلا يقال لها زكاة ؟
الجواب :

١ - روى هذا الحديث الكثير من علماء السنة مثل : ابن ابي جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي والثعلبي والطبري ، وأورد ابن الاثير هذا الكلام في ج ٢ من كتاب الكامل ، وكذلك «ابو الفداء» في الجزء الأول من تاريخه وجماعة آخرون (للمزيد من الاطلاع انظروا البحوث الآتية) .

اولاً: ان اطلاق الزكاة في القرآن الكريم على الزكاة المستحبة كثير ، فكثيراً ماورد في الكثير من السور المكية اسم «الزكاة» والمراد منها الزكاة المستحبة ، اذ ان وجوب كانت بعد هجرة النبي (ﷺ) الى المدينة .

والآيات ٣ من سورة النمل ، و٣٩ من سورة هود ، و٤ من سورة لقمان من جملة الموارد التي جاءت فيها كلمة الزكاة ، ونظراً لكون هذه السور مكية فان المراد هو الزكاة المستحبة .

ثانياً: صحيح ان عليا (عليه السلام) لم يدخر من مال الدنيا إلا انه كانت تأتيه حصة من بيت المال ، ومن المتيقن انه كان يمتلك وارداً بسيطاً من مجهوده ايضاً ، وان الخاتم المذكور من الفضة والظاهر انه كان رخيصاً ، على هذا الاساس فان تعلق هذا القدر من الزكاة البسيطة به (عليه السلام) ليس مستبعداً ابداً ، وان المبالغة بما قالوه بشأن قيمة ذلك الخاتم لا اساس لها من الصحة على الاطلاق .

٢ - ألا يتعارض الانتباه الى السائل مع حضور القلب في الصلاة والاستغراق في مناجاة الخالق جل وعلا (حتى عرف بان نصلاً وقع في رجله فاخرجه اثناء الصلاة ولم يحس)^(١) فكيف يتسنى له الانتباه الى السائل اثناء الصلاة؟!

الجواب :

ان الذي يورد هذا الاشكال غافل عن سماع صوت السائل ومساعدته فما قام به علي (عليه السلام) لا يعتبر توجهها الى غير الله ، أو الى الذات أو الامور الدنيوية ، بل انه في واقع الامر توجه الى الله .

فقد كان القلب المقدس لعللي (عليه السلام) يشعر بالسائلين ، ويستجيب لندائهم فقد مزج عمله العبادي هذا بعبادة اخرى ، وتصدق اثناء الصلاة ، وكلاهما كان لله وفي

١ - نص الرواية هكذا: روي انه وقع نصل في رجله فلم يتمكن من اخراجه فقالت فاطمة (عليها السلام) اخرجوه في حال صلاته فانه لا يحس بما يجري عليه حينئذ فاخرج وهو في صلاته (المحجة البيضاء: ج ١، ص ٣٩٨ - احقاق الحق: ج ٢، ص ٤١٤).

سبيله .

ومثل هذا الاشكال في الحقيقة اشكال على القرآن الكريم ، لان الله تعالى قد امتدح في هذه الآية اعطاء الزكاة اثناء الركوع ، ولو كان هذا العمل دليلاً على الغفلة عن ذكر الله فلا ينبغي ان يستند اليها كصفة سامية وفائقة الهمية .
فهؤلاء المتعصبون يريدون في الواقع انكار فضل علي (عليه السلام) فيشكلون على الله عز وجل .

انتبهوا هنا الى كلام الرازي فهو يقول : « وهو ان اللائق بعلي (عليه السلام) ان يكون مستغرق القلب بذكر الله حال ما يكون في الصلاة ، والظاهر ان من كان كذلك فانه لا يتفرغ لاستماع كلام الغير وفهمه » ^(١) .

علينا ان نسأل الفخر الرازي ان اذا كان هذا العمل خلافا لاداب الصلاة وحضور القلب ، فلماذا اثنى عليه الباري جل وعلا ، واعتبر ولاية المؤمنين حقيقة بمثل هذا الشخص ؟!

على أية حال ، فلا مجال للشك بان سماع صوت المحتاج والاستجابة له في حال الصلاة عبادة مضاعفة حصلت في آن واحد ، وعلينا ان نعوذ بالله من التعصب الذي تباعد بنا عن الحقائق .

٣ - ومن جملة التبريرات التي طرحت هنا بصيغة اشكال هو : ان التصديق بالخاتم على السائل فعل كثير ويتعارض مع الصلاة !!

ليس هناك ما يدعو للعجب ، فعندما يريد الانسان ان لا يذعن للواقع فانه يصطنع التبريرات ليحاجج بها ، وهو على يقين بأن تبريراته واهية ؟!

الجواب :

اولاً: ان عملية اخراج الخاتم تمت باشارة بسيطة وعلى ضوء جميع الفتاوى ليس فعلاً كثيراً ولا يوجب الاشكال في الصلاة ، لا سيما اذا اشاروا ، السائل اخرجه

بنفسه .

ثانياً: لقد صرح الفقهاء بأن حتى قتل الحيوان اللادغ مثل «العقرب» اثناء الصلاة، أو رفع الطفل ووضعه اثناء ذلك، أو حساب عدد الركعات عن طريق الحصى، بل وحتى غسل جانب من اللباس أو اليد اذا تنجست اثناء الصلاة، لا يضر بالصلاة، بينما يعتبر اعطاء الخاتم للسائل أو اخراجه أبسط من ذلك بكثير.

٤ - يقول المبررون من اين جاء علي (عليه السلام) بذلك الخاتم النفيس؟ والم يكن التختم به اسرافاً؟

الجواب: من الذي قال: انّ ذلك الخاتم كان نفيساً، ولماذا نصغي ونصدّق بمثل ذلك الهراء الفارغ، ونسير رويداً رويداً نحو انكار آية قرآنية؟

لقد ورد في رواية واحدة مرسله وضعيفة ان قيمة ذلك الخاتم كانت تعادل خراج الشام! حيث من المسلم به انها اكثر شبيهاً بالخرافة لا بالحقيقة، ولعلها جعلت من قبل الذين وضعوها بقصد التقليل من قيمة هذه الفضيلة العظيمة.

انّ في مثل هذه الحالات ليس المهم ينفق فيها بل المهم هو ان الانسان نفسه محتاج الى الشيء ويفضّ الطرف عنه في سبيل الله، ويكون هذا الفعل مقروناً بغاية خلوص النية.

فعندما تنزل سورة كاملة في القرآن وهي (سورة هل أتى) بسبب اعطاء بضعة اقراص من الخبز (وفي حالة من الجوع طبعاً) الى المسكين واليتيم والاسير في سبيل الله، فما العجب في ان تنزل آية بشأن التصديق بخاتم علي فقير اثناء الصلاة. وامثال هذه الشبهات التي يؤدي التطرق الى ذكرها والرد عليها الى هدر الوقت.

٣- آية أولي الأمر

يقول تعالى في الآية ٥٩ من سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .

في بحث الولاية العامة كان لنا كلام مفصل حول معنى هذه الآية ومن هم المقصودون فيها ، وكما جرت الإشارة اليه فان الامر بالطاعة المطلقة لـ «اولي الامر» الى جانب رسول الله (ﷺ) دليل على ان «اولي الامر» تشمل الذين هم في منزلة رسول الله (ﷺ) أي اوصياؤه المعصومون ، لانه من المتعذر الطاعة المطلقة لغير المعصومين (عليه السلام).

وبالمناسبة فان جميع الاحتمالات التي قيلت في تفسير «اولي الامر» قد بحثت ، ورأينا عدم وجود معنى صحيح لها إلا الامام المعصوم .

ان ما يجب ان نضيفه على ذلك هنا - في بحث الولاية الخاصة «خلافة علي (عليه السلام)» - ، هو بحث اكثر تفصيلاً حول الروايات التي وردت في المصادر الاسلامية المعروفة (لاسيما مصادر اهل السنة المشهورة) في دلالة هذه الآية على علي (عليه السلام) .

نقل المفسر المعروف «الحاكم الحسكاني» الحنفي النيشابوري خمس روايات

في ذيل هذه الآية حيث دلت فيها جميعاً صفة «أولي الامر» على علي (عليه السلام) (كمصداق جلي).

ففي الرواية الاولى ينقل عنه (عليه السلام) لما قال رسول الله (ﷺ): شركائي الذين قرنهم الله بنفسه وبني وأنزل فيهم ﴿يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول﴾ الآية ... قلت: يا نبي الله من هم؟ قال: أنت أولهم.^(١)

وفي الرواية الثانية ينقل عن المفسر المعروف «مجاهد» ان هذه الآية نزلت بحق امير المؤمنين (عليه السلام) عندما خلفه على المدينة (عندما توجه الى معركة تبوك).

في الرواية الثالثة ينقل هذا المعنى عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام)، وفي الرواية الرابعة ينقل عن «سعد بن ابي وقاص»، قوله: لما نزل رسول الله (ﷺ) لحقه علي (عليه السلام) يحمل سلاحاً؛ فقال: يا رسول الله خلفتني عنك ولم اتخلف عن غزوة قبلها وقد أرجف المنافقون بي أنك خلفتني لما استثقلتني!!! قال سعد: فسمعت رسول الله (ﷺ) يقول: يا علي أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لاني بعدي فارجع اخلفني في أهلي وأهلك.

وروي عنه (عليه السلام) نفس هذا المعنى في الرواية الخامسة^(٢).

وفي تفسير «البحر المحيط» تأليف «أبو حيان الاتدلسي المغربي» ومن بين ما نقل حول معنى أولي الامر، ينقل عن مقاتل وميمون والكلبي (وثلاثهم من المفسرين): ان المراد منها امراء السرايا أو أئمة اهل البيت (عليهم السلام)^(٣).

ثم اثار الموما اليه شبهتين على نزول الآية بحق علي (عليه السلام):

الاولى: ان علياً (عليه السلام) كان واحداً، والحال ان «أولي الامر» صيغة جمع.

والاخرى: ان ظاهر هذه الآية هو ان الناس أمروا بأن يطيعوا اولي الامر اثناء

١ - سنذكر مصادر هذه الروايات عند الانتهاء من الروايات الخمس.

٢ - هذه الاحاديث الخمسة اوردها صاحب شواهد التنزيل في ج ١، ص ١٤٨ - ١٥١.

٣ - البحر المحيط: ج ٣، ص ٢٧٨.

وجود رسول الله (ﷺ) بينما لم يكن علي (عليه السلام) اماماً في عهد رسول الله (ﷺ) (١).

وكان قد طرح ما يشابه هذه الشبهات والاشكالات في آية الولاية، وقد تطرقنا الى الاجابة عليها بوضوح هناك، فمن ناحية قلنا كثيراً ما يعني أشخاصاً وهم على قيد الحياة، ويقولون أو يكتبون: ان فلاناً وصيي، وعليه ان يفعل كذا وكذا، وعلى اولادي اتباعه، ومعنى ذلك هو ان يتعهد القيام بهذه الاعمال بعد ممات الموصي له.

وان قضية «الجمع» ايضاً كما قلنا لا تتسبب في خلق مشكلة على الاطلاق، فكثيراً ما يطلق الجمع على المفرد في القرآن وغيره من النثر والشعر، وفي الواقع ان «اولو الامر» هنا تفيد الجمع وتشمل جميع الائمة المعصومين، وان كان في كل زمان امام ومعصوم واحد، إلا انهم سيكونون جمعاً في النهاية.

للمزيد من التفصيل بصدد الرد على هذين الاشكالين راجعوا ذيل آية الولاية. والجدير بالذكر هو ان فريقاً آخر نقل روايات في شأن نزول هذه الآية غير «الحاكم الحسكاني» في «شواهد التنزيل» اذ يقولون: انها ناظرة الى خلافة علي (عليه السلام).

منهم العالم الشهير «ابو بكر بن المؤمن الشيرازي» الذي ينقل في رسالة الاعتقاد (على ضوء نقل المناقب للكاشي) عن ابن عباس: ان الآية اعلاه نزلت بحق علي (عليه السلام) عندما توجه الرسول الى غزوة تبوك وابقى علياً في المدينة، فقال له علي (عليه السلام): اتخلفني على النساء والصبيان؟ فقال له الرسول (ﷺ): «أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى حين قال: اخلفني في قومي واصلح، فقال عز وجل واولي الامر منكم» (٢).

١- نفس المصدر، ص ٢٧٩.

٢- احقاق الحق: ج ٣، ص ٤٢٥.

يروى صاحب كتاب «ينابيع المودة» الشيخ سليمان الحنفي القندوزي في كتابه عن كتاب «المناقب» عن سليم بن قيس الهلالي : ان رجلاً جاء الى علي (عليه السلام) وسأله : أرني أدنى ما يكون العبد مؤمناً ، وأدنى ما يكون به العبد كافراً ، وأدنى ما يكون به العبد ضالاً ؟ فقال له (عليه السلام) : قد سألت فافهم الجواب وأما أدنى ما يكون العبد به ضالاً ان لا يعرف حجة الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده الذي أمر الله عز وجل عباده بطاعته وفرض ولايته ، قلت : يا امير المؤمنين صفهم لي ؟ قال : الذين قرنهم الله تعالى بنفسه ونبيه فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(١).

ان هذه الرواية شاهد على ان اولي الامر حجج الله ووكلاؤه.

ووردت عشرات الروايات في تفسير البرهان عن مصادر اهل البيت (عليهم السلام) في ذيل الآية كلها تقول : ان الآية المذكورة نزلت بحق علي (عليه السلام) أو بحقه وسائر ائمة اهل البيت (عليهم السلام) ، بل وفي بعض هذه الروايات جاءت اسماء الائمة الاثنى عشر واحداً واحداً^(٢).

١ - ينابيع المودة : ص ١١٦ (طبعة دار الكتب العراقية).

٢ - تفسير البرهان : ج ١ ، ص ٢٨١ - ٢٨٧.

٤- آية الصادقين

نقرأ في الآية ١١٩ من سورة التوبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

لقد تحدثنا عن تفسير هذه الآية بالتفصيل في بحث الولاية العامة، وما يحتاج توضيح أكثر هنا هو شرح الروايات الكثيرة التي طبقت الآية على علي (عليه السلام) أو جميع أهل البيت (عليهم السلام) فمثلاً:

١- يروي المفسر المعروف «السيوطي» في «الدر المنثور» عن ابن عباس في تفسير الآية: اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، انه قال: مع علي بن ابي طالب (عليه السلام). ونقل شبيه هذا المعنى كل من «الخوارزمي» في «المناقب»، و «الزرندي» في «درر السمطين»، و «عبد الله الشافعي» في «المناقب»، و «الحاكم الحسكاني» في «شواهد التنزيل»، مع فارق ان بعضها يعبر به «هو علي بن ابي طالب»، وبعضها به «علي بن ابي طالب خاصة»، وبعض رواها «مع علي واصحاب علي»^(١).

٢- يروي «الحافظ سليمان القندوزي الحنفي» في «ينابيع المودة» عن سلمان

١- المناقب: ص ١٨٩- درر السمطين: ص ٩١- المناقب لعبد الله الشافعي: ص ١٥٤- شواهد التنزيل: ج ١ ص ٢٥٩.

الفارسي : لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ، قال سلمان : يا رسول الله هذا عامة أم خاصة ؟

قال النبي (ﷺ) : اما المأمورون فعامة الناس ، وأما الصادقون فخاصة ، أخي علي وأوصياؤه من بعده الى يوم القيامة^(١) .

٣ - يروي «الحاكم الحسكاني» في «شواهد التنزيل» عن عبد الله بن عمر في ذيل عبارة «وكونوا مع الصادقين» قوله : يعني محمداً وأهل بيته (عليهم السلام)^(٢) .

٤ - روى جماعة من كبار اهل السنة مثل «العلامة الحموي» في «فرائد السمطين» و «الشيخ ابو الحسن الكازروني» في «شرف النبي» عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام) في ذيل هذه الآية قوله : مع آل محمد ، أو مع محمد وآله ، أو مع محمد وعلي حيث ان معناها جميعاً متقارب^(٣) .

ولم ينحصر العظماء الذين نقلوا الرواية بالاشخاص الذين ذكرناهم اعلاه . وهذا الامر يحظى بالاهمية ايضاً حيث يأمر الله تعالى المؤمنين ان يكونوا دوماً مع الصادقين ، فهو حكم مطلق بلا قيد أو شرط ، وهذا المعنى لا يتحقق ابداً الا بشأن المعصومين (عليهم السلام) ، لان غير المعصوم ربما يخطيء ، وفي هذه الحالة فإن الشخص الذي يمكن الوقوف الى جانبه واتباعه دائماً لن يكون الا من المعصومين ، وعليه فالمراد من الصادقين في هذه الآية ليس كل صادق ، بل الصادقون الذين لا سبيل للكذب اليهم - لا عمداً ولا سهواً - مع هذا فالعجب من بعض مفسري اهل السنة المعروفين كالكوسي في تفسير روح البيان مثلاً ، فبعد ذكره لبعض الاخبار التي تفسر الصادقين في هذه الآية بعلي (عليه السلام) ، يضيف : ان الشيعة قد استدلوا بها على أحقية علي (عليه السلام) ، ثم يقول : انه استدلال باطل ويمر منها بدون ان يأتي بدليل واحد على

١ - ينابيع المودة : ص / ١١٥ .

٢ - شواهد التنزيل : ج ١ ، ص ٢٦٢ .

٣ - للمزيد من الاطلاع ، راجعوا احقاق الحق : ج ١٤ ، ص ٢٧٤ و ٢٧٥ والتدير : ج ٢ ، ص ٢٧٧ واحقاق الحق : ج ٣ ، ص ٢٩٦ وما بعدها ، وج ١٤ ، ص ٢٧٠ - ٢٧٧ .

مزاعمه .

إنّ مثل هذه المواقف تدلّ على انه الى اي حد يستطيع حجاب التعصب من الحيلولة دون اشعاع نور الفكر، ويسلب حرية التفكير حتى من العلماء .

وفي المقابل يبرر اناس متحرروا التفكير كالدكتور محمد التيجاني الذي شخص طريقه في ظل هذه الآية والآيات المعنيّة ، وظهر ايمانه بعلي (عليه السلام) وسائر ائمة اهل البيت (عليهم السلام) بشجاعة فائقة ، وألف كتاباً ظريفاً ولطيفاً للغاية في هذا المجال اسماء (لاكون مع الصادقين) ، وقد ترك هذا الكتاب اثراً عجبياً في نفوس الكثير من المسلمين .

٥- آية القربى

وفي الآية ٢٣ من سورة الشورى يخاطب تعالى النبي (ﷺ) قائلاً: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ .

إنَّ المراد من «القربى» في هذه الآية، حسب ما قاله جميع مفسري الشيعة وطائفة من مفسري السنة : هم قرابة النبي (ﷺ).

وفي قبال هذا التفسير ذكرت احتمالات وتفسير اخرى يبدو ان الدافع الحقيقي لها هو التقليل من اهمية الامامة وخلافة النبي (ﷺ) واضعاف شأن اهل البيت (عليهم السلام)، منها التفسير الثلاثة الآتية :

١ - المراد من اجر وثواب الرسالة هو حب الامور التي تدعوكم الى القرب من الله ، وعليه فان «القربى» هي الامور التي تؤدي الى القرب من الله تعالى ، ومن الواضح ان هذا التفسير لا يتلائم وظاهر الآية على الاطلاق ، لان المهم فيما يتعلق بالصلاة والصوم والجهاد ونحو ذلك من عوامل القرب الالهي هو العمل بها لا مودتها ومحبتها ، فالتعبير بالمودة لا يتناسب وهذه القضية باي شكل من الاشكال ، إلا ان يكون هنالك شخص بين مخاطبي النبي (ﷺ) لم يحب هذه الامور حتى الذين كانوا يقصرون في عملهم منهم مَنْ كانوا يحبون هذه الامور بحكم تعلقهم بالله

والقرآن ، وان لم يكونوا يعملون .

فضلاً عن جميع ذلك ، فـ«القربى» تعنى : القرب والدنو لا «المقرب» ، لذا فانها جاءت في جميع الحالات التي استخدمت فيها هذه الكلمة في القرآن الكريم (١٥) مرة (عدا آية البحث) بمعنى الاشخاص الذين يتمتعون بالقرابة (واساساً ذوي القربى النسبية).

لماذا ولأي سبب تفسر آية البحث خلافاً لجميع حالات استعمال القرآن والمفهوم اللغوي لهذه الكلمة ؟ هل هنالك دافع غير ما أشير اليه آنفاً ؟! والجدير بالاهتمام ان الكثير من ارباب اللغة قد صرحوا بأن القربى ، أو ذي القربى تعني قرابة النسب ، فيقول صاحب مقاييس اللغة : فلان ذو قرنتي ، هو من يقرب منك رحماً ، ثم يضيف : «القربى والقرابة» أي ان كلاهما بمعنى واحد وجاء في لسان العرب ، والقرابة والقربى : الدنو في النسب .

٢ - وقال البعض الاخر : ان المقصود هو ايها المسلمون احبوا قريباكم كأجر للرسالة ، والحال ان مودة قرياهم لا علاقة لها بالرسالة . عجب ، كيف تُترك محبة قربى رسول الله (ﷺ) التي هي انسب معنى هنا ، وتطرح مودة قرياهم على انها اجر الرسالة ؟!

٣ - قال بعض آخر من المفسرين : ان المقصود هو احفظوا قرابتي منكم كاجر للرسالة ، وحيث ان لي قرابة سببية أو نسبية مع الكثير من قبائلكم فلا تؤذوني . ان هذا التفسير هو اسوء تفسير لهذه الآية ، لان اجر الرسالة مطلوب من الذين قبلوا رسالته فقط ، ولا يعني اولئك الذين يؤذون النبي (ﷺ) ، وأما اذا كان المراد اعداؤه الذين يؤذونه ، فاولئك لم يتقبلوا رسالته ابداً ، ناهيك عن اجرهم واحسانهم ! فكيف يمكن ان يقول ان أجري ان لا تؤذوني لقرابتي منكم .

النقطة الاساسية فيما يخص الآية هي ان القرآن الكريم - من ناحية - ينقل عن الكثير من الانبياء انهم كانوا يقولون بصريح القول ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

ومن ناحية اخرى يقول آية البحث فيما يتعلق بالنبي (ﷺ): ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

ومن ناحية ثالثة: نقرأ في الآية ٥٧ من سورة الفرقان بشأن النبي (ﷺ): ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.

ومن ناحية رابعة جاء في الآية ٤٧ من سورة سبأ بشأن رسول الله (ﷺ): ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾.

من خلال جمع هذه الآيات الاربعة مع بعضها يمكن الاستنتاج جيداً ان النبي (ﷺ) شأنه شأن بقية الانبياء لم يطلب اجراً لشخصه من الناس، بل ان في مودة قرباه مرضاة الله، وهو امر يصب في صالح هؤلاء تماماً، لان هذه المودة نافذة نحو الامامة وخلافة النبي (ﷺ) واستمرار خط قيادة رسول الله (ﷺ) في الامة، وهداية الناس في ظلها (تأملوا جيداً).

نعم فحيثما فسرنا هذه الآيات الاربعة بهذا الشكل لم تبق فيها نقطة غموض وتعقيد واشكال، والافسبشاهد تضاد فيما بينها من ناحية، ومن ناحية اخرى نضطر الى تفاسير طويلة وعريضة لاتتلائم وظاهر الآيات باي شكل من الاشكال.

ولكن بما ان هذا التفسير لا يروق لبعض من المفسرين، لانه لايتفق مع حكمهم المسبق فقد تركوه، فتارة قالوا: ان طلب الاجر لايتلائم ومقام النبي (ﷺ)، وعلى هذا الاساس فآية «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» يجب اعتبارها استثناءً منقطعاً، وتارة قالوا: ان هذه الآية لا تتفق وآية: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾، وتارة يتورطون في تبريرات معقدة.

ان هذه الحقيقة تتضح اكثر فيما لو رجعنا الى الروايات الواردة عن رسول الله (ﷺ)، في شرح وتفسير هذه الآية ونضعها الى جانب هذه الآيات.

من مجموع الروايات الواردة في تفسير الآية نستنتج مايلي :

لاشك ان اية البحث ناظرة الى قضية الامامة والخلافة حيث يمكن اعتبارها اجرا للرسالة ، الاجر الذي يقرب الناس الى الله ، وتعود فائدته اليهم .

ومما قيل انفا يتضح الرد على بعض المفسرين الذين طالما يتخذون موقفاً ملؤه العصبية ازاء الآيات المتعلقة بالامامة .

يقول «الآلوسي» في «روح المعاني» في تفسير هذه الآية :

«علي كرم الله وجهه واجب المحبة وكل واجب المحبة واجب الطاعة وكل واجب الطاعة صاحب الامامة وينتج علي رضي الله تعالى عنه صاحب الامامة وجعلوا الآية دليل صفري»^(١) .

ولكن كما فهم من البحوث الآتية فنحن لا نريد ابدأ استغلال هذه الاية من خلال الصفري والكبرى الواهيتين ، والامر المهم في الآية شيء آخر وهو ان مودة ذوي القربى عدت اجرا للرسالة ، وفي الآيات الأخرى ذكر الاجر المذكور على انه وسيلة للتقرب من الله وفي صالح الناس ، من مجموع ذلك تتضح مسألة الامامة والخلافة بالتفصيل الذي ورد اعلاه ، واحاديث النبي (ﷺ) التي يشار اليها سند لهذا الاستدلال .

* * *

آية القربى في الروايات الاسلامية

نقلت روايات كثيرة في مصادر السنة والشريعة في ذيل هذه الآية : (قل لا اسألكم عليه اجرا إلا المودة في القربى) حيث لها تأثير كبير في تفسير وتبيين مفهوم الآية ، من جملتها الروايات الآتية :

ينقل «الحاكم الحسكاني» وهو من مشاهير علماء القرن الخامس الهجري في

«شواهد التنزيل» عن «سعيد بن جبير» عن «ابن عباس» مايلي :

لما نزلت قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى، قالوا: يا رسول الله من هؤلاء القربى الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولدهما^(١).

ورويت في الكتاب نفسه عدة روايات أخرى بهذا المضمون بطرق مختلفة عن ابن عباس^(٢).

٢ - وفي رواية أخرى في الكتاب نفسه يروي عن أبي امامة الباهلي ان النبي (ﷺ) قال: ان الله خلق الانبياء من أشجار شتى، وخلقت وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها واشياعنا اوراقها فمن تعلق من أغصانها نجا ومن زاع هوى، ولو ان عبداً عبد الله بين الصفا والمروة الف عام، ثم ألف عام، ثم الف عام، حتى يصير كالشنّ اليابس، ثم لم يدرك محبتنا اكبه الله على منخريه في النار. ثم قرأ: « قل لا اسئلكم عليه اجراً إلا المودة في القربى »^(٣).

٣ - يروي « السيوطي » المفسر السنّي الشهير في الدر المنثور في ذيل آية البحث عن مجاهد عن ابن عباس ان النبي (ﷺ) قال في تفسير الآية: قل لا اسألكم عليه اجراً «أن تحفظوني في اهل بيتي وتودوهم بي»^(٤).

٤ - يروي « احمد بن حنبل » في «فضائل الصحابة» عن «سعيد بن جبير» : لما نزلت آية قل لا اسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى، سأل القوم رسول الله : من هم قرباك الذين وجبت مودتهم علينا؟ قال: علي وفاطمة وابناهما وقالها ثلاثاً^(٥). ونقل القرطبي المعنى نفسه في تفسير الآية بشيء من الاختلاف عن سعيد بن

١ - شواهد التنزيل: ج ٢، ص ١٣٠.

٢ - تفسير المصدر: ص ١٣١ - ١٣٥.

٣ - نفس المصدر: ص ١٤١.

٤ - الدر المنثور: ج ٦، ص ٧.

٥ - احقاق الحق: ج ٣، ص ٢.

جبیر عن ابن عباس .

٥ - يروي «الحافظ ابو نعيم الاصفهاني» في «حلية الاولياء» عن «جابر» : انّ اعرابياً جاء لرسول الله (ﷺ) وقال : يا محمد اعرض عليّ الاسلام ، فقال : تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله ، قال تسألني عليه اجرا ؟ قال : لا ، الا المودة في القربى ، قال : قريبي او قرياك ؟ قال : قريبي ، قال : هات ابايك ، فعلى من لا يحبك ولا يحب قرياك لعنة الله ، قال (ﷺ) آمين^(١) .

٦ - ويروي المفسر المعروف «ابن جرير الطبري» ايضاً في ذيل هذه الآية عن ابن جبیر انه قال : هي قريبي رسول الله (ﷺ) .

٧ - يروي «الحاكم» في «مستدرك الصحيحين» عن علي بن الحسين (ﷺ) لما قتل علي (ﷺ) خطب الحسن بن علي (ﷺ) (ومما قاله في خطبته انه عرف نفسه حتى بلغ هذه العبارة) : انا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال تبارك تعالى لنبيه (ﷺ) : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى^(٢)

كما نقل هذه الرواية فريق من مشاهير اهل السنة ، منهم محب الدين الطبري في الذخائر (ص ١٣٨) وابن حجر في صواعقه الصفحة ١٠١ ، والسيوطي في الدر المنثور ذيل آية البحث .

٨ - يروي المفسر المعروف ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في جامع البيان عن ابي الديلم :

لما جيء بعلي بن الحسين (ﷺ) اسيراً الى الشام فاوقفوه عند باب دمشق ، فقام رجل من اهل الشام وقال : الحمد لله الذي قتلکم واستأصلکم وقطع قرني الفتنة ، فقال له علي بن الحسين (ﷺ) : أقرأت القرآن يا شيخ ؟ قال : نعم ، فقال (ﷺ) أقرات حم ؟ قال : قرأت القرآن ولكن لم اقرء آل حم ، قال (ﷺ) ما قرأت : « قل لا اسألكم

١ - حلية الاولياء : ج ٣ ، ص ٢٠١ .

٢ - مستدرك الصحيحين : ج ٣ ، ص ١٧٢ .

عليه اجراً إلا المودة في القربى» ، فقال : وانكم لأنتم هم ؟ قال (ﷺ) نعم !^(١).

٩ - يروي «ابن حجر» في «الصواعق المحرقة» عن علي (ﷺ) انه قال : فينا آل حم آية ، لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ : قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى^(٢).

وورد نظير هذا المعنى ايضاً في كنز العمال^(٣).

يستفاد جيداً من هذه الرواية ان المراد من «القربى» في آية البحث هم قربي الرسول (ﷺ).

والمقصود من آل حم مجموعة السور التي جاءت حم في مطلعها وهي عبارة عن السور السبع التالية : المؤمن ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية والاحقاف ، وآية البحث في واحدة منها^(٤).

١٠ - نقل الزمخشري في الكشاف ، وكذا الفخر الرازي في التفسير الكبير ، والقرطبي في تفسيره حديثاً عن رسول الله (ﷺ) في ذيل هذه الآية الكريمة تكشف عن اهمية مودة آل محمد (ﷺ) بنحو مدهش ، ونحن هنا ننقل نص الحديث عن تفسير الكشاف ، اذ يقول : قال رسول الله (ﷺ) : « مَنْ مات على حب آل محمد مات شهيداً - الا وَمَنْ مات على حب آل محمد (ﷺ) مات مغفوراً له ، ألا وَمَنْ مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا وَمَنْ مات على حب آل محمد (ﷺ) مات مؤمناً مستكمل الايمان ، ألا وَمَنْ مات على حب آل محمد (ﷺ) بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا وَمَنْ مات على حب آل محمد (ﷺ) يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ، ألا وَمَنْ مات على حب آل محمد (ﷺ) فُتِح له في قبره بابان الى الجنة ، ألا وَمَنْ مات على حب آل محمد (ﷺ) جعل الله قبره مزار ملائكة

١ - جامع البيان للطبري : ج ٢٥ ، ص ١٦ .

٢ - الصواعق المحرقة : ص ١٠١ .

٣ - كنز العمال : ج ١ ، ص ١١٨ .

٤ - اراجع هامش تفسير مجمع البيان مطلع سورة المؤمن (ج ٧ و ٨ ص ٥١٢) .

الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد (ﷺ) مات على السنة والجماعة، ألا^(١) ومن مات على بغض آل محمد (ﷺ) جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد (ﷺ) مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة».

والمدحش انه جاء في بعض حواشي تفسير الكشاف التي دوت من قبل بعض المتعصبين بعد نقل هذا الحديث الشريف: وأثار الوضع عليه لائحة!.

ولكن ما الدليل على مجعوليته وفي اي موضع من هذا الحديث يلوح اثر هذا الجعل؟ لم يوضح ذلك، سوى ان عظمة شأن آل محمد (ﷺ) التي تم بيانها في هذا الحديث النبوي الشريف لا تتفق والحكم المسبق للبعض، ولعلمهم كانوا يرون عظمة آل محمد (ﷺ) للمرة الاولى بهذا المستوى الراقي في هذا الحديث النبوي الشريف، وقد نقل ذلك الحديث القديم ثلاثة من كبار المفسرين الذين يعتقدون به وتقبلوه بقبول حسن ولم يوردوا عليه مؤاخذه.

هذا في الوقت الذي يقول الفخر الرازي في ذيل هذا الحديث: وان كان في معنى «آل» جدل واختلاف، ولكن لاشك ان فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله أشدّ التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب ان يكونوا هم الآل

ويقيم «الفخر الرازي» ايضاً شواهد وقرائن كثيرة على هذا المعنى بان علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) داخلون في هذه الآية^(٢).

يتبين مما قيل آنفاً ان بعض الروايات التي نقلت في ذيل هذه الآية والتي تقول: «ان المخاطب فيها هم كفار قريش، والمراد هو أن لا تنسوا قرابتي منكم ولا تؤذوني

١ - تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٢٢٠ و ٢٢١ - تفسير الفخر الرازي ج ٢٧، ص ١٦٥ و ١٦٦ - تفسير القرطبي ج ٨، ص ٥٨٤٣.

٢ - للمزيد من الاطلاع راجعوا تفسير الفخر الرازي، ج ٢٧، ص ١٦٦ و ١٦٧.

لقرابتي منكم» لا يمكن قبولها، ويحتمل ان وُضِعَ الحديث قد نقلوا مثل هذا الأمر اهل البيت (عليه السلام)، لان مثل هذا الخطاب لكفار قريش يتعارض تماماً مع مفهوم الآية، فمن المستحيل ان يقول النبي (ﷺ) لهم لا اسألكم اجراً سوى أن لا تنسوا قرابتي منكم وهم غير مؤقنين إطلاقاً برسالة النبي (ﷺ) فضلاً عن رغبتهم في اعطاءه الأجر.

خلاصة القول، ان اولئك الذين تمسكوا بهذه الرواية ولكنهم يقطعون علاقة الآية باهل البيت (عليه السلام) هم في الحقيقة ينكرون مضمون الآية لأن طلب اجر الرسالة من منكريها فارغ عن المعنى تماماً.

ونختتم هذا البحث بأبيات من الشعر حيث ذكرها الفخر الرازي والآلوسي في «التفسير الكبير» و«روح المعاني» في ذيل هذه الآية ليكون ختاماً مباركاً لهذا البحث ويكون «ختامه مسك».

وهذا الشعر صادر عن الامام الشافعي المعروف باعتقاده الراسخ باهل البيت (عليه السلام) اذ يقول:

يا راكباً قف بالمُحْصَبِ من منى	واهتف بساكن خيفها والناهض
سَحْراً اذا فاض الحجيج الى منى	فيضاً كَمُلَّتْ طَمِ الفرات الفائض
ان كان رفضاً حبُّ آل محمدٍ	فليشهد الثقلان اني رافضي ^(١)

جعلنا الله من محبي آل محمد (ﷺ) الذين نصلي عليهم في صلاتنا وبدون ذلك لاتقبل صلاتنا، اللهم اجعل هذه المحبة مقدمة لمعرفة «مقام ولايتهم» كي لانتصور ان قضية بهذه الاهمية طرحت على انها مودة عادية، ثم اجعل هذه المعرفة سبيلاً لاتباع مذهبهم.

القسم الثاني

آيات الفضائل

تمهيد :

كما قيل سلفاً فأننا نبحت في هذا القسم في آيات القرآن الكريم التي لا تتحدث عن الخلافة والولاية مباشرة، إلا أنها تتضمن فضلاً عظيماً لعلي (عليه السلام)، وبإمكان مجموعها توضيح زوايا هذه المسألة لمن لم يتابعوا على مسيرة البحث، وتؤكد بشكل عام على أن أمر علي (عليه السلام) متميز عن الآخرين تماماً، ولاتنال الامامة والخلافة سائر الناس بوجوده وسط الأمة.

بعبارة أخرى: أن من خلال محاورة بين الانسان وعقله يمكن استنتاج مسألة الامامة والخلافة منها، وهي: ان الله الحكيم لا يجعل «المفضول» حاكماً وقائداً على الافضل، بل وحتى عقلاء الدنيا فانهم يوجهون اللوم والتأنيب لمن يقوم بعمل كهذا، ويعتبرون فعله هذا دليلاً على ضعف ادارته وعدم تدبيره لانه جعل الافضل تابعاً لمن هو ادنى منه.

ان هذه الآيات من الكثرة بحيث ان بعض العلماء ألفوا كتباً مستقلة بهذه المسألة، إلا أننا اخترنا من بينها آية تضم مفاهيم واضحة، كما انها تنسجم واختصار الكتاب.

وهنا نتجه نحو المصادر المعروفة لدى اهل السنة ونختزل الكلام عما ورد في

مصادر اتباع مذهب اهل البيت (عليه السلام) لئلا يتصور أحد ان اتباع هذا المذهب قد
نطقوا بشيء بدافع التعصب .

ونظراً لكثرة هذه الآيات فقد ، وقد اخترنا منها ٢٤ آية .

١- آية المباهلة

نقرأ في الآية ٦١ من سورة آل عمران : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَذْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

هنا ينبغي توضيح بعض الامور:
اولاً: مضمون الآية .

ثانياً: من الذين تذكرهم الروايات التي جاءت في المصادر الاسلامية المعروفة في تفسير هذه الآية ؟

ثالثاً: كيفية الاستدلال بهذه الآية على افضلية علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) .

رابعاً: الرد على بعض الشبهات فيما يتعلق بهذه الآية .

مضمون آية المباهلة

تدل الآية اعلاه بالاضافة الى الآيات التي نزلت قبلها وبعدها ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

يُؤمّر في مواجهة اصرار النصارى على التمسك بعقائدهم المحرفة كزعمهم بالوهية عيسى (عليه السلام) مثلاً ، وعدم جدوى المنطق والاستدلال ازاء عنادهم ، فكان لابد للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من التضرع وان يسلك طريق المباهلة ، ويثبت صدق كلامه من خلال هذا الطريق المعنوي ، أي يباهلهم ليتبين الصادق من الكاذب !
والمباهلة في الاصل من مادة «بهل» (على وزن أهل) وتعني الترك ، من هنا فعندما يتركون الحيوان لحاله ولا يلفون ثداياه في كيس خاص - لمنع وليده من الرضاعة - يقولون له : «باهل» ، و«الابتهاال» في الدعاء تعني التضرع وايكال الأمر الى الله تعالى .

وتارة فسروا هذه الكلمة بمعنى «الهلاك واللعن والطرده من الله» ، وذلك ايضاً بسبب ترك العبد وايكاله الى نفسه والخروج عن ظل لطف الله سبحانه .
هذا الرأي هو الاصل اللغوي ، اما من ناحية «المفهوم المتداول» الذي أشير اليه في الآية ، فالمباهلة الملاعنة بين شخصين ، من هنا فعندما لاتجدي الاستدلالات المنطقية ، ويجتمع الذين يدور بينهم جدلاً بشأن مسألة دينية مهمة ويتضرعون الى الله سائلين منه ان يفضح الكاذب ويعاقبه ، وهو ما فعله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مواجهة نصارى نجران ، حيث اشير اليه في الآية .

ومن خلال ما ذكر نلقي نظرة على تفسير هذه الآية ، فقول :
﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاافِرِينَ﴾ .
لاشك ان هذه الواقعة التاريخية قد حصلت من ولم يستطع أحد انكارها ، ومفادها : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اختار نفراً واصطحبهم معه للمباهلة .

جاء في الروايات الاسلامية التي نقلها المفسرون والمحدثون : لما نزلت الآية أعلاه اقترح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على نصارى نجران المباهلة ، فطلب زعماء النصارى من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مهلة يوم واحد ليتشاوروا في الأمر ، فقال لهم حبرهم :

انظروا محمداً في غدٍ فان غدا بولده وأهله فاحذروا مباہلته ، وان غدا باصحابه فباہلوه فانه على غير شيء فلما كان الغد جاء النبي (ﷺ) آخذاً بيد علي والحسن والحسين بين يديه يمشيان وفاطمة تمشي خلفه ، وخرج النصارى يقدمهم اسقفهم ، فلما رأى النبي (ﷺ) قد اقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له : هذا ابن عمه وزوج ابنته واحب الخلق اليه ، وهذان ابنا بنته من علي (عليه السلام) ، وهذه الجارية بنته فاطمة اعز الناس عليه واقربهم الى قلبه ، وتقدم رسول الله فجثا على ركبتيه قال الاسقف جثا والله كما جثا الانبياء للمباهلة ، فرجع ولم يقدم على المباهلة ، فقال الاسقف : يا ابا القاسم انا لانباهلك ولكن نصالحك^(١).

وجاء هذا المضمون ايضاً باختلافات طفيفة لا تضر بأصل القضية في الكثير من التفاسير الاخرى ، مثل تفسير الفخر الرازي (ج ٨ ص ١٠) والقرطبي (ج ٢ ص ١٣٤٦) وروح البيان (ج ٢ ص ٤٤) وروح المعاني (ج ٣ ص ١٨٨) والبحر المحيط (ج ٢ ص ٤٧٢) وتفسير البضاوي (ذيل آية البحث) وتفسير أخرى .
والان نتوجه نحو كتب الحديث :



المباهلة في اقوال المحدثين

وردت روايات كثيرة تعد موثوقة ومعتبرة في مصادر اهل السنة ومصادر اهل البيت (عليه السلام) حيث تفيد بصريح القول : ان آية المباهلة نزلت بحق علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام . منها :

١ - روي في صحيح مسلم في كتاب «فضائل الصحابة» في باب فضائل علي بن ابي طالب (عليه السلام) عن سعد بن ابي وقاص ان معاوية قال لسعد : «ما منعك ان تسب أبا تراب» ؟ قال : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (ﷺ) فلن أسبهُ لئن تكون لي

١ - مجمع البيان : ج ١ و ٢ ، ص ٤٥٢ مع شيء من الاختصار .

واحدة منها لكانت احب الي من حمر النعم ، ثم اخذ يذكر قصة حديث المنزلة في (معركة تبوك) وقصة اعطاء الراية لعلي (عليه السلام) ابان معركة خيبر ، ثم يضيف : ولما نزلت هذه الآية ﴿قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم﴾ دعا رسول الله (ﷺ) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء اهلي^(١).

روى هذا الحديث جماعة آخرون من عظماء اهل السنة مثل ! الترمذي في صحيحه^(٢).

فبعد نقله يضيف . يقول ابو عيسى : انه حديث حسن وصحيح وغريب (لعل غرابته تكمن في عدم اتفاهه مع حكمه المسبق المليء بالتعصب).

واحمد بن حنبل في مسنده^(٣).

والبيهقي في السنن الكبرى^(٤).

والسيوطي في الدر المنثور^(٥).

٢ - وفي موضع آخر من صحيح الترمذي ايضاً نقل الحديث عن سعد بن ابي وقاص : انه لما نزلت آية المباهلة دعا النبي (ﷺ) علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وقال : اللهم هؤلاء اهلي^(٦).

والرواية نفسها نقلها الحاكم في «مستدرک الصحيحين» ، واخيراً يقول : هذا حديث صحيح موافق لمعايير الشيخين^(٧).

كما نقله البيهقي ايضاً في السنن الكبرى^(٨).

١ - صحيح مسلم : ج ٤ ، ص ١٨٧١ ، حديث ٣٢ ، الباب ٤ .

٢ - صحيح الترمذي : ج ٥ ، ص ٦٣٨ ، الحديث ٣٧٣٢ (الباب ٢١ باب مناقب علي (عليه السلام)).

٣ - مسند احمد بن حنبل : ج ١ ، ص ١٨٥ .

٤ - السنن الكبرى : طبقاً لنقل الفضائل الخمسة ، ح ١ ، ص ٢٩١ .

٥ - الدر المنثور : ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران .

٦ - صحيح الترمذي : ج ٥ ، ص ٢٢٥ (الباب ٤ ، الحديث ٢٩٩٩ ، (طبعة بيروت ، دار احياء التراث العربي) .

٧ - مستدرک الصحيحين : ج ٣ ، ص ١٥٠ .

٨ - السنن الكبرى : ج ٧ ، ص ٦٣ .

٣ - يروي السيوطي في «الدر المنثور» عن «الحاكم» ، و«ابن مردويه» و«ابو نعيم» في «الدلائل» ، عن «جابر بن عبد الله الانصاري» : لما عزم النبي (ﷺ) على مباهلة النصارى ، اخذ في اليوم التالي بيد علي وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام) واتى بهم الى المباهلة ، لكنهم لم يباهلوا ، ثم يضيف جابر : ان آية « تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم نزلت بحق هؤلاء ^(١) .

يقول السيوطي : هذا حديث صحيح لدى «الحاكم» .

٤ - ويروى عن ابن عباس في كتاب الدر المنثور نفسه ان وفد نصارى نجران جاء الى النبي (ﷺ) وبعد تفصيله لقصة المباهلة ورجوع نصارى نجران يضيف : كان هذا لما خرج النبي (ﷺ) وكان معه علي وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام) وقال لهم : ان دعوت أنا فأمنوا أنتم ، فأبوا ان يلاعنوه وصالحوه على الجزية .

٥ - وفي نفس الكتاب يروي عن «ابن جرير» عن «العلباء بن احمر الشكري» ، عندما ^(٢) نزلت آية قل تعالوا ندع ابناءنا . . . ودعا النبي (ﷺ) بعلي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين (عليه السلام) واقترح على المخالفين المباهلة فأبوا ^(٣) .

٦ - يروي العلامة الطبري في تفسيره وبسنده عن «زيد بن علي» في تفسير هذه الآية : كان النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ^(٤) .

٧ - ويروي في نفس الكتاب ايضاً بسنده عن السدي في ذيل هذه الآية : اخذ النبي بيد الحسن والحسين وفاطمة وقال لعلي اتبعنا ^(٥) .

٨ - يقول العلامة «ابو بكر الحصاص» وهو من علماء القرن الرابع الهجري في كتاب «احكام القرآن» في تعبير مفيد بصدد المباهلة : ان رواة السير ونقلة الأثر لم

١ - الدر المنثور : ج ٢ ص ٣٨ ذيل آية البحث (مع الاختصار) .

٢ - نفس المصدر : ج ٣٩ .

٣ - نفس المصدر : ص ٣٩ .

٤ - تفسير الطبري : ج ٣ ، ص ١٩٢ (وفقاً لنقل احقاق الحق : ج ٣ ، ص ٤٧) .

٥ - نفس المصدر .

يختلفوا في أنّ النبي (ﷺ) اخذ بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمة (عليها السلام) ودعا النصارى الذين حاجّوه إلى المباهلة^(١).

وعلى ضوء قول الجصاص فإن هذه القضية محل اجماع واتفاق علماء الحديث والتاريخ جميعاً.

٩- يقول هذا العالم نفسه في كتاب آخر نحت عنوان «معرفة علوم الحديث» بعد ذكره لقصة المباهلة: قال الحاكم وقد تواترت الاخبار في التفاسير عن عبد الله بن عباس وغيره أنّ رسول الله (ﷺ) اخذ يوم المباهلة بيد عليّ وحسن وحسين وجعلوا فاطمة وراءهم ثم قال: هؤلاء ابناءنا وانفسنا ونساءنا^(٢).

هذا جانب فقط من الروايات المتعلقة بقصة المباهلة ونزولها بحق هؤلاء، ومن الطبيعي ان اختلاف هذه الاحاديث في بعض الجزئيات مثل ان كانت فاطمة مع النبي (ﷺ) أم انها جاءت خلفه، أم ان علياً (عليه السلام) كان إلى جانب النبي (ﷺ) أم خلفه، لا يترك أثراً على اصل القضية، لأنّ ثمة اختلاف في نقل جزئيات وفروع ومتعلقات الكثير من الوقائع التاريخية المسلم بها، مثل معركة بدر، وخيبر، والاحزاب، وفتح مكة، ومن النادر ان نستطيع العثور على واقعة تاريخية مهمة تخلو من هذه الاختلافات في مثل هذه الامور الثانوية.

على اية حال فالروايات اعلاه وبشهادة جماعة من عظماء اهل السنة كثيرة ومشهورة بحيث وصلت إلى حدّ التواتر، مع هذا فإنّ من العجب أن يقول صاحب تفسير المنار في ذيل هذه الآية: قال الاستاذ الامام: الروايات متفقة على أنّ النبي (ﷺ) اختار للمباهلة علياً وفاطمة وولديهما ويحملون كلمة نساءنا على فاطمة، وكلمة انفسنا على علي (عليه السلام) فقط، ومصادر هذه الروايات الشيعة! ومقصدهم منها

١- احكام القرآن للجصاص: ج ٣، ص ١٤.

٢- معرفة علوم الحديث: ص ٥٠، طبعة مصر (وفقاً لنقل احقاق الحق، ج ٣، ص ٤٨).

معروف!^(١).

انه لمدھش حقاً ، فعندما تتركز قاعدة الحكم المسبق والتعصبات الطائفية يتفوه عالم معروف كمؤلف كتاب المنار بكلام لا يخفى خواؤه على أحد ، هل ان «صحيح مسلم و صحيح الترمذي ومسند احمد من مصادر الشيعة ؟ وهل ان علماء الشيعة كتبوا سنن البيهقي ، والدر المنثور للسيوطي ، واحكام القرآن للجصاص ، وتفسير الطبري ، ومستدرک الحاكم» ؟ .

ان خطأ بهذا المستوى لا يحصل إلا نتيجة لحجاب التعصب .
فمن ناحية يقول الموما اليه : ان الروايات التي نقلت هذا الحديث «متفق عليها» ومن ناحية اخرى يضعها موضع التشكيك .
فاذا كانت كتب مثل صحيح مسلم ، والترمذي ، ومسند احمد ، وما شابهها بحيث يستطيع الشيعة وضع روايات ودسها فيها بحيث تغدو متواترة ، فاي قيمة تبقى لهذه الكتب ؟ وكيف يتسنى قبول ولو حديث واحد منها ؟
في واقع الأمر ان مؤلف المنار بكلامه هذا أفقد اعتبار المصادر المعروفة لاهل السنة ، وسلب منها قيمتها بالكامل ، نعم فهو اراد التنكر لفضيلة علي وفاطمة وابنيهما (عليه السلام) بيد انه وجه ضربة قاصمة لاصل المذهب السني !
والكلام الوحيد الذي يبقى هنا هو الشبهة التي اثارها المنار وآخرون بصدد «ضمائر الجمع» الموجودة في الآية ، وسنتطرق اليه فيما بعد بشكل مفصل .

اهمية المباهلة

ان أول أمر يشير الاهتمام في هذه الآية هو امكانية طرح قضية المباهلة على انها دليل جلي على حقانية وصدق النبي (ﷺ) في مسألة ادعائه للرسالة، لأنه من المتعذر على الذي لا يملك ايماناً جازماً بصلته بالباري عزوجل ان يدخل مثل هذا الميدان، اي ليدعو معارضييه ان تعالوا ندعو الله ان يفضح الكاذب، وأنا اعطي عهداً على ان دعائي على اعدائي سيحصل بشكل عملي، وسترون نتيجة ذلك!

من المسلم به ان دخول مثل هذا الميدان خطير للغاية، فلو استجاب الدعاء ولا يظهر اثر من عقاب الخصوم، فلا تكون هناك نتيجة سوى فشل الداعي، واي انسان عاقل لا يدخل هذا الميدان مالم يطمئن الى النتيجة.

من هنا نقرأ في الروايات الاسلامية: لما حضر النبي (ﷺ) الى المباهلة استمهله نصارى نجران ليفكروا في الأمر، وعندما رأوا ان النبي (ﷺ) اصطحب معه الاشخاص الذين يمكن ان تستجاب دعوتهم، وحضر الى المباهلة بعيداً عن المراسيم والضجيج، اعتبروا ذلك دليلاً آخر على صدق دعوته فانصرفوا عن المباهلة، لئلا يصيبهم العذاب الالهي.

فعندما رأوا ان النبي (ﷺ) جاء بنفر قليل من خاصته وحامته وابنائ الصغار وابنته فاطمة (عليها السلام)، اضطربوا وذعروا وأبوا المباهلة.

ومن جهة أخرى فإن هذه الآية سند واضح على المقام الشامخ لآل النبي (ﷺ)، علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، لأن الآية فيها ثلاث كلمات، «انفسنا، ونسائنا، وابنائنا»، ولا شك في ان المراد من «ابنائنا» الامام الحسن والحسين (عليهم السلام) ولا اعتراض في ذلك ابداً، ولا تنطبق كلمة «نسائنا» على احد سوى فاطمة (عليها السلام)، واما كلمة «انفسنا» فمن المتيقن بأنها ليست اشارة الى شخص النبي (ﷺ)، لأن الآية تقول:

ندع ... وانفسنا، فان كان المراد هو النبي (ﷺ)، فان دعوة الانسان لنفسه لا معنى لها، بناء على ذلك فلا يبقى سبيل إلا ان نقول : ان المراد هو علي (عليه السلام) فحسب .

والملفت للنظر هو ان « الفخر الرازي » ينقل في ذيل هذه الآية عن « محمود بن الحسن الحمصي » وهو من علماء الشيعة، انه يثبت من خلال هذه الآية ان علياً أفضل من الأنبياء والصحابة اجمعين بعد النبي (ﷺ). فيقول: ليس المراد بقوله (وانفسنا) نفس محمد (ﷺ) لان الانسان لا يدعو نفسه بل المراد به غيره، وأجمعوا على أن ذلك الغير كان علياً (عليه السلام) فدلّت الآية على أن نفس علي هي نفس محمد (ﷺ)، ولا يمكن ان يكون المراد منه ان هذه النفس هي عين تلك النفس ، فالمراد ان هذه النفس مثل تلك النفس ، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه ... ثم الاجماع دل على ان محمداً (ﷺ) كان أفضل من سائر الأنبياء (عليهم السلام) فيلزم ان يكون علي أفضل من سائر الأنبياء (عليهم السلام) فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية ، ثم قال : ويؤيد الاستدلال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق والمخالف هو قوله (عليه السلام) : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَنُوحًا فِي طَاعَتِهِ ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي خَلْتِهِ ، وَمُوسَى فِي هَيْبَتِهِ ، وَعِيسَى فِي صِفْوَتِهِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) » .

ثم يضيف قائلاً: (وأما سائر الشيعة فقد كانوا قديماً وحديثاً يستدلون بهذه الآية على ان علياً (رضي الله عنه) أفضل من سائر الصحابة ، وذلك لان الآية لما دلت على ان نفس علي (رضي الله عنه) مثل نفس محمد (ﷺ) إلا فيما خصّه الدليل وكان نفس محمد أفضل من الصحابة (رضوان الله عليهم) فوجب أن يكون نفس علي أفضل ايضاً من سائر الصحابة)^(١).

وبعد ابراده لهذا الدليل يمر الفخر الرازي مر الكرام ويكتفي في الجواب قائلاً:

(انه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمداً (ﷺ) أفضل من علي، فكذلك انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا الانسان، على ان النبي أفضل ممن ليس بنبي واجمعوا على ان علياً (رضي) الله عنه ما كان نبياً، فلزم القطع بان ظاهر الآية كما انه مخصوص في حق محمد (ﷺ)، فكذلك مخصوص في حق سائر الأنبياء عليهم السلام^(١)).

تمعنوا جيداً في كلام «الفخر الرازي» تجدوا بانه في واقع الأمر لا يمتلك جواباً لذلك الاستدلال القوي والمتين، وكأنه يريد الكلام لملء الفراغ فحسب، وإلا فالقول بافضلية كل نبي من الأنبياء على من هو غير نبي محل جدال، لان افضلية جميع انبياء الله على غيرهم مسلم بها في الوحي فقط، وأما في غير الوحي فربما يكون هناك عظماء أفضل من الأنبياء جميعاً ما عدا رسول الله (ﷺ)، لو غضضنا النظر عن هذا فان الكلام حول افضلية علي سائر الامة، وهذا الأمر لا يحتاج الى اثبات افضليته (عليه السلام) على سائر الأنبياء (تأملوا جيداً).

على أي حال، فالفضيلة التي تستنتج من هذه الآية والروايات المتواترة التي جاءت تعقيباً عليها تستطيع توضيح قضية خلافة النبي (ﷺ) لان الله تعالى يأبى ان يكون الافضل مأموماً وغير الافضل اماماً، ان يكون الذي هو كنفس النبي (ﷺ) تابعاً، ومن سواه الذي يليه في المرتبة متبوعاً!!

وفي هذه القضية لا فرق في ان نرى الامامة مشروطة بتعيين الهي - كما نعتقد نحن - أو عن طريق انتخاب الامة، كما يعتقد ابناء السنة، لانه في الحالة الاولى من المحال ان يقدم الله تعالى «المفضول» على «الافضل»، وفي الحالة الثانية لا ينبغي للامة ان تقدم على فعل يخالف الحكمة، ولن يكون مقبولاً ومرضياً فيما اقدمت عليه.

مؤاخذاتهم على آية المباهلة

المؤاخذه المعروفة التي أثارها صاحب المنار والآخرين بصدد نزول الآية بحق أهل البيت (عليهم السلام)، وهي: كيف يتسنى أن يكون المراد من «ابناءنا» الحسن والحسين (عليهما السلام) والحال أن كلمة «ابناء» جمع ولا يطلق الجمع على المثنى؟ وإيضاً: كيف يمكن إطلاق كلمة «نساءنا» وهي تفيد الجمع، على السيدة فاطمة (عليها السلام) فقط؟

وكذا كيف يمكن أن يكون المراد من «انفسنا» علماً وحده؟ إذ أن «انفسنا» صيغة جمع أيضاً، وعلي (عليه السلام) كان واحداً.

الجواب:

في الرد على هذا السؤال نلفت انتباهكم إلى عدة أمور:

١- كما ذكر بالتفصيل فيما سبق فقد وصلتنا روايات كثيرة في الكثير من المصادر الإسلامية المعتبرة والمعروفة سواء من الشيعة أو السنة بصدد نزول هذه الآية بشأن أهل البيت، حيث صرح فيها أن النبي (ﷺ) لم يصطحب معه إلى المباهلة غير علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، وهذا بذاته سيكون قرينة واضحة لتفسير الآية، فأننا نعلم أن من بين القرائن التي تفسر آيات القرآن هي (السنة وشأن النزول القطعي).

على هذا الأساس، فالمؤاخذه المذكورة لا تثير اهتمام الشيعة فحسب، بل يجب على علماء الإسلام جميعاً الرد عليها.

٢- أن إطلاق (صيغة الجمع - على «المفرد» أو «المثنى») ليس أمراً مستجداً، وكثيراً ما يشاهد هذا المعنى في القرآن وغيره من الأدب العربي وغير العربي. وتوضيح ذلك هو: كثيراً ما يحصل عند تفصيل قانون ما، أو تنظيم وثيقة ما،

ايراد الحكم بصيغة العموم أو الجمع، فمثلاً يدونون في الوثيقة ان : المسؤول على تنفيذها هم الموقعون عليها وابناؤهم ، بينما ربما يكون لاحد طرفيها ولدٌ واحدٌ أو ولدان، فهذا الموضوع لا يتعارض ابدأ مع تنظيم القانون أو الوثيقة بصيغة « الجمع ». خلاصة الأمر لدينا مرحلتان : « مرحلة ابرام العقد » ، و « مرحلة التنفيذ » .

في مرحلة ابرام العقد تذكر الالفاظ بصيغة الجمع لكي تنطبق على كافة المصاديق ، أما في مرحلة التنفيذ فربما ينحصر المصداق بشخص واحد ، وهذا الحصر في المصداق لا يتعارض وعمومية القضية.

وبعبارة أخرى فقد كان النبي (ﷺ) مكلفاً على ضوء العهد الذي كان أبرمه مع نصارى نجران أن يصطحب معه ابناءه ونساءه والذين هم بمنزلة نفسه جميعاً الى المباهلة، ولكن لم يكن مصداقاً لهؤلاء سوى ابنين وامرأة واحدة ورجل واحد. (تأملوا جيداً) .

وفي القرآن الكريم لدينا موارد أخرى عديدة بان تأتي العبارة بصيغة الجمع إلا ان مصداقها يختص بشخص واحد لسبب ما ، فمثلاً نقرأ في الآية ١٧٣ من سورة آل عمران: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ ، فالمراد في كلمة الناس في هذه الآية وعلى ضوء تصريح فريق من المفسرين هو « نعيم بن مسعود » الذي كان قد اخذ الاموال من « ابي سفيان » لِيُرْعَبَ لمسلمين من قوة المشركين!

كما نقرأ في الآية ١٨١ من سورة آل عمران: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ ﴾ .

فالمراد من « الذين » في الآية وبناءً على ما صرح به بعض المفسرين هو « حي بن اخطب » أو « الفنحاص » ، واحياناً يشاهد اطلاق كلمة الجمع على المفرد أيضاً من باب الاكبار، كما نقرأ بشأن ابراهيم: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ (النحل -

الآية ١٢٠). فهنا اطلقت كلمة « امة » وهي جمع على شخص واحد (وكان لنا بحث مفصل أيضاً بهذا الصدد).

٣ - يُستفاد من آية المباهلة أيضاً بأن يقال لابناء البنت « ابن » على العكس مما كان شائعاً في الجاهلية حيث كانوا يعتبرون ابناء الابن فقط ابناءهم ، وكانوا يقولون :
بنونا بنو ابنائنا ، وبنائنا بنوهن ابناء الرجال الابعاد
 فهذا النمط من التفكير كان وليداً لتلك السنة الخاطئة حيث انهم لم يكونوا يرون ان الانثى عضواً رئيساً في المجتمع البشري ، ويعدونهن أوعية لحمل الاولاد فقط .
 كما يقول شاعرهم :

وانما امهات الناس أوعية مستودعات وللانساب آباء
 بيد ان الاسلام قضى على هذا النمط من التفكير قضاءً مبرماً واجرى حكم الابن على ابناء الولد والبنت على حد سواء.

ففي القرآن نقرأ في الآية ٨٥ من سورة الأنعام بشأن ابناء ابراهيم : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ففي هذه الآية عدّ المسيح من ابناء ابراهيم والحال انه كان ابن من البنت.
 وفي الروايات الواردة عن طرق الشيعة والسنة بحق الامام الحسن والامام الحسين كثيراً ما يلاحظ تكرار اطلاق كلمة « ابن رسول الله ».

ونقرأ في الآيات المتعلقة بالنساء اللواتي يحرم الزواج منهن: وحلائل ابنائكم، فهذه المسألة من المسلّم بها بين فقهاء الاسلام حيث ان زوجات الابناء والاحفاد اولاداً كانوا أم بنات محرمات على الشخص ومشمولات بالآية اعلاه.

من الامور الجديرة بالاهتمام بشأن آية المباهلة ما ورد في الرواية المشهورة من ان المأمون العباسي سأل الامام علياً بن موسى الرضا (عليه السلام): ما الدليل على خلافة

جدك علي بن ابي طالب ؟ قال : آية انفسنا . قال : لولا نساتنا قال : لولا ابناتنا .

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الجمل القصيرة :

آية « انفسنا » يريد ان الله جعل نفس علي (عليه السلام) كنفس نبيه (ﷺ) . وقوله : لولا نساتنا . معناه : ان كلمة نساتنا في الآية دليل على ان المراد بالانفس الرجال فلا فضيلة فيه حينئذ ، وقوله : لولا ابناتنا . معناه : ان وجود ابناتنا فيها يدل على خلافه ، فان المراد بالانفس لو كان هو الرجال لم يكن مورداً لذكر الابناء^(١) (تأملوا جيداً) . وثقلت هذه الحادثة في بحار الانوار بنحو آخر ، والظاهر ان السؤال وجواب الامام الرضا (عليه السلام) عليه كان في موضع آخر ، تقول هذه الرواية : قال المأمون يوماً للرضا (عليه السلام) : اخبرني بأكبر فضيلة لامير المؤمنين (عليه السلام) يدل عليها القرآن ، فقال له الرضا (عليه السلام) : فضيلة في المباهلة ، قال الله تعالى : ﴿ فمن حاجك فيه ... ﴾ الآية ، فدعا رسول الله (ﷺ) الحسن والحسين (عليهما السلام) فكانا ابنيه ، ودعا فاطمة (عليها السلام) فكانت في هذا الموضع نساؤه ، ودعا أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان نفسه بحكم الله عز وجل ، فقد ثبت انه ليس أحد من خلق الله تعالى أجلاً من رسول الله (ﷺ) وأفضل فوجب ان لا يكون احد أفضل من نفس رسول الله (ﷺ) بحكم الله تعالى...

فقال له المأمون : فألاً جاز ان يذكر الدعاء لمن هو نفسه ، ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره فلا يكون لامير المؤمنين (عليه السلام) ما ذكرت من الفضل ؟ قال (عليه السلام) : ليس يصح ما ذكرت ، وذلك ان الداعي انما يكون داعياً لغيره ، كما ان الأمر أمر لغيره ، لم يدع رسول الله (ﷺ) رجلاً في المباهلة إلا أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد ثبت أنه نفسه التي عناها الله سبحانه في كتابه وجعل حكمة ذلك في تنزيله^(٢) .

١ - تفسير الميزان : ج ٣ ، ص ٢٣٠ - ذيل آية المباهلة .

٢ - بحار الانوار : ج ١٠ ، ص ٣٥٠ ، مع الاختصار .

٢- آية خير البرية

نقرأ في الآية ٧ و ٨ من سورة « البينة » : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ».

في هذه الآيات وما قبلها ذكر الله تعالى « خير » و « شر » مخلوقاته ، فهو يصف الكفار والمشركين واهل الكتاب الذين يفكرون باطفاء نور الله من خلال مختلف الدسائس والمؤامرات ، وهم ضالون ويجرون الآخرين نحو الضلالة ، بانهم شر البرية^(١) ، وفي المقابل وصف المؤمنين الذين اكتشفوا طريق الحق في ظل ايمانهم وكانوا ولا زالوا مصدراً للأعمال الصالحة، فبالإضافة الى انهم مهتدون فهم نبراس هداية الآخرين ، على انهم « خير البرية » .

١- البرية من مادة « برء » وتعني الخلق ، لذا يقال لله تعالى « الباري » بمعنى « الخالق » والمخلوقات برية ، وقال البعض : ان « البرية » من « البري » وتعني « التراب » وبما ان المخلوقات برئت من التراب فيقال لها « برية » ، وقال البعض ايضاً : ان « البرية » اخذت من « بريت القلم » ونظراً الى ان المخلوقات تأتي الى الوجود بأمر الله على اشكال مختلفة من حيث الهيئة والقامة كأنهم يشبهون الاقلام المبراة في مصنع الخلق فيقال لها « برية » (يراجع تفسير القرطبي : ج ١٠ ، ص ٧٢٣٥ ومفردات الراغب وسائر كتب اللغة) .

صحيح ان مفهوم الآية واسع وشامل ، ولا يختص بشخص أو اشخاص معينين، ولكن تمت الإشارة في العديد من الروايات الاسلامية التي جاءت في مصادر الحديث لاهل السنة والشيعه، الى اشخاص يقفون في طليعة (خير البرية) وأفضل مخلوقات الله.

ان التمعن في مضمون هذه الروايات بإمكانه ايضاح الكثير من الحقائق التي يلفها الغموض لحد الآن بالنسبة للبعض. وان يكون رداً على الكثير من الاباطيل النابعة عن الجهل.

وهنا نلفت انتباه القراء الى جانب من هذه الروايات:

١- يروي المفسر المعروف «السيوطي» في الدر المنثور عن «ابن عساكر» عن «جابر بن عبد الله» في ذيل هذه الآية: كنا عند رسول الله (ﷺ) واذا بعلي قادم نحونا، ولما وقعت عين رسول الله (ﷺ) عليه، قال: والذي نفسي بيда ان هذه وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية»، فكان اصحاب النبي (ﷺ) اذا قبل علي (عليه السلام) قالوا: جاء خير البرية^(١).

وجاءت هذه الرواية بنفس المضمون، في «شواهد التنزيل» للحاكم الحسكاني^(٢).

٢- ونقرأ في رواية أخرى عن ابن عباس: لما نزلت آية: «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية»، قال النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام): هو انت وشيعتك، تأتي انت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضباناً مقمحين^(٣).

١- الدر المنثور: ج ٦، ص ٣٧٩.

٢- شواهد التنزيل: ج ٢- الحديث ١١٣٩.

٣- شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٣٥٧- الحديث ١١٢٦ - ونفس المضمون أورده ابن حجر في الصواعق، ص ٩٦، والشبلنجي في نور الابصار، ص ٧٠ و ١٠١ ايضاً.

٣- جاء في رواية أخرى عن « ابو برزة » : لَمَّا قرأ النبي (ﷺ) هذه الآية ، التفت الى علي (عليه السلام) وقال: هم انت وشيعتك يا علي وميعاد ما بيني وبينك الحوض^(١).

٤- جاء في تفسير الدر المنثور ان ابن مردويه يروي عن علي (عليه السلام) ان النبي (ﷺ) قال لي: ألم تسمع قول الله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية، انت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض اذا جِئْتُ الأَمَمُ لِلْحِسَابِ تُدْعَوْنَ غُرّاً مَحْجَلِينَ^(٢).

٥- كما ورد في « شواهد التنزيل »: ان « عطية الكوفي » يقول: دخلنا على « جابر بن عبد الله الانصاري » وقد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فقلنا له: اخبرنا عن علي ، فرفع حاجبيه بيده ثم قال: ذاك من خير البرية^(٣).

٦- يروي الكنجي الشافعي في كفاية الطالب عن عطاء : سألت عائشة عن علي (عليه السلام) فقالت: ذاك خير البشر لا يشك فيه الا كافر^(٤).

ونقل في نفس الكتاب ايضاً عن « حذيفة » انه قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: علي خير البشر، من ابى فقد كفر^(٥).

بديهي ان هذه التعابير جميعها ناظرة الى شخص علي (عليه السلام) بعد النبي (ﷺ)، اي انه أفضل الناس بعد رسول الله (ﷺ).

والملفت للانتباه ان الألووسي المفسر السني المعروف الذي يمتاز بتشدد خاص في الروايات الخاصة بفضائل علي (عليه السلام) (وطالما اشرنا الى نماذج من ذلك في هذا الكتاب) وبعد بيانه لجانب مهم من الروايات الواردة عن النبي (ﷺ) في ذيل هذه الآية، يقول: « ليس معنى هذه الروايات ان هذه الآية تخص علياً (عليه السلام) وشيعته، وان

١- نفس المصدر، ص ٣٥٩، الحديث ١١٣٠.

٢- الدر المنثور: ج ٦، ص ٣٧٩.

٣- شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٣٦٤- الحديث ١١٤٢.

٤، ٥- كفاية الطالب: ص ١١٨، طبعة الفري (على ضوء نقل احقاق الحق، ج ٣، ص ٢٨٨).

كانوا داخلين في هذه الآية ويقفون في الصفوف الاولى بلا ريب.
ثم يقول: « ان الامامية وان كانوا يعتبرون علياً (عليه السلام) أفضل من الأنبياء والملائكة،
إلا أنهم يفضلون النبي (ﷺ) عليه ».

وخلاصة القول: ان جماعة كثيرة نقلت الروايات المتعلقة بـ « خير البرية » في
المصادر الاسلامية المعروفة، وهي من اجلى الادلة على افضلية علي (عليه السلام) على
كافة المسلمين والصحابة بعد رسول الله (ﷺ).

هذا في الوقت الذي ركز اعداء علي (عليه السلام) وبسبب عدائهم له ابان عهد بني امية
الاسود على كتمان فضائله، وَكَتَمَ شِيعَتُهُ فَضَائِلَهُ بسبب خوفهم من اولئك المجرمين،
إلا ان هذه الفضائل العظمى قد تجاوزت جميع هذه الحقب، وبعد كل هذه القرون
والاعصار وصلت الينا باعجوبة، وهذا لم يتحقق إلا باللطف الإلهي .

على أي حال يستفاد من هذه الروايات بالاضافة الى الآية الشريفة أمران هما:
١ - افضلية علي (عليه السلام) على جميع اصحاب النبي (ﷺ)، وحيث ان تقديم غير
الافضل على الافضل فعل قبيح وغير مقبول، فلا يمكن تقديم غيره عليه، وعليه
يجب ان يكون هو أول خليفة لرسول الله (ﷺ)، سواء كان التنصيب من الله - كما
يعتقد - أم من قبل الامة حيث تعتقد به طائفة اخرى.

٢ - الأمر الآخر الذي نحصل عليه من هذه الروايات العديدة هو ان تسمية اتباع
علي (عليه السلام) بـ « الشيعة » أمر ورد على لسان النبي (ﷺ) مراراً، والذين يعلنون
عداءهم لهذه الصفة، ويتنفرون منها، واحياناً يتخذون « الشين » فيها دليلاً على «
الشؤم » و « الشر » هم في الواقع قد انبروا الى معارضة رسول الله (ﷺ) ويعربون
عن انزعاجهم لكلامه والعياذ بالله، ومن المسلّم به ان فعلهم صعب جداً فيما لو
صرحوا بكلامهم هذا علانية، اليس الافضل ان نقول : انهم كانوا يجهلون هذه
الروايات الواردة عن النبي (ﷺ)؟

نعم، فلقب الشيعة لا يشير الازعاج، انه تاج فخر وضعه رسول الله (ﷺ) علي رؤوس اتباع مذهب علي (عليه السلام)، طبقاً للكثير من الروايات، نسأل الله ان نكون اهلاً لهذا الفخر.

٣- آية ليلة المبيت

نقرأ في الآية ٢٠٧ من سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَئُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

وردت روايات كثيرة في المصادر الاسلامية المعروفة في شأن نزول هذه الآية منها:

١- ينقل المفسر السني المعروف « الثعلبي » في تفسيره في شأن نزول هذه الآية

مايلي:

لما عزم النبي (ﷺ) على الهجرة الى المدينة، ترك علياً بن ابي طالب (عليه السلام) في مكة ليؤدي الديون التي عليه والامانات الى اهلها، وامرهُ ليلة خرج الى الغار وقد احاط المشركون الدار ، ان ينام في فراشه (ﷺ) وقال له: اتشح ببردي الاخضر ، ونم على فراشي فانه لا يصل منهم اليك مكروه انشاء الله، ففعل ذلك علي (عليه السلام) فاوحى الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الآخر، فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختر كلاهما الحياة فاوحى الله تعالى اليهما: أفلا كنتما مثل علي؟ اخيت بينه وبين محمد فبات علي فراشه يفديه بنفسه

ويؤثره بالحياة، اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه ، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبرائيل ينادي بخ بخ من مثلك يا علي بن ابي طالب يباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة فأنزل الله على رسوله (ﷺ) وهو متوجه الى المدينة في شأن علي (عليه السلام): «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله».

وقد نقل رواية الثعلبي هذه وبنفس التفصيل كل من : الغزالي في احياء العلوم (ج ٣، ص ٢٣٨) والكنجي في كفاية الطالب (ص ١١٤) ... وابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمة» (ص ٣٣) و«السبط بن الجوزي الحنفي» في «تذكرة الخواص» (ص ٢١) و«الشبلنجي» في «نور الابصار» (ص ٨٢)^(١).

٢- ويروي الحاكم الحسكاني في «شواهد التنزيل» عن «ابو سعيد الخدري» هذا المضمون بشيء من التفاوت^(٢).

٣- وفي نفس الكتاب (شواهد التنزيل) يروي عن ابن عباس ان علياً (عليه السلام) كان اول من آمن برسول الله (ﷺ) بعد خديجة وارتدى رداءه ويات في فراشه ... لكنه لم يشر الى الآية الشريفة في هذه الرواية^(٣).

٤- وفي نفس الكتاب ايضاً يروي هذا المعنى عن «عبد الله بن سليمان» (وفي نسخة عن عبد الله بن عباس) قال : أنام رسول الله (ﷺ) علياً علي فراشه ليلة انطلق الى الغار، فجاء ابو بكر يطلب رسول الله فأخبره علي انه قد انطلق، فأتبعه ابو بكر وباتت قریش تنظر علياً وجعلوا يرمونه ، فلما اصبحوا اذا هم بعلي ، فقالوا : اين محمد ؟ قال : لا علم لي به ، فقالوا : قد انكرنا تضورك كنا نرمي محمداً فلا يتضور وانت تتضور ، وفيه نزلت هذه الآية : «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء

١- الغدير: ج ٢، ص ٤٨.

٢- شواهد التنزيل: ج ١، ص ١٩٦ - الحديث ١٣٣.

٣- نفس المصدر، ص ٩٨.

مرضاة الله^(١).

٥ - يروي الحاكم النيشابوري في كتابه المعروف « مستدرك الصحيحين » عن ابن عباس ان علياً (عليه السلام) باع نفسه لله، وارتدى ثوب النبي (ﷺ) وبات في فراشه ... وفي نهاية هذه الرواية يقول: هذا الحديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه^(٢).

٦ - في نفس الكتاب يروي عن « حكيم بن جبير » عن « علي بن الحسين (عليه السلام) »: ان اول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن ابي طالب (عليه السلام)^(٣).
ثم يضيف: لما اراد علي (عليه السلام) المبيت في فراش رسول الله ، كان يردد هذه الابيات:

وقيتُ بنفسي خير من وطىء الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الله خاف ان يمكروا به فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً موقى وفي حفظ الاله وفي ستر
وبتُ ارائيهم ولم يستهموني وقد وطنت نفسي على القتل والاسر^(٤)
وجاءت الابيات اعلاه التي تعبّر عن التضحية والايتار وفخر علي (عليه السلام) بهذا الأمر، في كتب أخرى ايضاً.

٧ - يقول « الطبري » المؤرخ المعروف بشأن هجرة النبي (ﷺ) واحاطة المشركين بداره (ﷺ): ثم جعلوا يطلعو فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله (ﷺ) فيقولون: والله ان هذا لمحمد نائم عليه بُردُه فلم يبرحوا كذلك حتى اصبحوا فقام علي عن الفراش فقالوا: والله لقد صدقنا الذي حدثنا فكان مما نزل في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ

١ - شواهد التنزيل : ج ١، ص ١٠٠.

٢ - مستدرك الصحيحين: ج ٣، ص ٤ (طبعة دار المعرفة في بيروت).

٣ - نفس المصدر.

٤ - مستدرك الصحيحين: ج ٣، ص ٤.

يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ...»^(١).

٨ - يروي « ابن الاثير » في « اسد الغابة » في فضائل علي (عليه السلام): لما أراد النبي (ﷺ) الهجرة ، خلف علياً بن ابي طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده ، وامره ليلة خرج من الغار وقد احاط به المشركون بالدار ان ينام على فراشه وقال إني شخ ببردي الحضرمي - وبعدها نقل قصة ليلة المبيت وما اوحى الله الى جبرائيل وميكائيل .. ثم قال: فانزل الله عز وجل على رسوله وهو متوجه الى المدينة في شأن علي : «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله»^(٢).

٩ - يروي « احمد بن حنبل » احد ائمة اهل السنة الاربعة في مسنده وهو من المصادر الاسلامية المشهورة، عن ابن عباس في تفسير الآية : «وذا يمكربك الذين كفروا ليشتبوك...» قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: اذا اصبح فائبتوه بالوثائق - يريدون النبي (ﷺ) وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل اخرجوه، فاطلع الله نبيه (ﷺ) على ذلك فبات علي (عليه السلام) على فراش النبي (ﷺ) وخرج النبي (ﷺ) حتى لحق بالغار^(٣).

ولم يشر الامام احمد الى آية : «ومن الناس من يشري نفسه » ، إلا انه يتحدث عن آية: « اذ يمكربك الذين كفروا...» التي وردت في واقعة ليلة المبيت ايضاً . ولا تنحصر الروايات بما قيل بل هناك روايات كثيرة أخرى رويت في المصادر المعروفة بهذا الصدد، وللمزيد من الاطلاع بامكانكم مراجعة كتب : احقاق الحق^(٤) ، وشواهد التنزيل^(٥) ، وفضائل الخمسة^(٦) ، والغدير^(٧) ، وتفسير البرهان^(٨).

١ - تاريخ الطبري: ج ٢، ص ١٠٠.

٢ - اسد الغابة: ج ٤، ص ٢٥.

٣ - مسند احمد: ج ١، ص ٣٤٨، (طبعة دار الصادق، بيروت).

٤ - شواهد التنزيل: ج ١، ص ٩٦ وما بعدها.

٥ - فضائل الخمسة: ج ٢، ص ٣٤٥ وما بعدها.

٦ - الغدير: ج ٢، ص ٤٩ وما بعدها.

٤- آية الحكمة

نقرأ في الآية ٢٩٦ من سورة البقرة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

يروى الحاكم الحسكاني في «شواهد التنزيل» عن «الربيع بن الخيثم» أنهم ذكروا عنده علياً، فقال: لم أرهم يجدون عليه في حكمه والله تعالى يقول: «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»^(٩).

وفي نفس الكتاب نقلت عدة روايات أخرى بهذا المعنى أو ما يدانيه. بالاضافة الى انه يروي عن ابن عباس ان النبي (ﷺ) قال: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي حُكْمِهِ، وَالْيَاسِينَ فِي حُكْمِهِ، وَالْيَاسِينَ فِي حُكْمِهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(١٠).

وفي موضع آخر يروي عن «أبي الحمراء»: كنا عند رسول الله (ﷺ)، فقدم

٧- الفدير: ج ٢، ص ٤٩ وما بعدها.

٨- تفسير البرهان: ج ١، ص ٢٠٦-٢٠٧.

٩- شواهد التنزيل: ج ١، ص ١٠٧-الحديث ١٥٠.

١٠- نفس المصدر: ج ١، ص ١٠٦-الحديث ١٤٧.

علي (عليه السلام) نحونا، فقال رسول الله (ﷺ): مَنْ سره ان ينظر الى آدم في علمه، ونوح في فهمه، وابراهيم في حلمه فلينظر الى علي بن ابي طالب^(١).

ويروي عن «ابن عباس» ايضاً، كنت عند رسول الله (ﷺ) فسئل عن علي (عليه السلام) فقال: قُسمت الحكمة عشرة اجزاء فأعطي علي تسعة اجزاء وأعطي الناس جزءاً واحداً^(٢).

ان هذه العبارات تكشف بجلاء أن ليس هنالك من أحد من الامة الاسلامية بعد النبي (ﷺ) يضاهي علياً (عليه السلام) في العلم والمعرفة والحكمة، وحيث ان اهم اركان الامامة، العلم والحكمة فانه كان اجدر الناس للامامة والخلافة بعد النبي (ﷺ).
جاء ايضاً في «صحيح الترمذي» ان النبي (ﷺ) قال: انا دار الحكمة وعلي بابها^(٣).

من المسلّم به ان من اراد دخول البيت، عليه ان يدخل من الباب كما امر بذلك القرآن الكريم: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ (البقرة - ١٨٩). وعليه فمن اراد الدخول الى خزائن علم النبي (ﷺ) عليه المبادرة الى علي (عليه السلام) وطلب مفتاح هذا الكنز منه.

١ - شواهد التنزيل : ج ١ ، ص ٧٩ - الحديث ١١٦ .

٢ - نفس المصدر : ص ١٠٥ - الحديث ١٤٦ .

٣ - صحيح الترمذي : ج ٥ ، ص ٦٣٧ (كتاب المناقب - باب مناقب علي بن ابي طالب ، الحديث ٣٧٢٣) .

٥- سورة هل اتى

تعتبر سورة « هل اتى » سنداً آخر من الأسانيد المهمة لفضيلة علي (عليه السلام) وآل النبي (عليهم السلام)، وان التمعن في مضمون هذه السورة وعباراتها، وكذا شأن النزول الذي ذكر لها يزيل الغموض عن الكثير من القضايا.

صحيح ان آيات هذه السورة تعرض بحثاً عاماً، إلا ان سبعة عشر آية منها التي تبدأ من آية «إِنَّ الْإِبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً» وتستمر حتى الآية ٢٢، تتحدث عن نفر على انهم « ابرار »، بيد ان شأن النزول والروايات العديدة التي وردت في المصادر الاسلامية المعروفة، تكشف ان أتم واكمل مصداق للابرار في هذه الآية هم : علي، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهم السلام).

والجدير بالاهتمام ان في هذه الآيات السبعة عشر ذكرت انواع نعم الجنة، وافضلها واسماها - سواء المعنوية أو المادية - إذ انها تتحدث عن بساتين الجنة، عيون ماء الجنة الطاهر، والملابس، والزينة، والطعام، والارائك والاسرة، والولدان، وبالتالي النعم العظيمة والملك العظيم، والنعمة الوحيدة التي لم تجر الإشارة اليها في ما بين هذه النعم هي الأزواج وحوار الجنة حيث يقول بعض العارفين بأسرار

القرآن : ان هذا الأمر بمثابة الاحترام لسيدة الاسلام فاطمة الزهراء (عليها السلام).

قليلا ماتجتمع نعم الجنة هذه وفي اقصى درجاتها في سورة من سور القرآن الكريم، وهذا يبرهن على ان المراد من «الابرار» هنا ليسوا اناساً عاديين، بل ابرار ومطهرون وفي غاية العظمة والقرب من الله.

وهذا الأمر جدير بالذكر أيضاً حيث ذكرت علامات لهؤلاء «الابرار» في الآيات ٧ - ١٠ من هذه السورة، اذا انها تكشف عن منزلتهم، يقول تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾.

أما شأن نزول هذه الآية: يروي الزمخشري في تفسيره المعروف «الكشاف» عن ابن عباس: ان الحسن والحسين (عليهما السلام) مرضا فعادهما رسول الله (ﷺ) في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة ان برا مما بهما: ان يصوموا ثلاثة أيام فشفيا ومعهم شيء فاستقرض علي (عليه السلام) ثلاثة اصوع شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: «السلام عليكم»^(١) أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه وياتوا لم يذوقوا إلا الماء، واصبحوا صياماً فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم سائل يتيم فأثروه، ووقف عليهم اسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك؛ فلما اصبحوا اخذ علي (عليه السلام) بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله (ﷺ) فلما ابصرهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد مايسوءني ما ارى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه

١ - جاء نذر الحسن والحسين (عليهما السلام) في رواية الجعفي طبقاً لنقل تفسير القرطبي (تفسير القرطبي: ج ١٠، ص ٦٩٢٢).

ذلك ، فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فأقرأه السورة^(١).
ويروي القرطبي هذا المعنى باختلاف قليل في تفسيره في ذيل آيات البحث،
وينقل ايضاً شعراً عن السائلين وعن سيدة الاسلام في هذا المجال^(٢).
ونقل «الفخر الرازي» ايضاً في تفسيره نفس هذه القصة عن الواحدي في كتاب
«الوسيط»، «والزمخشري في الكشاف»، ولكنه يضيف في ذيلها: ان عبارة «ان الابرار
يشربون...» جاءت بصيغة الجمع، وانها تشمل الابرار جميعاً، ولا يمكن حصرها
بشخص واحد (علي بن ابي طالب عليه السلام)، وبالطبع لا يمكن انكار ان علياً عليه السلام داخل
في عموم هذه الآيات، لكنها لا تختص به.

إلا ان يقال: ان هذه السورة نزلت اثناء اداء علي عليه السلام العبادة خاصة، ولكن ثبت
في اصول الفقه أن المعيار عموم اللفظ، لا خصوصية السبب^(٣).
على ان الفخر الرازي كأنه نسي هذا الأمر وهو ان شأن النزول يقول: ان هذه
الآيات نزلت بحق علي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام لا في علي بن ابي
طالب خاصة لتقع مشكلة صيغة الجمع.

اضف الى ذلك: ان المراد من شأن النزول ليس الغاء «عمومية مفهوم الآية»،
بل المراد هو ان هذه الآيات نزلت للمرة الاولى بعد قيام هذه الاسرة بتلك العبادة
والطاعة والايثار، وهذه فضيلة عظيمة ومنحة كبيرة ان تنزل هذه الآيات بعد اداء
ذلك العمل، ويتعبير آخر: ان علياً عليه السلام واهل بيته المصداق السامي لهذه الآيات،
بل يعدّون النموذج الكامل لها، لان علة نزولها هو عملهم الطاهر، ومن اراد انكار هذه
الفضيلة العظمى انما يخادع نفسه.

وينقل «الآلوسي» ايضاً هذه القصة بكاملها في «روح المعاني» عن ابن

١- تفسير الكشاف: ج ٤، ص ٦٧٠ (ذيل آيات هذه السورة).

٢- تفسير القرطبي: ج ١٠، ص ٦٩٢٢.

٣- تفسير الفخر الرازي: ج ٣، ص ٢٤٤.

عباس ، ومن ثمّ يضيف : وهذا الخبر مشهور بين القوم .

ثمّ يسعى وعلى ديدنه الى التقليل منها أو اضعافها، ومن أجل هذا الفرض يضيف بعد بيانه الامور بشأن اسناد هذه الرواية : فاحتمال اصل النزول في الامير كرم الله وجهه وفاطمة (رض) قائم ولا جزم بنفي ولا اثبات لتعارض الاخبار ولا يكاد يسلم المرجح عن قيل وقال... اذ دخولهما في الابرار امر جلي بل هو دخول أولى فهما هما وماذا عسى يقول امرؤ فيهما سوى ان علياً مولى المؤمنين ووصي النبي (ﷺ) وفاطمة البضعة الاحمدية والجزء المحمدي وأما الحسنان فالروح والريحان وسيدا شباب الجنان وليس هذا من الرفض بشيء بل ماسواه عندي هو الغي^(١).

إلا اننا نقول : لو تغافلنا عن منقبة بهذه الشهرة فان سائر الفضائل يكون مصيرها هكذا، وسيأتي اليوم الذي ستوضح افضلية علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام). فلماذا نتجاهل هذه الرواية المعروفة التي نقلها كبار المحدثين والمفسرين والتي لا معارض لها، ونسد على انفسنا طرق معرفة هؤلاء العظماء؟! يروي « السيوطي » العالم السني المعروف في تفسير « الدر المنثور » عن ابن مردويه عن ابن عباس: ان آية « ويطعمون الطعام على حبه » نزلت بحق علي وفاطمة (عليهما السلام).

وأورد « الشبلنجي » ايضاً في « نور الابصار » قصة شأن النزول بكاملها^(٢)، وكذلك فريق آخر من كبار المفسرين والمحدثين.

هل أتى في الشعر

ان نزول هذه السورة بحق اهل البيت (عليهم السلام) جلي الى الحد الذي اشار الكثير من

١- روح المعاني: ج ٢٩، ص ١٥٨.

٢- نور الابصار، ص ٦٢.

الشعراء المعروفين الى هذا المعنى في شعرهم، منها هذه الابيات التي نقلت عن امام الشافعية « محمد بن ادريس الشافعي » في العديد من الكتب:

الى مَ ، الى مَ ، وحتى متى أعاتبُ في حبِّ هذا الفتى؟
وهل زُوجتُ فاطمَ غيره؟ وفي غيره هل أتى، هل أتى؟^(١)

ينقل « ابن البطريق » وهو من علماء القرن السادس الهجري في كتاب « عمدة عيون صحاح الاخبار » عن تفسير ابن اسحاق الثعلبي، انه قال:

انا مولى لفتى أنزل فيه هل أتى^(٢)

ويقول « محمد بن طلحة الشافعي » ايضاً (من علماء القرن السابع) في كتاب « مطالب السؤال » بحق آل النبي (ﷺ):

هم العروة الوثقى لمعتصم بها مناقبهم جاءت بوحي وانزال
مناقب في الشورى وسورة هل أتى وفي سورة الاحزاب يعرفها التالي^(٣)
المراد من مناقب تلك العترة في سورة الشورى آية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الآية / ٢٣).

والمراد من سورة الاحزاب، الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (الآية - ٣٣)، وقصة سورة هل أتى معلومة ايضاً.

كما نقلت اشعار كثيرة أخرى بهذا الصدد عن « طلائع » ابن رزيك (ابو الغارات)^(٤).



١ - احقاق الحق: ج ٣، ص ١٥٨ وعلي في الكتاب والسنة: ج ١، ص ٤٤٧.

٢ - عمدة عيون صحاح الاخبار: ص ٣٤٩ (طبعة رابطة المدرسين).

٣ - مطالب السؤال، ص ٨ (طبقاً لنقل الغدير: ج ٣، ص ١٠٩).

٤ - يراجع كتاب علي في الكتاب والسنة: ج ١، ص ٤٤٧.

المشككون امام سورة هل أتى!

إنَّ كلَّ مطلعٍ على كتب الحديث والتفسير والتاريخ للاخوة اهل السنَّة يعرف جيداً حيثما يكون الحديث عن منقبة لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) وآل النبي (عليهم السلام) ينبري بعض المتعصبين من هنا وهناك ويشيرون بالشبهات، ويسعون بشتى الذرائع اثارة المؤاخذات على سند ودلالة ومضمون ذلك الحديث، ويقللون من اهميته، وان كانت المؤاخذات ضعيفة وواهية، وكأنهم قطعوا عهداً على انفسهم على ان لا يتقبلوا أياً من هذه الفضائل، وان تقبلوها فانها لاتتفق وحكمهم المسبق.

ان مطالعة كتب مثل تفسير «روح المعاني»، و«الفخر الرازي»، و«المنازل»، ونحو ذلك شاهد على هذا الكلام بان حكمهم العقائدي المسبق يقف حائلاً في جميع الاحوال امام الاذعان لهذه الروايات، الى الحد الذي يصاب الانسان بالدهشة احياناً بسبب المؤاخذات الواهية التي اثاروها على هذه الروايات.

بينما يتقبلون مناقب الآخرين برحابة صدر، وان بدت عليها آثار الضعف، ومع هذا فقد افلنت الكثير من الحالات من سيف انتقاداتهم وهي تكفي لادراك الحقيقة. على أي حال من الواجب هنا الاشارة الى جانب مهم من تلك المؤاخذات:

١ - ان هذه الفضيلة تصح في حالة نزول هذه السورة في المدينة وبعد ولادة الامام الحسن والحسين (عليهم السلام) والمشهور ان ولادة الامام الحسن (عليه السلام) في السنَّة الثالثة للهجرة، وولادة الامام الحسين (عليه السلام) في السنَّة الرابعة للهجرة. بينما يعتقد الكثيرون بأن هذه السورة مكية، وعليه فانها لاتتفق وشأن النزول الآنف الذكر. ولكن بناءً على قول المفسر السني المعروف القرطبي، فان المشهور ان العلماء يعتقدون ان هذه السورة مدنية (وقال الجمهور مدنية)^(١).

وانضم طائفة كثيرة الى هذا الرأي ايضاً، منهم :

الحاكم الحسكاني إذ عدّ هذه السورة من السور المدنية حيث نزلت بعد سورة « الرحمن » وقبل سورة « الطلاق »، والجدير بالاهتمام ان العالم المذكور نقل ثمانية روايات بهذا الصدد جرى التصريح فيها جميعاً بأن سورة « هل أتى » مدنية، وبعض هذه الروايات عن « ابن عباس »، وبعضها عن « عكرمة »، و« الحسن »، وبعضها عن آخرين.

فهو يقول في كلامه: ان بعض النواصب اعترض على هذه القصة بأن قال: اتفق اهل التفسير على ان هذه السورة مكية، وهذه القصة كانت بالمدينة - ان كانت - فكيف كانت سبب نزول السورة، وبان بهذا انها مخترعة!

ثم يضيف: كيف يسوغ له دعوى الاجماع مع قول الاكثر انها مدنية^(١).

ونقل في كتاب « تاريخ القرآن » لابي عبد الله الزنجاني عن كتاب « نظم الدرر وتناسخ الآيات والسور »، عن جماعة من مشاهير اهل السنة: ان سورة اهل أتى مدنية^(٢).

ويروي « السيوطي » المفسر السني المعروف ايضاً في « الدر المنثور » المعنى نفسه عن ابن عباس بطرق مختلفة.

وفي « الاتقان للسيوطي » نقل ايضاً عن « البيهقي » في « دلائل النبوة » عن عكرمة: ان سورة هل أتى مدنية^(٣).

بالاضافة الى ان كافة الذين يرون ان شأن نزول هذه السورة في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، وهم جماعة كثيرة جرت الاشارة اليهم آنفاً - وكلهم يشهدون على كون السورة مدنية.

١- شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٣١٠-٣١٥.

٢- تاريخ القرآن، ص ٥٥.

٣- تفسير الميزان: ج ٢٠، ص ٢٢١.

فضلاً عن جميع ذلك، على فرض ان قسماً من هذه السورة مكّي ، والقسم المتعلق بنذر علي واهل بيته مدني، فلا مانع من ان يكون قسم من السورة مكياً والآخر مدنياً.

من هنا، فان مؤلف تفسير « روح البيان » (البرسوثي الحنفي) بعد ذكره عن طائفة من كبار العلماء ان سورة « هل اتى » مدنية، اشار الى كلام الذين يرون ان بعض آياتها مكّي والآخر مدني، فيقول: على هذا الاساس يمكنك القول: (ان هذه السورة مكية وان شئت قلت انها مدنية على ان الآيات المدنية في هذه السورة اكثر كمية من الآيات المكية فالظاهر انها تسمى مدنية لا مكية ونحن لانشك في صحة القصة)^(١). من بين الامور التي اتخذها هذا المفسر وغيره من الواعين دليلاً على كون هذه السورة مدنية هو مجيء كلمة « اسير » فيها، ونحن نعلم ان لا وجود للاسير في مكة، وان قضية الاسر والاسير كانت بعد نزول حكم الجهاد في المدينة.

يقول صاحب « روح البيان » في هذا المجال: دل على ذلك ان الاسير انما كان في المدينة بعد آية القتال والأمر بالجهاد^(٢).

والمدحش ان المتزمتين الذين ليسوا على استعداد عن التخلي عن حكمهم المسبق بصدد الولاية والخلافة خلقوا التبريرات لـ « الاسير » هنا، حيث بالامكان ان تكشف عن الحقائق، فقد قالوا: ان المراد من الاسير اسير زوجة! أو أسير الديون، ونحو ذلك...^(٣).

ينبغي التساؤل: لماذا نذهب وراء المجازيات، مع امكانية تفسير الاسير بالمعنى الحقيقي؟

١- روح البيان: ج ١٠، ص ٢٦٩.

٢- نفس المصدر.

٣- نقلت هذه الاقوال في البحر المحيط: ج ٨، ص ٣٩٥ عن بعض المفسرين، الا ان صاحب هذا الكتاب (ابو حيان الاندلسي) يرى انه يعني الاسير من الكفار.

٢- كيف يتسنى حصر اللفظ العام للآية بأشخاص محددين؟

ولكن كما اسلفنا مراراً ان عمومية مفهوم الآيات لا يتعارض وشأن النزول الخاص، وهذا يشاهد ايضاً في الكثير من آيات القرآن الكريم الاخرى، حيث يكون مفهوم الآية عاماً وشاملاً، إلا ان شأن نزولها وهو مصداقها الكامل والسامي يكون مورداً خاصاً، والمثير للدهشة ان احداً لم يتخذ عمومية مفهوم الآية في سائر الآيات الواردة في القرآن وشأن نزولها دليلاً على معارضة شأن النزول، إلا ان القضية هنا مختلفة!!

٣- المؤاخذه الاخرى التي يثيرها المشككون هي : كيف يتمكن الانسان من البقاء طاوياً ثلاثة ايام ويفطر بماء فقط؟

بيد ان هذه المؤاخذه عجيبة، لاننا كثيراً ما رأينا - وعلى امتداد حياتنا - اشخاصاً يمسون عن الطعام من أجل العلاج، فبعضهم قد يمسك ثلاثة ايام وهذا يسير، وتارة يمسون لمدة عشرة ايام أو عشرين يوماً بل وحتى اربعين يوماً، أي انهم وعلى مدى اربعين يوماً لا يشربون سوى الماء فقط، ولا يتناولون طعاماً ابداً (حتى عصير الفواكه والشاي)، وهذا الأمر - حسب اعتقاد الاطباء الذين يعالجون المرضى عن طريق الصيام ادى الى علاج الكثير من امراضهم، حتى ان طبيباً مشهوراً غير مسلم يدعى « الكسي سوفورين » ألف كتاباً حول آثار الصيام لمدة اربعين يوماً مع بيان دقيق لطرقه^(١).

واعتبر بعض الكتاب الصوم لاكثر من عشرين يوماً علاجاً لبعض الأمراض.

ان الاضراب عن الطعام ومنه « الاضراب عن الماء » متداول في عصرنا الراهن واحياناً يتجاوز الاربعين يوماً.

ولكن لماذا يتعجب هؤلاء المشككون من الصوم لمدة ثلاثة ايام والامساك عن

١- ترجم هذا الكتاب الى العربية واسمه « التطيب بالصوم ».

الطعام والافطار بالماء لوحده؟ أليس هدفهم هو تعطيل هذه الفضيلة العظمى بأي وسيلة متاحة؟

٦ و ٧- آيات « البراءة » و « سقاية الحاج »

في سورة التوبة، وفي موضعين منها نزلت آيات تتضمن مناقب عظيمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) بلحاظ شأن نزولها والروايات التي نقلها اغلب المفسرين والمؤرخين والمحدثين.

الاولى: الآيات التي في مطلع هذه السورة التي نزلت بشأن اعلان الحرب على المشركين الذين ينقضون العهد، وقد اتفق كافة المفسرين والمؤرخين تقريباً ان النبي (صلى الله عليه وآله) واثناء نزول هذه الآيات في السنة التاسعة للهجرة التي تعلن فيها عن نقص العهد مع المشركين، اختار «أبا بكر» لابلاغ هذا الأمر الى عامة الناس في مكة خلال الحج، ولكن لم يمض من الوقت شيء حتى استرجع الآيات منه واعطاها لعلي (عليه السلام) وأمره بابلاغها الى اهل مكة في مراسم الحج، وهكذا فعل.

بالرغم من وجود جدل بين المحدثين والمفسرين والمؤرخين في تفرعاتها. نشير هنا الى جانب من هذه الروايات:

١- يقول احمد بن حنبل الامام السني المعروف في مسنده الذي هو أحد كتب الحديث المعروفة لدى السنة: ان النبي (صلى الله عليه وآله) بعث بالبراءة الى اهل مكة مع ابي

بكر، لا يحج بالبيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول الله (ﷺ) مدة فاجله الى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله، قال: فسار بها ثلاثاً، ثم قال لعلي (عليه السلام): الحقه فَرُدَّ عليَّ أبا بكر ويلغها انت، قال: ففعل، قال: فلما قدم على النبي (ﷺ) ابو بكر بكى وقال: يا رسول الله حدث في شيء؟ قال: ما حدث فيك الا خير ولكن أمرت أن لا يبلغه الا أنا أو رجل مني^(١).

وينقل الترمذي في سننه المعروفة وهي من المصادر الرئيسة للحديث لدى اهل السنة، هذه الرواية بتعبير آخر في بحث تفسير القرآن عن انس بن مالك، ان النبي (ﷺ) بعث بالبراءة مع ابي بكر، ثم دعاه وقال: لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا إلا رجلاً من اهلي فدعا علياً فاعطاه اياه^(٢).

ثم نقل الترمذي رواية أخرى عن ابن عباس حول هذا الموضوع، ولكن اكثر تفصيلاً وبياناً^(٣)، واللطيف انه يقول بعد نهاية الحديثين، سواء عنه أم نقلاً عن الآخرين: هذا حديث حسن غريب، إلا انه لم يعبر بهذا بشأن غيره من الروايات سواء قبله أو بعده. وهذا بحد ذاته من الامور الغريبة، وكأن كل حديث يروي منقبة استثنائية بحق علي (عليه السلام) يعتبر غريباً بنظرهم.

٢ - ينقل السيوطي في الدر المنثور عن « عبد الله بن احمد بن حنبل » و« ابن مردويه » عن علي (عليه السلام) لما نزلت الآيات العشر الاولى من سورة التوبة على النبي (ﷺ) دعا ابا بكر ليأخذ هذه الآيات ويقرأها على أهل مكة؛ ثم دعاني النبي (ﷺ) فقال لي: ادرك ابا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به الى اهل مكة فاقرأهم عليهم فلحقته بالجحفة فاخذت الكتاب منه، فرجع ابو بكر الى

١ - مسند احمد: ج ١، ص ٣ (طبعة دار الصادق).

٢ - سنن الترمذي: ج ٥، ص ٢٧٥ « الحديث رقم ٣٠٩٠ ».

٣ - نفس المصدر، الحديث ٣٠٩١.

النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدي عنك الا انت أو رجل منك^(١).

٣- وفي نفس الكتاب يروي عن « احمد » و « الترمذي » و « ابن مردويه » أيضاً عن « انس » بانه (ﷺ) بعث بآيات البراءة مع ابي بكر، ثم دعاه وقال: لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا الا رجل من اهلي، فدعا علياً فاعطاه اياه^(٢).

٤- ويروي ايضاً في هذا الكتاب عن « سعد بن ابي وقاص »: ان النبي (ﷺ) بعث بآيات البراءة مع ابي بكر الى مكة حتى اذا كان ببعض الطريق ارسل علياً (عليه السلام) فاخذها منه ثم سار بها، فوجد ابو بكر في نفسه، فقال رسول الله (ﷺ): لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني^(٣).

٥- ويروي في الكتاب نفسه عن « ابي سعيد الخدري » الصحابي المعروف: ان النبي (ﷺ) بعث ابا بكر يؤدي عنه براءة، فلما أرسله بعث الى علي (عليه السلام) فقال: يا علي انه لا يؤدي عني إلا أنا أو أنت فحمله على ناقته العضباء فسار حتى لحق بأبي بكر فأخذ منه براءة، فأتى ابو بكر النبي (ﷺ) وقد دخله من ذلك مخافة ان يكون قد انزل فيه شيء، فلما أتاه قال: مالي يا رسول الله؟ (وساق الحديث) الى ان ذكر قول النبي (ﷺ): لا يبلغ عني غيري أو رجل مني^(٤).

٦- وفي هذا الكتاب ايضاً يروي عن « ابي رافع » الصحابي المعروف: ان النبي (ﷺ) بعث أبا بكر بآيات البراءة الى الحج فنزل عليه جبرئيل وقال: انه لن يؤديها عنك الا انت أو رجل منك^(٥).

١- الدر المنثور: ج ٣، ص ٢٠٩.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

٤- الدر المنثور، ص ٢٣٠ (بشيء من الاختصار).

٥- نفس المصدر.

٧- ١٨ - روى الحاكم الحسكاني في « شواهد التنزيل » ما يقارب من اثنتي عشرة رواية بشأن هذا الموضوع عن انس بن مالك، وابن عباس، وسعد، وابي سعيد الخدري، وابي هريرة، وغيرهم حيث يطول المقام بذكرهم جميعاً، وبمقدور الراغبين الرجوع الى الكتاب المذكور الذي هو في متناول الجميع من أجل المزيد من التحقيق^(١).

وروى جماعة كثيرة أخرى أيضاً هذه الرواية بطرق مختلفة، وان رواة هذا الحديث كثيرون الى الحد الذي يقول المرحوم العلامة الاميني : هذا الحديث اخرجه كثير من ائمة الحديث وحفاظه بعدة طرق صحيحة يتأتى التواتر باقل منها عند جمع من القوم ثم عدد ٧٣ نفرأ منهم^(٢) ثم يضيف: ان رواة هذا الحديث ينتهي اسانيدهم الى جمع من الصحابة الاولين منهم علي (عليه السلام)، ابو بكر، جابر بن عبد الله الانصاري، انس بن مالك، ابو سعيد الخدري، سعد بن ابي وقاص، ابو هريرة، عبد الله بن عمر، حبش بن جنادة، عمران بن حصين، ابو ذر الغفاري^(٣).

ونختم هذا البحث بشعر لـ « شمس الدين المالكي » وهو من شعراء القرن الثامن الهجري المعروفين، يقول:

وأرسله عنه الرسول مبلّغاً وخَصَّ بهذا الأمر تخصيص مفرد
وقال هل التبليغ عني ينبغي لمن ليس من بيتي من القوم فاقتدي

١ - شواهد التنزيل: ج ١، ص ٢٢٢ - ٢٤٣ (الحديث رقم ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥).

٢ - للاطلاع على أسماء هؤلاء الـ ٧٣ شخص راجعوا كتاب الفدير، ج ٦، ص ٣٤١ - ٣٨٨.

٣ - الفدير: ج ٦، ص ٣٤١ - ٣٤٨.

النتيجة

إنَّ هذه الرواية بهذه السعة في المصادر تعتبر أحد الأدلة الواضحة على افضلية علي (عليه السلام) على غيره بعد رسول الله (ﷺ) واعتماده (ﷺ) عليه، وغاية قربه من الله تعالى، فهو يقول بصريح القول: «أمرني جبرئيل الأمين عن الله بأن يبلغ علي هذه الآيات»، وقال (ﷺ): «لن يؤدي هذا الأمر إلا أنا أو رجل مني، وإن علياً وحده المؤهل لاداء هذا العمل».

وبالنظر إلى أن: إلغاء العهود مع المشركين كان أحد أكثر المراحل حساسية في تاريخ الاسلام ويقتضي اطلاعاً وتدبيراً وشجاعة استثنائية وكان من الممكن أن يواجه ردود فعل قوية من قبل المعارضين أثناء مراسم الحج، فإن اختيار علي (عليه السلام) لهذه المهمة كان أفضل دليل على أنه أعلم الأمة وأشجعها وأكثرها تدبيراً، من المسلم به أن الذي يُختار لهذا الأمر أكثر اهلية واجدر لخلافة النبي (ﷺ).

والجدير بالاهتمام أن أبا بكر نفسه أدرك هذا الأمر ايضاً، وعند حضوره عند النبي (ﷺ) استفسر باضطراب: هل نزل شيء بحقي؟ فاجابه النبي (ﷺ): «هذا العمل يؤديه شخص مني»!

وهنا نلاحظ بما امتلكوه أنَّ المشككين من حكم مسبق بذلوا كل ما بوسعهم من أجل التقليل من اهمية هذه المنقبة، وتجاوزوا هذه المسألة بتحليلاتهم الواهية. فمثلاً عندما يذكر «الآلوسي» في «روح المعاني» هذا الحديث يدل باختصار على افضلية علي (عليه السلام) وقربه من الرسول (ﷺ)، وهذا مالا ينكره مؤمن، لكنه لا يدل ابداً على أن علياً أليق بأمر الخلافة من أبي بكر. ثم يضيف قائلاً: وقد ذكر بعض أهل النسبة نكتة في نصب أبي بكر اميراً للناس في حجهم ونصب الامير كرم الله وجهه مبلغاً نقض العهد في ذلك المحفل وهي أن أبا بكر كان مظهرها لصفة الرحمة والجمال، وعلي (عليه السلام) هو اسد الله ومظهر جلاله ففوض اليه نقض عهد الكافرين

الذي هو من آثار الجلال وصفات القهر فكانا عينين فوّارتين يفور من احدهما صفة الجمال، ومن الاخرى صفة الجلال في ذلك الجمع العظيم الذي كان انموذجا للحشر ومورداً للمسلم والكافر.

يقول الألوسي بعد ذكره لهذا الكلام : « ولا يخفى حسنه لو لم يكن في البين تحليل النبي (ﷺ) »^(١).

وكما قال « الألوسي » في كلامه الاخير فان هذا التحليل « الشاعري » لا يتفق وقول النبي (ﷺ)، فهو يقول بصراحة: لقد أمرني جبرئيل عن الله ان هذا الأمر لا يؤديه إلا أنا أو رجل مني، اي رجل نظير للنبي (ﷺ) ويمتلك مواصفات خاصة واقرب الناس اليه، ونحن نعلم ان النبي (ﷺ) كان جامعاً لصفات الجمال والجلال. لماذا يصبر هؤلاء الاخوة على اغفال منقبة بهذه العظمة أو يحرفونها عن منحها الحقيقي بتبريرات شاعرية، مخافة ان يستند اليها الشيعة ويثبتوا حقانية مذهبهم؟! وننهي كلامنا هذا بالحديث الذي روي عن ابي ذر الغفاري في كتاب « مطالب السؤال »، فهو يقول: قال النبي (ﷺ): علي مني وانا من علي ولا يؤدي إلا أنا أو علي^(٢).



آية سقاية الحاج

نقرأ في الآية ١٩ من نفس السورة: « أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ».

لقد اورد الحاكم الحسكاني الحنفي في « شواهد التنزيل » ما يربو على عشر

١ - روح المعاني: ج ١٠، ص ٤٧.

٢ - مطالب السؤال، ص ١٨ (على ضوء نقل القدير، ج ٦، ص ٣٤٨).

روايات من طرق مختلفة في ذيل هذه الآية، تثبت انها نزلت بحق علي (عليه السلام).
ففي احدي هذه الروايات ينقل عن انس بن مالك: ان « العباس بن عبد
المطلب » و « شيبه » قعدا يفتخران، فقال له العباس: أنا اشرف منك ، انا عم رسول
الله (ﷺ) ووصي أبيه وساقى الحبيب ، فقال شيبه: أنا اشرف منك، أنا أمين الله
على بيته وخازنه ، أفلا أئتمنك كما ائتمني؟ فاطلع عليهما علي (عليه السلام) فاخبراه بما
قالا، فقال علي (عليه السلام): أنا أشرف منكما أنا أول من آمن وهاجر، فانطلقوا ثلاثهم الى
النبي (ﷺ) فاخبروه فما أجابهم بشيء، فانصرفوا فنزل عليه الوحي بعد أيام
فارسل اليهم فقراً (أجعلتم سقاية الحاج) الى آخر العشر^(١).

وورد هذا المضمون أيضاً بشيء من الاختلاف في بقية الروايات.
وجاء في بعضها: لما سمع العباس بنزول الآية قال ثلاثاً: انا قد رضينا.
وبالاضافة الى « الحاكم الحسكاني » فقد نقل هذه الروايات ايضاً جمع غفير
بعضهم بشكل مفصل وبعضهم على نحو الاختصار - في كتبهم ، منهم:
« الطبري » في تفسيره عن « انس بن مالك »^(٢) .
« الواحدي » في « اسباب النزول »^(٣) .
« القرطبي » في تفسيره^(٤) .
« الفخر الرازي » في « التفسير الكبير »^(٥) .
« الخازن » في تفسير الخازن^(٦) .
« ابو البركات النسفي » في تفسيره^(٧) .

١ - شواهد التنزيل : ج ١، ص ٢٤٩.

٢ - تفسير الطبري : ج ١٠، ص ٥٩.

٣ - اسباب النزول : ص ١٨٢.

٤ - تفسير القرطبي : ج ٨، ص ٩١.

٥ - تفسير الفخر الرازي : ج ٤، ص ٤٢٢.

٦ - تفسير الخازن : ج ٢، ص ٢٢١.

٧ - تفسير ابو البركات : ج ٢، ص ٢٢١.

« ابن الصباغ المالكي » في « الفصول المهمة »^(١).

وفي تفسير « الدر المنثور » وهو تفسير يستند إلى احاديث اهل السنة نقل روايات كثيرة بشأن نزول هذه الآية بحق علي (عليه السلام)، والقصة الآنفة^(٢).

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هو : أليس التفاخر أمر منبوذ في الاسلام؟ فلم - يقدم أمير المؤمنين (عليه السلام) على هذا الأمر؟

تتضح الاجابة على هذا السؤال من خلال الالتفات إلى قضية واحدة وهي : ان الناس ربما يقعون بالخطأ في تشخيص القيم، فيتركون القيمة الحقيقية ويتبعون الامور المتأخرة من ناحية القيمة، ففي مثل هذه الحالات لا مانع من الافتخار والتباهي من أجل توضيح الحقيقة، بل تعتبر واجباً في بعض الحالات، فمثلاً ربما يفتخر شخص بنفسه في إحدى المجالس قائلاً : إنني امتلك الثروة الفلانية، وآخر يقول : ان القصر الفلاني يعود لي، ويقول ثالث : كفاني فخراً انني أمير بلدي !

وينبري شخص قد جلس هناك فيقول من أجل ابراز القيم الحقيقية: بالرغم من افتقاري للمال والثروة والمقام والجاه إلا انني افتخر بكوني حافظاً للقرآن فهذا الفعل لا يعد قبيحاً بل هو درس بليغ.

١ - الفصول المهمة : ص ١٢٣.

٢ - الدر المنثور : ج ٣، ص ٢١٨ و ٢١٩.

٨- آية « صالح المؤمنين »

نقرأ في الآية ٤ من سورة التحريم، ان الباري جل وعلا خاطب بعض نساء النبي (ﷺ) اللواتي ارتكبن مخالفة، قائلاً: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

إن عبارة « صالح المؤمنين » تشمل المؤمنين والصالحين والصادقين من اصحاب النبي (ﷺ)، وليس الصحابة والانصار الذين عاصروه فحسب، بل هي تشمل المؤمنين والصالحين في سائر الدهور والاعصار ايضاً، اولئك الذين يتصدون لنصرة الاسلام والنبي (ﷺ) ورسالته بمختلف السبل.

بيد ان المهم هنا ان « صالح المؤمنين » فسرت في روايات عديدة بعلي (عليه السلام)، وتؤكد على انه افضل واكمل مصداق لهذه الآية، ونظراً لمجيئه جنباً الى جنب جبرئيل تتجلى عظمة منزلته واهمية هذه الفضيلة جيداً.

نعم فقد كان علي (عليه السلام) افضل نصير لرسول الله (ﷺ) مدى حياته بعد الله وجبرئيل الامين، وعليه فمن يستحق ان يخلف النبي (ﷺ) غيره؟ ألا تدل هذه الروايات على انه كان افضل الامة ، وافضل الخلق بعد النبي (ﷺ)؟

والآن نيمّم وجوهنا صوب اسناد هذه الروايات ونتطرق الى جانب منها الذي

اقتطف بشكل عام من مصادر اهل السنة :

ينقل « الحاكم الحسكاني » ثمانية عشر حديثاً ! في ذيل هذه الآية من مختلف الطرق، بان المراد من « صالح المؤمنين » علي بن ابي طالب (عليه السلام)، منها : انه يروي عن « اسماء بنت عميس » تقوله : سمعت النبي (ﷺ) يقول: صالح المؤمنين علي بن ابي طالب^(١).

وروي في الكتاب نفسه عن « ابن عباس » ان رسول الله (ﷺ) قال بحق علي بن ابي طالب (عليه السلام) : هو صالح المؤمنين^(٢).

ويروي عن « عمار بن ياسر » قوله : سمعت علياً (عليه السلام) يقول: دعاني رسول الله (ﷺ) وقال: ألا أبشرك : قلت : بلى يا رسول الله و ما زلت مبشراً بالخير . قال : قد انزل الله فيك قرآناً ، قلت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : قُرنْتَ بجبرئيل ، ثم قرأ : « وجبريل وصالح المؤمنين »^(٣).

وينقل هذا المعنى ايضاً في رواية أخرى عن « حذيفة » .

وفي رواية ينقل عن « ابن سيرين » ، وفي أخرى عن « علي بن ابي طالب » نفسه، ان النبي (ﷺ) قال: صالح المؤمنين، علي بن ابي طالب^(٤).

كما نقل الكثير من المفسرين هذا الحديث في تفاسيرهم، منهم السيوطي في « الدر المنثور » في ذيل الآية عن « ابن عباس » و « اسماء بنت عميس » .

ويقول « البرسوثي » في تفسير « روح البيان » بعد نقله لهذه الاقوال في ذيل هذه الآية، منها قول مجاهد في ان المراد من صالح المؤمنين ، علي (عليه السلام) ويؤيده قوله (ﷺ) : « يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى » . ثم ينقل آيات عديدة حيث اطلق الباري تعالى كلمة الصالحين في القرآن الكريم على كبار الأنبياء،

١ - شواهد التنزيل : ج ٢، ص ٢٥٦، الرواية ٩٨٢.

٢ - نفس المصدر : ص ٢٥٨، الرواية ٩٨٧.

٣ - نفس المصدر : ص ٢٥٩، الرواية ٩٨٩.

٤ - نفس المصدر، ص ٢٥٥ - ٢٦٣.

ويستنتج بأنه لما كان علي (عليه السلام) بمنزلة نبي الله «هارون»، فهو جدير بصفة الصالحين^(١).

بالإضافة إلى أن هذه الرواية نقلت من قبل جماعة آخرين مثل «العسقلاني» في «فتح الباري»، و«ابن حجر» في «الصواعق»، و«علاء الدين المتقي» في «كنز العمال».

وخلاصة القول: أنها منقبة عظيمة لا نظير لها إذ قرن الله تعالى صالح المؤمنين بجبرئيل، ومصدقها التام والكامل على ضوء الروايات أعلاه، علي بن أبي طالب (عليه السلام).

نعم، فقد كان جنباً إلى جنب النبي (ﷺ) في جميع مراحل حياته، وكان يعد نصيراً وظهيراً له في الأحوال جميعاً، وهو أجدر الجميع بخلافته (ﷺ).

٩- آية الوزارة

نقرأ في سورة طه من الآية ٢٩ الى الآية ٣٢ على لسان موسى (عليه السلام): ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * أُشَدِّدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾. فهذه الآيات تبين طلبات موسى (عليه السلام) في بداية بعثته.

في ذيل هذه الآيات نشاهد روايات عديدة ايضاً في مصادر اهل السنة. مفادها ان النبي (ﷺ) قد سأل الله ذلك من أجل تحقيق اهداف رسالته، مع فارق انه جعل اسم علي (عليه السلام) بدل اسم هارون، وفيما يلي تطالعون بعضاً من هذه الروايات:

١- روي في «شواهد التنزيل» عن «حذيفة بن اسيد» ان النبي (ﷺ) امسك بيد علي بن ابي طالب (عليه السلام) وقال: ابشر، وأبشر، ان موسى دعا ربه أن يجعل له وزيراً من اهله هارون، واني ادعو ربي ان يجعل لي وزيراً من اهلي عليّ اخي، أشدّد به ظهري وأشركه في امري^(١).

٢- في رواية اخرى، يروي عن «اسماء بنت عميس» تقول: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: اللهم اني اقول كما قال اخي موسى، اللهم اجعل لي وزيراً من اهلي، علياً اخي، اشدد به ازري، واشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً، ونذكرك

كثيراً، انك كنت بنا بصيراً^(١).

بديهي ان المراد من الاشتراك في عمل النبي (ﷺ) لا تعني الشركة في النبوة، بل الشركة في أمر قيادة الامة.

٣- وفي رواية اخرى، ينقل حديثاً عن « انس بن مالك » ليس فيه اشارة الى قصة موسى (عليه السلام)، بل مطروح فيه مسألة الخلافة والوزارة، فيقول: قال رسول الله (ﷺ): ان خليلي ووزيرني وخليفتي في اهلي، وخير من أترك بعدي، ينجز موعدي ويقضي ديني، علي بن ابي طالب^(٢).

٤- روي هذا الحديث باختلاف بسيط أيضاً عن سلمان الفارسي^(٣).

٥- ويروي الحافظ ابو نعيم الاصفهاني وهو من علماء القرن الخامس الهجري في كتاب « مانزل من القرآن في علي » ماتضمنه حديث اسماء بنت عميس عن « ابن عباس »، وفي نهايته يقول ابن عباس: بعد دعاء النبي (ﷺ) هذا سمعت منادياً ينادي: يا أحمد قد اوتيت ما سألت^(٤).

٦- وينقل « الفخر الرازي » في تفسيره الكبير هذه الرواية بمزيد من التفصيل عن « ابي ذر الغفاري » عن رسول الله (ﷺ) الى ان يقول: لما تصدق علي (عليه السلام) بخاتمه... فاقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمراي النبي (ﷺ) فقال: اللهم ان اخي موسى (عليه السلام) سألك فقال: رب اشرح لي صدري (الى قوله) وأشركه في امري فانزلت قرآناً ناطقاً، سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً، اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيراً من اهلي علياً اشدد به ظهري، قال ابو ذر: فوالله ما أتم رسول الله (ﷺ) هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل

١- نفس المصدر، ص ٣٧٠، الحديث ٥١١.

٢- نفس المصدر، ص ٣٧٤، الحديث ٥١٦.

٣- شواهد التنزيل: ج ١، ص ٧٧، الحديث ١١٥.

٤- ملحقات احقاق الحق: ج ٢٠، ص ١٢٨.

فقال: يا محمد اقرأ: انما وليكم الله ورسوله ... الى آخرها^(١).

ان اسناد وطرق هذه الرواية والكتب التي رويت فيها من الكثرة بحيث لا يستوعبها هذا الموجز وقد أشير الى جانب منها فقط .

مضمون آية وروايات « الوزارة »

تقول هذه الروايات بجلاء: ان النبي (ﷺ) دعا واستجاب له الله تعالى كما استجاب لموسى، وكان دعاؤه أن يجعل له وزيراً من اهله يشاركه في أمره، ويشد به از رسول الله (ﷺ)، كما هو هارون لموسى (عليه السلام) تماماً.

وكما جرت الإشارة فان من المسلم به ليس المراد من الشركة الاشتراك في أمر النبوة، إذ لا نبي بعد رسول الله (ﷺ) الذي كان خاتم النبيين ، ومعلوم ايضاً ليس المراد المشاركة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والارشاد، وتبليغ الرسالة فحسب ، لانها تكليف المسلمين جميعاً، فيجب على الجميع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الجميع كل حسب وسعه نشر الاسلام وهداية الآخرين. على هذه الاساس، فالمراد مقام خاص غير النبوة والتكليف العام بالامر بالمعروف، وهل يمكن ان تكون هذه القضية سوى القيادة والوزارة من قبل الباري عز وجل؟ والنتيجة المباشرة لهذا الامر هي انه (ﷺ) سيكون خليفة النبي (ﷺ).

وبعبارة أخرى ، ثمة تكاليف لا تمثل واجب جميع الناس، وهي صيانة الرسالة الالهية من كل تحريف وانحراف، وكذلك توضيح ما ليس بدركه الناس في مضمون الدين، وقيادة الامة اثناء غياب النبي (ﷺ) وبعد رحيله، والمساعدة المؤثرة في تحقيق اهدافه، حيث تختصر جميعها في كلمة وزير^(٢).

١ - تفسير الفخر الرازي: ج ١٢، ص ٢٦ (ذيل الآية ٥٥ من سورة المائدة).

٢ - الوزير من مادة وزر، حيث ان الوزير يتحمل ثقل المسؤوليات المختلفة على عاتقه، فقد اطلقت هذه الكلمة عليه.

وهذا ما سأله النبي ﷺ من الله بحق علي (عليه السلام)، واستجاب الله دعاءه.
 هنا يتضح الرد على وساوس بعض المفسرين الذين لا يطبقون الاذعان لمثل
 هذه المناقب بحق علي (عليه السلام).
 فهم يحاولون تفسير «الشركة في امر النبي ﷺ» ، بالامر بالمعروف والنهي
 عن المنكر^(١)، والحال اننا نعلم انها واجب المسلمين جميعاً، ولا تحتاج الى تعيين
 وزير من قبل الله تعالى.

١٠ و ١١ - آيات سورة الاحزاب

هنالك آيات في سورة الاحزاب نزلت بحق علي (عليه السلام) على ضوء قول طائفة من المفسرين، أو انها ناظرة الى تضحياته الفريدة من نوعها.

فنقرأ في الآية ٢٣ من هذه السورة: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

ويقول تعالى في الآية ٢٥ من نفس السورة (اي بعد آيتين): ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

نحن نعلم ان معركة الاحزاب كانت من اهم الغزوات في الاسلام، فهي كما يتضح من اسمها تعتبر صراع جميع اعداء الاسلام ضد المسلمين، وتطافرت كافة الفرق التي تعرضت مصالحها للخطر نتيجة لانتشار الدين الاسلامي، من اجل القضاء على الاسلام ورسول الله (ﷺ)، ولتطمئن قلوبهم الى الابد!

فهناك سبع عشرة آية من سورة الاحزاب تقوم بشرح احوال هذه المعركة، وقد توضحت فيها دقائق الامور وخفاياها، وتقوم بتفصيل احوال مختلف فرق المسلمين في هذا المضمار بدقة وظرافة.

لقد مرّت على المسلمين لحظات حرجة وخطيرة للغاية في هذه المعركة،

فحشود العدو، وقلة الجيش الاسلامي في مقابلهم (ذكر المؤرخون عدد جيش الاحزاب بعشرة آلاف رجل، والجيش الاسلامي بثلاثة آلاف رجل) بالاضافة الى استعداد العدو من حيث المعدات الحربية وقلة عدة المسلمين .

فالايتان اعلاه من ضمن هذه الآيات السبعة عشر.

يروى صاحب « شواهد التنزيل » في ذيل الآية الاولى بسنده عن علي (عليه السلام) قوله: فينا نزلت رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ثم قال: فانا والله المنتظر^(١). ويروي عن « عبد الله بن عباس » ايضاً: ان اية « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » ناظرة الى علي (عليه السلام) والحمزة وجعفر، وعبرة « ومنهم من ينتظر » اشارة الى علي (عليه السلام) الذي كان ينتظر الشهادة في سبيل الله، « فوالله لقد رُزق الشهادة »^(٢).

وروي هذا المعنى ايضاً في كل من « الصواعق المحرقة » لابن حجر، و« الفصول المهمة » لابن الصباغ المالكي، و« الكشف والبيان » للنيشابوري^(٣).



البحث فيما يتعلق بالآية الثانية اكثر اتساعاً من هذا، فقد قال الكثير من المحدثين والمفسرين: ان « كفى الله المؤمنين القتال » اشارة الى علي (عليه السلام) وضربته المؤثرة التي وجهها لعمر بن عبد ود وكفى المؤمنين قتال الكفار. من بين الذين رووا هذا المعنى هو « عبد الله بن مسعود ». فعندما كان يقرأ الآية اعلاه كان يقول في تفسيرها: وكفى الله المؤمنين القتال « بعلي بن ابي طالب »^(٤). ويروي « الحاكم الحسكاني » عدة احاديث بهذا المضمون عن عبد الله بن

١ - شواهد التنزيل: ج ٢، ص ١ و ٢، الحديث ٦٢٧.

٢ - شواهد التنزيل: ج ٢، ص ١ و ٢، الحديث ٦٢٨.

٣ - علي في الكتاب والسنة، ص ٢١٨.

٤ - شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٣، الحديث ٦٢٩.

مسعود^(١).

ويروي عن ابن عباس أيضاً انه لما قرأ آية « وكفى الله المؤمنين القتال » قال: كفاهم الله القتال يوم الخندق بعلي بن ابي طالب، حين قتل عمرو بن عبد ود^(٢).
كما روى عن حذيفة الصحابي المعروف حديثاً مفصلاً حول نزال علي (عليه السلام) لعمرو بن عبد ود وقتله، ثم يقول: قال رسول الله (ﷺ): أبشريا علي اقلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد (ﷺ) لرجح عملك بعملهم وذلك انه لم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو^(٣).

وينقل نفس المعنى عن « ابن حكيم » عن جده عن رسول الله (ﷺ).
ينقل « السيوطي » في الدر المنثور عن « ابن ابي حاتم »، و « ابن مردويه »، و « ابن عساكر » عن « ابن مسعود » انه لما كان يقرأ الآية اعلاه، يقول (في شرحها): وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن ابي طالب^(٤).

ونقل هذا المعنى العلامة « الشيخ سليمان القندوزي » في ينابيع المودة^(٥).
ونقل فريق آخر بطول المقام بذكر اسمائهم هذا الحديث ايضا.
والجدير بالاهتمام ان مضمون هذه الآيات ومن خلال الشرح المذكور اعلاه هو ان علياً (عليه السلام) كان السبب في انتصار المسلمين باذن الله في ذلك الميدان الخطير للغاية، حيث كانت معركة الاحزاب السهم الاخير بيد العدو، وهي اصعب مؤامرات المشركين ضد الاسلام. نعم فقد كان مجرياً للارادة الالهية، واحد الاسباب المهمة لانتصار المسلمين في هذه المعركة، فلا تشاهد هذه المنقبة لاي أحد من امة محمد (ﷺ) سوى علي (عليه السلام).

١ - نفس المصدر، الحديث ٦٣٠ و ٦٣١ و ٦٣٢.

٢ - نفس المصدر، ص ٥، الحديث ٦٣٣.

٣ - نفس المصدر، ص ٧، الحديث ٦٣٤.

٤ - الدر المنثور: ج ٥، ص ١٩٢.

٥ - ينابيع المودة، ص ٩٤.

ألا يستحق من يفوق عمله هذا عمل كافة أمة محمد (ﷺ)، خلافة النبي (ﷺ)؟!!

سؤال :

ربما يقال هنا بأنه قد جاء في الآية ٩ من هذه السورة التي تشير بالاجمال الى قصة معركة الاحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

طبقاً لهذه الآية، فاحد اسباب هزيمة الاحزاب كانت الريح العاصفة التي هبت عليهم، والسبب الاخر الجنود غير المرئيين (الملائكة)، وعليه فكيف يمكن القول: ان علياً (عليه السلام) كان سبب الانتصار؟

إنَّ الجواب : على هذا السؤال هو : ان الانتصار في معركة ما ، ربما تكون له عوامل متعددة كالعامل العسكري، والطبيعي، والمعنوي، وغيرها ، ومما لا شك فيه ان ثلاثة عوامل قد تضافرت في هذه المعركة بحيث لا يتسنى انكار اي منها ابداً، وهي : مصرع عمر بن عبد ود فارس الاحزاب على يد علي (عليه السلام)، وهبوب الرياح، وجيش الملائكة، ففي جميع الحالات التي تتضافر فيها عوامل عديدة في صنع حادث ما، يمكن نسبة ذلك الحادث الى واحد منها أو اليها جميعاً.

١٢- آية البينة والشاهد

نقرأ في الآية ١٧ من سورة هود: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ».

لقد اورد «الحاكم الحسكاني» في «شواهد التنزيل» روايات عديدة تناهز الـ ١٦ رواية في ذيل هذه الآية تشهد بان المراد من الشاهد في الآية اعلاه علي (عليه السلام)^(١)، من ضمنها ما نقله عن «انس بن مالك» في ان «المراد من عبارة «أفمن كان على بينة من ربه»، محمد (ﷺ)، والمراد من عبارة «ويتلوه شاهد منه»، علي بن ابي طالب. فهو كان لسان حال النبي (ﷺ) لاهل مكة في نقض العهد معهم». وينقل في رواية أخرى عن «ابن عباس» انه قال في تفسير «ويتلوه شاهد منه»: هو علي خاصة^(٢).

وينقل عن زاذان (احد أصحاب علي عليه السلام) عن علي (عليه السلام) انه قال: لو ثبت لي الوسادة فجلست عليها لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم وبين اهل الانجيل

١- شواهد التنزيل: ج ١، ص ٢٨٠، الحديث ٣٨٣.

٢- نفس المصدر، ص ٢٨٢، الحديث ٣٨٧.

بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم بقضاء يزهر يصعد الى الله، والله ما نزلت آية في ليل أو نهار ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر الا وقد عرفت اي ساعة نزلت وفيمن نزلت، وما من قريش رجل جرى عليه المواسي الا قد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوقه الى الجنة أو تقوده الى نار، فقال قائل: فما نزل فيك يا أمير المؤمنين؟ قال: «أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه» محمد (ﷺ) على بينة من ربه وأنا الشاهد منه أتلو آثاره^(١).

واورد السيوطي في تفسير «الدر المنثور» ايضاً روايات عديدة في هذا الصدد، منها انه ينقل عن «ابن ابي حاتم»، و«ابن مردويه»، و«ابن نعيم» عن علي بن ابي طالب، انه قال: ما من رجل من قريش الا نزل فيه طائفة من القرآن.

فسأله رجل: ما نزل فيك؟ قال (ﷺ): أما تقرأ سورة هود: «أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه» رسول الله (ﷺ) على بينة من ربه، وأنا شاهد منه^(٢). ثم اورد عدة احاديث بهذا المعنى^(٣).

وفي تفسير «روح المعاني» وبعد نقله لرواية «ابن ابي حاتم»، و«ابن مردويه»، عن علي (ﷺ) في ان نزول هذه الآية بحقه (ﷺ)، ويروي هذا المعنى ايضاً في حديث آخر عن رسول الله (ﷺ) انه قال: «أفمن كان على بينة من ربه»، أنا، ويتلوه شاهد، علي. يقول: لقد استدلل بعض الشيعة أنّ علياً (كرم الله وجهه هو خليفة رسول الله (ﷺ)) لان الله تعالى سماه شاهداً في قوله: «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً». فينبغي ان يكون مقام علي كمقامه (ﷺ). وحيث اخبر انه يتلوه اي يعقبه ويكون بعده دل على انه خليفته.

ثم يقول: هذا الخبر لا يكاد يصح، وبعد ذلك ينقل رواية تفيد ان المراد من «

١ - شواهد التنزيل: ج ١، ص ٢٨٠، الحديث ٣٨٤.

٢ - الدر المنثور، ج ٣، ص ٣٢٤، (ذيل آية البحث).

٣ - الدر المنثور، ج ٣، ص ٣٢٤، (ذيل آية البحث).

الشاهد ، زمان رسول الله (ﷺ) ^(١).

وقد توسل مفسر المنار الذي لا يقل تعصباً عن الآلوسي في روح المعاني ازاء الشيعة والقضايا المتعلقة بامامة علي (عليه السلام) بكل مالدیه في تفسير الآية وواقع نفسه في عناء عجيب، فمن جملة مايقول: ويجوز ان تكون البينة على هذا علمه اليقيني الضروري بنبوته كما تقدم . ويكون الشاهد الذي يتلوه منه القرآن وهو الاظهر عندي وروي عن (سعيد بن جبیر: ان البينة القرآن والشاهد جبريل (عليه السلام) ... ويتلوه من تلاوة القرآن لا من التلو والتبعية فهو الذي كان يقرأه على النبي (ﷺ) عند نزوله به وفي الشاهد روايات اخرى ضعيفة ومنها انه علي (عليه السلام) يرويه الشيعة ويفسرونه بالامامة. ^(٢).

باللاسف، فقد كانت الاحكام والفرضيات المسبقة اهم حائل دون فهم آيات القرآن والروايات الاسلامية المشهورة، وهنا ثمة مسائل تحظى بالاهمية ، منها:

١ - المدهش أن يقال حول الرواية التي تتمتع بهذه الطرق المختلفة في الكتب المشهورة لدى اهل السنة بأنها رواية ينقلها الشيعة، ألم يشاهد مفسر المنار هذه الروايات الواردة في « الدر المنثور » و « شواهد التنزيل » بل حتى « روح المعاني » بشأن تفسير الشاهد بعلي (عليه السلام)، ويدعي: ان هذه الرواية نقلها الشيعة فقط، أم يجب القول ان كل رواية تصب في صالح مذهب التشيع هي رواية شيعية، وان رواها العشرات من رواة اهل السنة؟!

٢ - هناك طائفة من مفسري السنة يؤمنون بان المراد من الشاهد « لسان » النبي (ﷺ) (المعنى الذي لا يشاهد في اي موضع من القرآن).

بينما يعتبر صاحب المنار أنها رواية ضعيفة، لعله التفت الى هذه الحقيقة وهي

١ - روح المعاني: ج ١٢، ص ٢٨.

٢ - المنار: ج ١٢، ص ٥٣.

ان تفسير « الشاهد » بـ « لسان » النبي (ﷺ)، وكذا « يتلوه » بـ « تلاوة القرآن » مليء بالتكلف.

فيصبح المعنى الاجمالي للعبارة: « افمن كان يمتلك الدليل الواضح من ربه وهو القرآن، ويتلوه لسانه ويشهد على ذلك ... كمن ليس كذلك ». فمفهوم هذا القول هو: ان النبي (ﷺ) شاهد على نفسه، فهل يمكن للمدعي ان يكون شاهداً على نفسه؟ أم يجب ان يكون الشاهد شخصاً آخر؟ ألم يأت النبي (ﷺ) بالقرآن، فكيف يكون لسان النبي (ﷺ) شاهد على القرآن؟ وهل ان لسان النبي (ﷺ) ليس منه؟ فكيف نجعل جزءاً منه شاهداً عليه؟ ان الذي لا يريد الاعتراف بهذه الحقائق سيقع في هذه المناهات.

٣- ما قيل في ان المراد من « الشاهد » هو « جبرئيل »، والحال ان ايا من الناس لم يره ويجهل وجوده، كيف يتفق ومفهوم الشهادة؟

فهل نحن مجبورون على انشاد شعر نتورط في قافيته؟

٤- الاعجب ما يقوله الآلوسي في روح المعاني: المراد من « البيّنة » القرآن و« الشاهد » صفته الاعجازية.

والحال ان كون القرآن « بينة » يكون من خلال اعجازه فحسب، ولا يعد القرآن « بينة » بدون صفاته الاعجازية، على هذا الاساس سيكون « البيّنة » و« الشاهد » واحداً، وهذا لا يتفق ومضمون الآية.

٥- ان تفسير « البيّنة » بـ « العلم اليقيني الباطني لرسول الله (ﷺ) » بنبوته، ومن ثمّ تفسير « الشاهد » بالقرآن الكريم من الغرائب ايضاً، فلا بد أولاً من البحث عن معنى « البيّنة » في القرآن نفسه، فقد استعملت « البيّنة » في القرآن الكريم ١٩ مرة، و« البيّنات » وهي جمعها ٥٢ مرة، وعادة ماجاءت بمعنى « المعجزة » أو « الكتب السماوية والقرآن الكريم » لا بمعنى العلم الباطني الفطري اللازم.

وعليه فلو اردنا تجاوز التكاليف، فالبينة في الآية اعلاه تعني القرآن الذي هو المعجزة الخالدة لنبي الاسلام (ﷺ)، والشاهد شخص غير النبي (ﷺ) حيث يشهد على حقانيته (ﷺ)، أما الذين لا يرغبون في ان يفضي هذا التفسير الى حقانية مذهب التشيع فهم على استعداد للخوض في كل اشكال التكلف من اجل نبذ هذا التفسير، لثلا يعاكس حكمهم المسبق الخط الصحيح.

١٣- آية الصديقون

نقرأ في الآية ١٩ من سورة الحديد: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصُّدَّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَتُورُهُمْ﴾.

نقل في «شواهد التنزيل» عن «ابن أبي ليلى» عن ابيه: قال رسول الله (ﷺ):
الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين، وحزبيل (حزقيل) مؤمن آل فرعون، وعلي بن ابي طالب الثالث وهو افضلهم^(١).

وورد هذا الحديث أيضاً في كتاب «الفضائل» لاحمد بن حنبل، و«معرفة الصحابة» لابي نعيم، و«المناقب» لابن المغازلي^(٢).

وفي نفس كتاب «شواهد التنزيل» نقل اربعة احاديث أخرى بهذا المعنى عن طرق أخرى^(٣).

ونقل الحديث الأنف الذكر في كتاب «ينابيع المودة» للشيخ سليمان القندوزي عن مسند احمد، وابي نعيم، وابن المغازلي، والموفق الخوارزمي، عن «ابى ليلى» و«ابى ايوب الانصاري». انهما قالوا: قال رسول الله (ﷺ): الصديقون ثلاثة،

١- شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٢٢٣، الحديث ٩٣٨.

٢- تعليقات - وحواشي - المحمودي على شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٢٢٤.

٣- نفس المصدر، الحديث ٩٣٩ و ٩٤٠ و ٩٤١ و ٩٤٢.

حبيب النجار، وحزقيل مؤمن آل فرعون... وعلي بن ابي طالب وهو افضلهم^(١).
ونقل هذا المعنى أيضاً في « كنز العمال » عن ابن عباس^(٢).

كما نقل « احقاق الحق » هذا الحديث عن كتب وطرق مختلفة^(٣).

بالرغم من ان الروايات اعلاه لا تتناول قضية الخلافة بصورة مباشرة، إلا ان اثبات صفة صديق الامة لعلي (عليه السلام) ترجح كفة ميزانه فيما لو قيس مع غيره، حيث تكشف عن اهليته للخلافة اكثر مما سواه.

المدحش انه واستنادا الى هذه الروايات الكثيرة ان علياً (عليه السلام) صديق هذه الامة، إلا ان البعض منحوا هذا اللقب الى الآخرين، حيث نقلوا في ذيل هذه الآية ان الصديقين ثمانية، منهم ابو بكر وعلي (عليه السلام)، بيد أن هذه الرواية ليست عن النبي (ﷺ)، فالروايات التي نقلت عن رسول الله (ﷺ) تصف علياً (عليه السلام) بأنه صديق هذه الامة.

ويجدر ذكر هذا الامر وهو ان عمومية مفهوم الآية لا تتعارض والروايات اعلاه، فقد قلنا مراراً: ان مثل هذه الروايات ناظرة الى الاكمل، أي انها تقول: ان اكمل مصداق لـ « الصديق » في الامة الاسلامية، هو علي (عليه السلام) الذي كان صادقاً الى ابعد الحدود، وقد سبق رجال هذه الامة ايماناً، وصدق برسول الله (ﷺ)، واطلق عليه النبي (ﷺ) لقب « الصديق ».

وستطالعون اموراً كثيرة في هذا المضممار ايضاً في تفسير الآية اللاحقة.

١ - ينابيع المودة، ص ١٢٤، الباب ٤٢.

٢ - كنز العمال: ج ١١، ص ٦٠١، الحديث ٣٢٨٩٧.

٣ - احقاق الحق: ج ٣، ص ٢٤٣.

١٤ - آية النور

نقرأ في الآية ٢٨ من سورة الحديد : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾ .

يروى في « شواهد التنزيل » عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، ان المراد من عبارة « يؤتكم كفلين من رحمته »، الحسن والحسين (عليهما السلام) الذين وهبهما الله تعالى لعلي (عليه السلام)، والمراد من « يجعل لكم نوراً تمشون به »، علي بن ابي طالب (عليه السلام) (حيث انه نبراس الامة الاسلامية ووسيلة هدايتها)^(١).

ان « ابن عباس » لم يقل هذا اجتهداً منه، ففي رواية أخرى يروي في الكتاب نفسه بسنده عن « جابر بن عبد الله » عن النبي (ﷺ) انه قال في تفسير « يؤتكم كفلين من رحمته » : « الحسن والحسين (عليهما السلام) »، وقال في تفسير « ويجعل لكم نوراً تمشون به » : « علي بن ابي طالب (عليه السلام) »^(٢).

ويروي في الكتاب نفسه عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام) انه قال في تفسير هذه الآية:

١ - شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٢٢٧، الحديث ٩٤٣.

٢ - نفس المصدر، ص ٢٢٨، الحديث ٩٤٤.

من تمسك بولاية علي فله نور^(١). (تأملوا جيداً).

وفي تأييده لهذا المعنى يروي عن «ابي سعيد الخدري» ان رسول الله (ﷺ) قال: أما والله لا يحب اهل بيتي عبد الا اعطاه الله عز وجل نوراً حتى يرد عليّ الحوض^(٢).

ونقل في «كنز العمال» عن علي (عليه السلام) انه قال: أنا عبد الله واخو رسوله وأنا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب مفتر، ولقد صليت قبل الناس سبع سنين^(٣).

مشيرا الى أنه أول من آمن برسول الله (ﷺ) من الرجال، وعليه فانه الجدير بحمل لقب «الصديق الاكبر».

وفي نفس الكتاب، نقل عن «معاذ بن عدوية» قوله: سمع علياً (عليه السلام) يقول علي المنبر في البصرة: أنا الصديق الاكبر امنت قبل ان يؤمن ابو بكر واسلمت قبل ان يسلم^(٤).

علي أي حال، فهذه منقبة من أفضل المناقب، وصاحبها أجدر من غيره بخلافة النبي (ﷺ).

لقد اورد العلامة الاميني في الجزء الثالث من الغدير بحثاً مطولاً بشأن ايمان علي (عليه السلام) بالنبي (ﷺ) على انه أول من آمن من الرجال، وذكر مصادر كثيرة عن اشهر كتب علماء اهل السنة، حتى انه ذكر كثيراً من الشعر لشعراء الاسلام ايضاً كشاهد على ذلك^(٥).

وسنخصص فصلاً كاملاً تحت عنوان «المسلم الاول»، وسيجري البحث عن الكثير من القضايا هناك «ان شاء الله».

١ - شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٢٢٨، الحديث ٩٤٦.

٢ - نفس المصدر: ج ٢، ص ٢٢٨، الحديث ٩٤٧.

٣ - كنز العمال: ج ١٣، ص ١٢٢، الحديث ٣٦٣٨٩ (طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت).

٤ - نفس المصدر، ص ١٦٤، الحديث ٣٦٤٩٧.

٥ - الغدير: ج ٣، ص ٢٢١ - ٢٤١.

١٥- آية الانذار

نقرأ في الآيتين ٢١٤ و ٢١٥ من سورة الشعراء: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

إنَّ هذه الآيات لها قصة معروفة حيث ذكرها جميع مؤرخي الاسلام تقريبا.
وفي تفسير هذه الآية، تشاهد رواية معروفة لدى الخاص والعام كما يقول «
الطبرسي» في «مجمع البيان»، وكذا قول «الحاكم الحسكاني» في «شواهد التنزيل
»، يقول «البراء بن عازب»: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» جَمَعَ رَسُولُ
اللَّهِ (ﷺ) بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَأْكُلُ الْمُسْنَةَ،
وَيَشْرِبُ الْعَسَّ، فَأَمَرَ عَلِيًّا (عليه السلام) بِرَجُلٍ شَاةٍ فَأَدْمَهَا ثُمَّ قَالَ: ادْنُوا بِسْمِ اللَّهِ فِدْنَا الْقَوْمِ
عَشْرَةَ عَشْرَةٍ فَأَكَلُوا حَتَّى صَدَرُوا، ثُمَّ دَعَا بِقَعْبٍ مِنْ لَبَنٍ فَجَرَعَ، مِنْهُ جُرْعَةٌ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:
اشْرَبُوا بِسْمِ اللَّهِ فَشَرَبُوا حَتَّى رَوَوْا، فَبَدَرَهُمْ أَبُو لَهَبٍ فَقَالَ: هَذَا مَا سَحَرَكُم بِهِ الرَّجُلُ.
فَسَكَتَ (ﷺ) يَوْمَئِذٍ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، ثُمَّ دَعَاهُمْ مِنَ الْغَدِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ ثُمَّ أَنْذَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ إِلَيْكُمْ
مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْبَشِيرُ فَاسْلَمُوا وَاطِيعُونِي تَهْتَدُوا، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يُوَافِقْنِي (مِنْكُمْ)

ويؤازرنني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في اهلي ويقضي ديني فسكت القوم. فاعادها ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم ويقول علي (عليه السلام): أنا ، فقال في المرة الثالثة: أنت ، فقام القوم وهم يقولون لابي طالب: اطع ابنك فقد امر عليك^(١)، نقل هذا الحديث في هوامش شواهد التنزيل عن « عبد الله بن عباس » وكذلك عن « ابي رافع ».

وينقل عن « خصائص النسائي » ان « ربيعة بن ناجذ » يقول: ان رجلاً قال لعلي (عليه السلام): يا امير المؤمنين بم ورثت ابن عمك دون اعمامك ؟ قال : جمع رسول الله (ﷺ) بني عبد المطلب فصنع لهم مداً من الطعام فأكلوا حتى شبعوا، وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس ، ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا ، وبقي الشراب كأنه لم يمس ، أو لم يشرب ، فقال: يا بني عبد المطلب اني بعثت اليكم خاصة والى الناس عامة وقد رأيتم من هذه الآية ما قد رأيتم ، ايكم يبايعني على ان يكون أخي وصاحبي ووارثي؟ فلم يقم اليه أحد فقامت اليه وكنت اصغر القوم فقال: اجلس ، حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي ، ثم قال علي (عليه السلام): بذلك ورثت ابن عمي دون عمي^(٢).

وقد نقل « الطبري » المؤرخ الشهير هذا الحديث ايضاً بالتفصيل ، ويقول تعقيباً عليه: ان النبي (ﷺ)، أو ما الى علي (عليه السلام) وقال : ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب: قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع^(٣).

ثم نقل الطبري هذا المعنى بطرق اخرى.

من الامور الظريفة ان الطبري المؤرخ والمفسر السنّي الكبير، الذي نقل قصة يوم

١ - شواهد التنزيل: ج ١، ص ٤٢٠ (مع الاختصار) ومجمع البيان: ج ٧ و ٨ ص ٢٠٦.

٢ - تعليقات شواهد التنزيل: ج ١، ص ٤٢٣.

٣ - تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٦٣ (طبعة بيروت).

الانذار في « تاريخه » بهذا النحو، عندما يأتي الى « التفسير » (الفتوا الى ان للطبري تفسيراً مفصلاً في ٣٠ جزء، عدا التاريخ) ويصل الى هذه الآية ويروي الحادثة المذكورة، يقول: ان النبي (ﷺ) قال: أيكم يؤازرنى على هذا الامر على ان يكون اخي وكذا وكذا ...، قال علي (عليه السلام): أنا يانبي الله اكون وزيرك ... فقال النبي (ﷺ): ان هذا اخي وكذا وكذا^(١).

فكما تلاحظون فان هذا المفسر المعروف بعبر « بكذا وكذا » بدلا عن وصي وخليفتي فيكم، وكرر هذا الامر مرتين لثلا يقع تعبير « الوصي والخليفة » بايدي اتباع مذهب اهل البيت (عليهم السلام) ويقدمونه وثيقة على خلافة علي (عليه السلام)، ويصاب حكم الطبري وامثاله المسبق المليء بالتعصب!

فهل هذا هو معنى المحافظة على الامانة في تدوين ونقل احاديث رسول الله (ﷺ)؟ ألم يكن يفكر بأن تعبيره التاريخي سيوضع يوماً امام تعبيره التفسيري ويقام القياس بينهما، وتجري محاكمتهما؟ ويجدر الانتباه الى ان الطبري ليس فريداً في القيام بهذا الفعل، فهناك الكثير ممن مارسوا ويمارسون هذه الافعال.

فقد نقل الآلوسي هذه الرواية أيضاً في روح البيان بشكل ناقص ومعيب، ثم يضيف: « ومن الروايات ما يتمسك به الشيعة فيما يدعونه من أمر الخلافة وهو مؤول أو ضعيف أو موضوع »^(٢).

ان الاحكام المسبقة لهذا المفسر المعروف عجيبة حقاً، فهو يقول: بما ان هذه الرواية تصب في صالح الشيعة فاما يجب ان توجه، أو تضعف، أو تعتبر مجعولة، أي ان اساس الحكم لا يستند الى الحقائق التاريخية والقرآن والسنة، بل الى الاحكام المسبقة وكل ما يخالفها يجب غض الطرف عنه وتوجيهه وتضعيفه.

١ - تفسير جامع البيان للطبري: ج ١٩، ص ٧٥ (ذيل الآية ٢١٤ من سورة الشعراء).

٢ - روح المعاني، ذيل آية البحث، (ج ١٩، ص ١٣٥).

من البديهي لو اجتمع جميع الأنبياء والكتب السماوية لعجزوا عن النفوذ الى عقلية من يمتلك مثل هذا النمط من التفكير، وتغييره.

لقد ذكر « احمد بن حنبل » احداً من مذاهب السنة في كتابه المعروف بـ « سند احمد » قصة يوم الانذار الى ان يقول: قال علي (عليه السلام) قال رسول الله (ﷺ): لما نزلت هذه الآية « وانذر عشيرتك الاقربين » قال : جمع النبي (ﷺ) من اهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا فقال (ﷺ) : من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في اهلي ... فقلت: أنا^(١).

يقول ابن ابي الحديد المعتزلي: اما خبر الوزارة (اشارة الى الحديث الذي يثبت وزارة علي عليه السلام) فقد نقله الطبري في تاريخه عن عبد الله بن عباس عن علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال: لما انزلت هذه الآية « وانذر عشيرتك الاقربين » على رسول الله (ﷺ) دعاني ... ثم نقل القصة الى ان ذكر قول الرسول (ﷺ) « وقد امرني الله ان ادعوكم اليه، فايكم يؤازرنى على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فقال علي: (عليه السلام): انا يارسول الله اكون وزيرك عليه، فقال الرسول (ﷺ): هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم^(٢).

انتبهوا الى انه قد جاء في هذه الرواية وبعض الروايات المتقدمة التعبير بخليفتي فيكم، ويتضح من ذلك ان التعبير بالاهل في الروايات الاخرى يفيد هذا المعنى ايضاً (تأملوا جيداً).

ذكر « ابن الاثير »^(٣) هذه الحادثة أيضاً بالتفصيل في كتابه « الكامل » - بل واكثر تفصيلاً من اغلب المحدثين والمؤرخين - الى ان يقول : قال رسول الله (ﷺ): ايكم يؤازرنى على هذا الامر على ان يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فاحجم القوم

١ - مسند احمد: ج ١، ص ١١١ (مع شيء من الاختصار).

٢ - شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج ١٣، ص ٢١٠.

٣ - « ابن الاثير » من اشهر المؤرخين حيث عاش في القرن السابع، وتاريخه يقع في ١٣ جزء.

عنها جميعاً ، فقال علي (عليه السلام): انا يا رسول الله اكون وزيرك عليه... فقال الرسول (ﷺ): ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا^(١).
واللطيف انه قد عبر بـ « خليفتي فيكم » في هذا الحديث ايضاً، وفي الحقيقة انها احدى معجزات النبي (ﷺ) إذ انه قال هذه العبارة بحزم لعلي (عليه السلام) في ذلك الحين، ولم يكن له من العمر سوى ثلاثة عشرة سنة، فمن يستطيع التنبؤ بان هذا الصبي ذا الثلاث عشر عاماً سيصبح من اعظم رجال البشرية في المستقبل، ويستحق خلافة النبي (ﷺ)، والكل يسمعون له ويطيعونه ؟
واللطيف ايضاً: ان النبي (ﷺ) قال هذا في الايام الاولى لدعوته، يوم الانذار، وكذلك في الاشهر الاخيرة من حياته المباركة، أليس هذا الكلام أفضل دليل على امامة علي (عليه السلام)؟

١٦- آية مرج البحرين

نقرأ في الآية ١٩ الى ٢٢ من سورة الرحمن قوله تعالى : ﴿ مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ .

لقد وردت اقوال كثيرة في تفسير هذه الآية، وقد ذكرنا ابحاثاً كثيرة بهذا المضمار في التفسير الامثل، فتارة قيل: المراد من البحرين بحران ذواتا ماء عذب ومالح، حيث يتجاوزان في الكثير من المناطق دون ان يختلطا مع بعضهما، ويلاحظ هذا المشهد جيداً في جميع المناطق التي تصب فيها الانهار بالبحار.

والتفسير الآخر اللطيف لهذين البحرين، تيار « غولف استريم » والانهار البحرية العملاقة التي تتحرك في الكثير من محيطات العالم وتأخذ المياه الدافئة من المناطق الاستوائية نحو المناطق القطبية، وربما يختلف لونها عن لون المياه المحيطة بها، والمدهش ان عرضها يبلغ احيانا مائة وخمسين كيلو متراً وعمقها عدة مئات من الامتار، وقد تصل سرعتها الى ١٦٠ كم في اليوم! وتختلف درجة حرارتها عن المياه المجاورة بـ ١٠ - ١٥ درجة!

ان هذا التيار من المياه الدافئة يخلق ربما دافئة ويمنع قسماً من حرارته الى المناطق المجاورة، ويعمل على تلطيف الجو في المناطق الشمالية للكرة الارضية التي يمر بها ، ويجعله قابلاً للتحميل . ولولا هذه التيارات البحرية لتعسرت الحياة في تلك البلدان، وربما لا يمكن تجرعها.

وطبعاً فان « غولف استريم » اسم لاحد التيارات والانهار البحرية . ويشاهد شبيه ذلك في مياه القارات الخمس . وان السبب الرئيس لهذه الحركة هو الاختلاف بين درجة حرارة مياه المناطق الاستوائية ومياه المناطق القطبية.

راجعوا الجزء ٢٣ من التفسير الامثل للمزيد من التفصيل في هذا الصدد وبشأن الآيات اعلاه.

وحيث ان آيات القرآن ذوات ظاهر وباطن، فقد تفسر تفسيراً مادياً ومعنوياً، ففي الروايات الاسلامية فسر هذان البحران بعلي وفاطمة (عليهما السلام). وفسر اللؤلؤ والمرجان معنوياً بالحسن والحسين (عليهما السلام).

فقد روي في « شواهد التنزيل » عن « سلمان الفارسي » في تفسير آية « مرج البحرين يلتقيان » ان « المراد هو علي وفاطمة (عليهما السلام) » ثم يضيف : قال رسول الله (ﷺ) : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، يعني الحسن والحسين »^(١). ونقل هذا المعنى بطريق اخر عن « ابن عباس » و« الضحاك »^(٢).

وجاء في رواية أخرى عن « سعيد بن جبير » عن « ابن عباس » ان المراد من « مرج البحرين يلتقيان » علي وفاطمة (عليهما السلام)، والمراد من « بينهما برزخ لا يبغيان » حب دائم لا ينقطع ولا ينفذ، والمراد من « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » الحسن والحسين (عليهما السلام)^(٣).

١ - شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٢٠٩ (الحديث ٩١٩).

٢ - نفس المصدر، ص ٢٠٨.

٣ - شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٢١٠.

وورد في رواية أخرى تعبير أكثر وضوحاً عن « ابن عباس » بشأن « بينهما برزخ لا يبغيان » وهو ان المراد « ود لا يتباغضان »^(١).

وفي الحقيقة ان البرزخ يعني « الحائل بين شيئين » فالمحبة هنا تحول دون البغي والتجاوز.

وبعد ان يذكر « السيوطي » أيضاً في تفسيره الروائي « الدر المنثور » الروايات المتعلقة بالتفسير الظاهري لهذه الآية، نقل مضمون الاحاديث المتقدمة عن « ابن عباس » وعن النبي (ﷺ)، فيقول: روى « ابن مردويه » عن « ابن عباس » في تفسير آية « مرج البحرين يلتقيان »، ان المراد علي وفاطمة (عليهما السلام).

ثم يضيف: قال رسول الله (ﷺ): يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، يعني الحسن والحسين (عليهما السلام)^(٢).

وروى هذا المعنى عن « انس بن مالك » ايضاً^(٥).

واللطيف ان المفسر المعروف « الألويسي » بعد ان ينقل الرواية الآتفة في تفسير « روح المعاني » عن « ابن عباس » و« انس بن مالك »، وكذا عن طريق الطبرسي عن « سلمان الفارسي » و« سعيد بن جبير » و« سفيان الثوري » يضيف قائلاً: « والذي اراه ان هذا ان صح ليس من التفسير في شيء بل هو تأويل كتأويل المتصوفة لكثير من الآيات، وكل من علي وفاطمة رضي الله تعالى عنهما عندي اعظم من البحر المحيط علماً وفضلاً وكذا كل من الحسنين رضي الله تعالى عنهما أبهى وأبهج من اللؤلؤ والمرجان بمراتب جاوزت حد الحساب »^(٣).

ان اعترافه الصادق بمنزلة هؤلاء العظماء امر حسن في ذاته، على شرط ان لا يكون غرضه سلب قيمة الروايات اعلاه!

١- نفس المصدر، ص ٢٣٠.

٤ و ٥- الدر المنثور: ج ٦، ص ١٤٣.

٣- روح المعاني: ج ٣٧، ص ٩٣ (ذيل آيات البحث).

ولعل الأوسي تناسى ان هذا الحديث روي عن النبي (ﷺ)، بطرق عديدة، وان النبي (ﷺ) له كامل الصلاحية في تأويل الآيات، وان مقارنته بتأويلات الصوفيين الموضوعة والمنحرفة التي تفتقد للسند مقارنة مجحفة لا تتناسب وشأن العالم.

على أي حال ، فهذه الآية من الآيات التي تدلل على الفضل العظيم والمقام الرفيع لعلي وزوجته وولديهما الحسن والحسين (عليهما السلام)، لانها شبهت علياً وفاطمة (عليهما السلام) ببحرين عظيمين، البحر الذي يكشف عن عظمة الباري جل وعلا، والذي يعتبر مصدراً للبركات ، ومنطلقاً للعلوم والمعارف الزاخرة، ومظهراً بارزاً لفضائل الاخلاق كالجود والسخاء والطهارة والعصمة، وتشبه ولديهما باللؤلؤ النفيس الذي لانظير له، الذي ينمو في اعماق البحر، ثم يبرز الى الخارج، تكامل فيه الحسن والجمال، ظاهرياً وباطنياً، والعلم والتقوى والفضيلة والطهارة والعصمة.

افاي شخص تشاهد فيه كل هذه المناقب؟ ومن اكثر جدارة بخلافة

النبي (ﷺ) غير علي واولاده (عليهم السلام) ، وكم مروا من هذه المناقب مرور الكرام !

١٧- آية النجوى

ورد في الآيتين ١٢ و ١٣ من سورة المجادلة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَ ذَلِكَ
خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا
بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

من القرائن المتوفرة في هاتين الآيتين ، وكذلك من شأن النزول الذي اورده
الكثير من المفسرين من بينهم المرحوم « الطبرسي » في « مجمع البيان » ، و « الفخر
الرازي » في « التفسير الكبير » ، و « القرطبي » في تفسير « الجامع لاحكام القرآن » ، و
ال«لوسي » في « روح المعاني » ، وغيرهم يستفاد ان نفراً من المسلمين وكما يقول
بعض المفسرين انهم جماعة من الاغنياء والاثرياء كانوا يناجون رسول الله (ﷺ)
في ابسط الامور من اجل الحصول على مكانة لهم لدى الناس ، غافلين عن حقيقة ان
وقت النبي (ﷺ) ائمن من ان يضيعها شخص من اجل قضايا بسيطة أو لا أهمية
لها، اصف الى ذلك ان هذا الأمر كان يؤدي الى انزعاج المستضعفين ، وتمييز
الاغنياء ، واحياناً كان يبعث على التشاؤم .

فنزلت أول آية من الآيتين اعلاه تأمر المسلمين ان : ﴿ اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾ ، فخلق هذا الابعاز اختباراً لطيفاً ، وكان محكاً للذين يزعمون قربهم من النبي (ﷺ) ، فقد أبى الجميع اعطاء الصدقة والنجوى سوى شخص واحد وهو أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) . هنا تبين ما كان يجب ان يوضح ويفهمه المسلمون ويعتبروا به ، واخذوا منه الدرس البليغ .

وبعد مدة وجيزة نزلت الآية الثانية ، ونقضت هذا الحكم واصبح معلوماً استحكام حب المال في قلوب البعض من الرغبة في نجوى النبي (ﷺ) ، وان هذه النجوى غالباً ما كانت بشأن الامور غير الضرورية ، وكان القصد منها الحصول على الوجاهة الاجتماعية .

وقد وردت هنا روايات عديدة مفادها ان علياً هو الرجل الوحيد الذي عمل بهذه الآية .

روي في شواهد التنزيل عن مجاهد ، عن علي (عليه السلام) انه قال : « ان في القرآن لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا بعدي وهي آية النجوى ، قال : كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما اردت أن أناجي النبي (ﷺ) تصدقت بدرهم منه ثم نُسخت »^(١) .

ونقل في رواية اخرى عن أبي ايوب الانصاري قال : نزلت هذه الآية في علي : ﴿ يا أيها الذين ... صدقة ﴾ ، ان علياً ناجى النبي (ﷺ) عشر نجوات ، يتصدق في كل نجوة بدينار^(٢) .

وجاء في نفس الكتاب ايضاً في رواية أخرى عن مجاهد ان في القرآن آية لم يعمل بها أحد غير علي بن ابي طالب (عليه السلام) حتى نُسخت ، وهي : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول ... ﴾ ، فهو قد ناجى رسول الله (ﷺ) وتصدق بدينار^(٣) .

١ - شواهد التنزيل : ج ٢ ، ص ٢٣١ ، الحديث ٩٥١ .

٢ - شواهد التنزيل : ج ٢ ص ٢٤٠ ، حديث ٩٤٦ .

٣ - نفس المصدر : ج ٢ .

ونقلت في هذا الكتاب روايات أخرى عديدة بهذا الصدد تُناهز عشر روايات ! وذكر السيوطي في تفسيره الروائي « الدر المنثور » هذه الرواية ايضاً بطرق عديدة (اكثر من سبع طرق) ، لا سيما انه ينقل عن « الحاكم النيشابوري » باقراره ان هذا الحديث صحيح ، عن علي (عليه السلام) : « ان في كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلي ولا احد بعدي » ، ثم ذكر بقية الحديث كما ذكرنا اعلاه عن شواهد التنزيل ^(١) .

وفي الكتاب نفسه ينقل عن الكثير من الرواة عن علي (عليه السلام) : « ان رسول الله (ﷺ) استشار علياً بشأن تحديد مقدار هذه الصدقة (قائلاً : ماترى ديناراً ، قلت : لا يطيقونه ، قال : فنصف دينار قلت : لا يطيقونه ، قال : فكم ، قلت : قلت : شعيرة قال : انك لزهد ، قال : فنزلت ءأسفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ، قال : فبي خفف الله عن هذه الأمة » ^(٢) .

وهناك رواية لطيفة بهذا الصدد ينقلها « البرسوني » في تفسير « روح البيان » عن « عبد الله بن عمر » حيث كان يقول : (كان لعلي (عليه السلام) ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كان أحب الي من حمر النعم ، تزويجه فاطمة (عليها السلام) ، واعطاؤه الراية يوم خيبر ، وآية النجوى) ^(٣) .

واورد الزمخشري ذلك ايضاً في « الكشف » ^(٤) .

وكذلك القرطبي في تفسير « الجامع لاحكام القرآن » ^(٥) .

والطبرسي في « مجمع البيان » ^(٦) .

وفي الحقيقة ان « عبد الله بن عمر » اشار الى ثلاث قضايا مهمة وهي : ان

١ - الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١٨٥ .

٢ - الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١٨٥ .

٣ - تفسير روح البيان : ج ٩ ، ص ٤٠٦ .

٤ - الكشف : ج ٤ ، ص ٤٩٤ (ذيل آيات البحث) .

٥ - تفسير القرطبي : ج ٩ ، ص ٦٤٧٢ .

٦ - مجمع البيان : ج ٩ و ١٠ ، ص ٢٥٢ .

فاطمة (عليها السلام) وكما يعبر النبي (ﷺ) « سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين » ،
لم يكن لها كفؤ سوى علي (عليه السلام) اذ كان رجل التاريخ بعد النبي (ﷺ) .

وقضية اعطاء الراية يوم خيبر ، واحرازه للقب « كرار غير فرار » ، بعد أن تقدم الآخرون وقفلوا خائبين ، والظفر الذي تحقق من خلال ذلك يعد منقبة أخرى لا نظير لها ، وكذلك وجود آية في القرآن ما عمل بها إلا علي (عليه السلام) .

والمدحش ان البعض يصرون على التقليل من أهمية هذه المنقبة ، بل انكار كونها منقبة بشكل تام ! وكالمعتاد فانهم يتوسلون بمختلف المبررات والعلل الواهية ، والتي لا اساس لها .

فتارة يدعون ان كبار الصحابة لما يقوموا بهذا العمل فلأنهم لم يروا حاجة اليها ! وأخرى يقولون : لم يكن لديهم متسع من الوقت لأن الآية سرعان ما نُسخت ! وحيناً يقولون : ان الآخرين كانوا يظنون ان اعطاء الصدقة والنجوى يؤدي الى انزعاج الفقراء وذعر الاغنياء ، والفقراء عاجزون عن القيام بمثل ذلك ، والاغنياء القادرون على ذلك يخشون التعرض للتأنيب اذا تركوه ، وعلى هذا الاساس فان عدم عمل الآخرين بهذه الآية لا يسلب الفضل عنهم^(١) .

ولكن ، يبدو ان هؤلاء المفسرين الكبار ! قد نسوا الآية الثانية خلال اختلاقيهم لهذه المبررات ، اذ وجه القرآن الكريم اللوم لمن تناجوا آنفاً وتركوا ذلك بعد نزول حكم الصدقة ، فيقول تعالى : ﴿ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيَّ نَجَواتِكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ . ثم يعد القرآن هذا الفعل وكأنه معصية ، ويعتبرهم اجمالاً مشمولين بالتوبة ﴿ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ، ومن اجل تلافي هذا العمل القبيح أمرهم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة واطاعة الله ورسوله .

فلو كان الوقت ضيقاً لما كان هناك ما يدعو للتأنيب واللوم ، ولا حاجة للتوبة ،

واذا كان هدفهم استقطاب قلوب الفقراء وازالة الاضطراب عن قلوب الاغنياء فهو عمل يستحق التشجيع والتكريم ، فلماذا يوجه الباري تعالى اللوم لهم ويتحدث عن التوبة ؟ اذن من خلال التأمل في هذه الآية يتبين جيداً ان عملهم كان قبيحاً .

فالواقع ان القضايا الواقعة لا تتفق والحكم المسبق لهؤلاء الاخوة ، فان كل شيء وحتى آيات القرآن الكريم يلقها النسيان ، والحال انها شاخصة امامهم .

وهنا يقول البعض من اجل التقليل من أهمية هذه الفضيلة : لقد كان الفاصل الزمني بين نزول آية النجوى ونسخها ساعة واحدة فقط ، لهذا لم يفلح كبار الصحابة بالعمل بها ، فهؤلاء من الناسين ايضاً ، حيث لم ينتبهوا الى لحن آية النسخ ، الآية التي توجهت الى بعض الصحابة باللوم لتركهم الصدقة خشية الاملاق ، وتغاضوا عن النجوى ، والآن فان الله تعالى يقبل توبتهم .

فاذا كان الفاصل الزمني بينهما ساعة واحدة فقط لن يبق مجال لهذه الجدالات ، وعليه فمن المناسب أن تكون هناك رواية تقول : ان الفاصل الزمني بينهما كان عشرة أيام^(١) .

سؤال :

السؤال الوحيد الذي يبقى ههنا هو : كيف يعد هذا العمل فضيلة ؟ وهل الأمر كما يقول بعض المتعصبين من المفسرين : ان لا العمل بها يعد فضيلة ولا تركها منقصة ؟

أم ان الأمر كما جاء في الروايات الاسلامية من ان علياً (عليه السلام) كان يعتبرها منقبة عظيمة بالنسبة له ، وان عبد الله بن عمر كان يعد الزواج من فاطمة (عليها السلام) سيدة

١ - في تفسير روح المعاني : نقل هذا القول عن مقاتل الذي كان معاصراً للمنصور الدوانيقي ، ومن تلامذة التابعين .

النساء وفتح خير منقبة ؟

لقد تبين الجواب على هذا السؤال خلال البحوث المتقدمة ، ونضيف : ان افضل طريق للعثور على الاجابة على هذا السؤال هو الرجوع الى القرآن الكريم والتمعن والتمعن في الآية الناسخة (الثانية) ، فهذه الآية تثبت ان الله تعالى كان يريد بهذا الحكم اختبار المسلمين ، هل انهم على استعداد لدفع شيء ما من اجل النجوى مع النبي (ﷺ) - حيث كانوا يزعمون انها تجري من اجل مصالح المسلمين - ، وان يتصدقوا في سبيل الله ؟

وهنا يخرج شخص واحد ظافراً من هذا الاختبار ، وهو علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، أليس هذا هو الفخر بعينه ؟

وبعبارة اخرى : فان جميع الناس شملهم التأنيب والتوبيخ والتوبة الواردة في هذه الآية ، والوحيد الذي لم يشمله هذا التوبيخ هو علي (عليه السلام) ، فلماذا ياترى يُنكر بعض العلماء حقائق بهذا الجلاء والوضوح ؟ اجيبوا انتم ؟!

١٨- آية السابقون

نقرأ في سورة الواقعة : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ (الواقعة : ١٠ - ١٤) .

روي في تفسير « شواهد التنزيل » لـ « الحاكم الحسكاني » عن « ابن عباس » : « السَّابِق ثلثة : سَبَقَ يوشع بن نون الى موسى ، وسَبَقَ صاحب ياسين الى عيسى ، وسَبَقَ علي النبي ﷺ »^(١) .

وروي في الكتاب نفسه عن « ابن عباس » قوله : سألت رسول الله ﷺ عن تفسير هذه الآية ، فقال : « حدثني جبرئيل بتفسيرها ، قال ذاك علي وشيعته الى الجنة »^(٢) .

هذان التفسيران لا يتعارضان مع بعضهما ، لان علياً (عليه السلام) كان سَبَّاقاً الى الايمان بالنبي ﷺ وكذلك فهو سَبَّاقٌ الى الجنة ، وفي الحقيقة ان بينهما ارتباط والتحام لا ينفك ابداً .

١ - شواهد التنزيل : ج ٢ ، ص ٢١٣ ، الحديث ٩٢٤ .

٢ - نفس المصدر : ص ٢١٥ و ٢١٦ ، الحديث ٩٢٧ .

وفي الكتاب نفسه نُقلت عدة احاديث أخرى في هذا الصدد .

وفي تفسير « الدر المنثور » ايضاً نُقلت روايتان عن « ابن عباس » في هذا المجال ، في احدهما ينقل « ابن ابي حاتم » ، و « ابن مردويه » عن « ابن عباس » في تفسير هذه الآية ، قال : يوشع بن نون سبق الى موسى ومؤمن آل ياسين سبق الى عيسى وعلي بن ابي طالب سبق الى رسول الله (ﷺ) ^(١) .

وفي الكتاب نفسه ينقل حديثاً آخر بنفس المضمون ^(٢) .

ومن الذين نقلوا هذه الرواية هو « ابن المغازلي » (على ضوء نقل ابن البطريق) في كتاب « العمدة » ، و « سبط ابن الجوزي » في « التذكرة » ، و « ابن كثير » في « تفسيره » ، و « ابن حجر » في « الصواعق » ، و « العلامة الشوكاني » في « فتح القدير » ، و « الشيخ سليمان القندوزي » في « ينابيع المودة » ^(٣) .

والمسألة الجديرة بالاهتمام ايضاً هي ان « القاضي روزبهان » الذي يتّصف بتعصب خاص في القضايا المتعلقة بالامامة والخلافة ، وكتابه المسمى « ابطال نهج الحق » شاهد على هذا المعنى يقول في معرض اجابته للعلامة الحلّي بشأن هذه الآية (حيث ينقل العلامة الحلّي في كتابه ، عن طريق أهل السنة عن ابن عباس سابق هذه الامة علي بن ابي طالب) في كتابه « ابطال نهج الحق » : هذا الحديث جاء في روايات أهل السنة ولكن بهذه العبارة : « سبّاق الامة ثلاثة : مؤمن آل فرعون ، وحبيب النجار ، وعلي بن ابي طالب » ثم يضيف : ولاشك ان علياً عليه السلام ، وصاحب السابقة والفضائل التي لا تحصى ، ولكن لا تدل الآية على نص بامامته ^(٤) . ولكن ينبغي الالتفات الى عدم قول أي أحد بان هذه الاحاديث لوحدها تعني

١- الدر المنثور: ج ٦، ص ١٥٤ .

٢- الدر المنثور: ج ٦، ص ١٥٤ .

٣- احقاق الحق: ج ٣، ص ١١٤ - ١٢٠ .

٤- احقاق الحق: اورد نصّ عبارته في ج ٣ ص ١٢١ .

النص على إمامة علي بن أبي طالب (عليه السلام). بل الغرض أننا عندما نستجمع هذه الآيات والروايات مع بعضها نرى أن علياً (عليه السلام) ابرز شخص في الأمة الإسلامية كان لائقاً لهذا المقام، ولا يلحقه أحد في هذا المجال.

فهل من المناسب أن نقدم غيره عليه مع كل هذه المناقب التي لا تقبل الإنكار، ونتبع غيره مع وجوده؟!

نستأنف هذا البحث بذكر أمرين :

١- مَنْ المقصود من : « قليل من الآخرين » ؟

في سياق الآيات المتقدمة، وبعد ذكر القرآن الكريم لمنزلة السابقين الرفيعة على أنهم المقربين لدى الله تعالى وأن منزلتهم في جنات النعيم، يضيف : « ثلثة من الاولين وقليل من الآخرين » (الواقعة : الآية ١٣ و ١٤).

ينقل الحاكم الحسكاني في « شواهد التنزيل » عدة روايات عن « محمد بن فرات »، و « محمد بن سهل »، و « علي بن عباس » عن « جعفر بن محمد (عليه السلام) » أنه قال في تفسير آية « وقليل من الآخرين » هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) ^(١).

من البديهي أن ليس مفهوم الآية أن الجنة هذه الأمة مختصة به، بل أن مقام السبق في الإيمان يستدعي مقامات سامية في الجنة والقرب من الله تعالى حيث يختص بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) (بعد النبي ﷺ).

من هنا ففي الآيات اللاحقة من هذه السورة التي توضح منازل ومزايا طائفة أخرى من أهل الجنة (أصحاب اليمين)، يقول تعالى في آخر المطاف : « ثلثة من الاولين - وثلثة من الآخرين ».

واضح ان اصحاب اليمين وان كانوا من أهل الجنة إلا انهم يُدانون « المقربين من السابقين » .



٢- مَنْ هو أول مسلم ؟

هذا بحث مهم « مَنْ هو أول مَنْ آمن » ؟ والبحث حوله لا تخفى أهميته ؟
فقد اتفقت الامة الاسلامية جميعها على ان خديجة الكبرى (عليها السلام) كانت أول مَنْ آمن من النساء ، أما من الرجال فبالرغم من اصرار البعض على تعقيد المسألة وتعريضها للبحث والجدال ، فمن خلال تفحص الاحاديث والتواريخ لا يبقى شك لكل مراقب محايد ، بان علياً بن ابي طالب (عليه السلام) كان أول مؤمن . فهو كان أول مصدق برسول الله (ﷺ) وأول مَنْ بايعه ، وأول مَنْ صَلَّى معه .
ان القرائن والادلة على هذه القضية متوفرة في جميع المصادر الاسلامية حيث نشير فيما يأتي الى جانب منها :

لقد روى - ما لا يقل عن ثمانية عشر من الصحابة وبطرق مختلفة - هذا الحديث عن رسول الله (ﷺ) بان علياً (عليه السلام) كان أول مَنْ آمن من الرجال وصلى مع النبي (ﷺ) :

١- يقول ابو سعيد الخدري وهو من كبار الصحابة : ان رسول الله (ﷺ) ضرب على كتف علي (عليه السلام) وقال : « يا علي لك سبع خصال لا يحاجك فيهن أحد يوم القيامة انت أول المؤمنين ايماناً بالله ... »^(١) .

٢- تقول عائشة : نقلت فاطمة (عليها السلام) هذا الحديث عن رسول الله (ﷺ) انه

١- اورد هذا الحديث « ابو نعيم الاصفهاني » في « حلية الاولياء » : ج ١ ، ص ٦٦ .

قال لها: « زَوْجَتُكَ أَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ عِلْماً وَأَقْدَمَهُمْ سِلْماً وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً »^(١).

٣- يقول ابن عباس : سمعت « عمر بن الخطاب » يقول :

كفوا عن ذكر علي بن ابي طالب فقد رأيت من رسول الله (ﷺ) فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة فهي في آل الخطاب أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من اصحاب رسول الله (ﷺ) فانتهيت الى باب ام سلمة ، وعلي قائم على الباب فقلنا : اردنا رسول الله (ﷺ) ، فقال : يخرج اليكم ، فخرج رسول الله (ﷺ) فصرنا اليه فاتكأ على علي بن ابي طالب ثم ضرب بيده منكبه ، ثم قال : « إِنَّكَ مُخَاصِمٌ تَخَاصِمُ ، أَنْتَ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَأَوْفَاهُمْ بَعْدَهُ ، وَأَقْسَمُهُمْ بِالسُّوْيَةِ ، وَأَرَأَيْتُمْ بِالرَّعِيَةِ وَأَعْظَمُهُمْ رِزِيَةً »^(٢).

ان هذا الحديث يكشف عن قضايا كثيرة لا يستوعبها هذا البحث .

٤- يروي « معاذ بن جبل » عن رسول الله (ﷺ) أنه قال لعلي (عليه السلام) : « تَخْصُمُ النَّاسَ بِسَبْعٍ لَا يَحَاجُكَ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْتَ أَوَّلُهُمْ إِيمَاناً بِاللَّهِ »^(٣).

٥- تروي « أسماء بنت عميس » زوجة جعفر بن ابي طالب ، ان رسول الله (ﷺ) قال لفاطمة : « زَوْجَتُكَ أَقْدَمُهُمْ سِلْماً وَأَعْظَمُهُمْ حِلْماً وَأَكْثَرُهُمْ عِلْماً »^(٤).

٦- يقول سلمان الفارسي : ان رسول الله (ﷺ) قال : « أَوْلَكُمْ وَرُوداً عَلَى الْحَوْضِ ، أَوْلَكُمْ إِسْلَاماً عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) »^(٥).

٧- يقول « ابو سخيطة » حججت مع سلمان فنزلنا بابي ذر فكنا عنده ما شاء

١- ينقل هذا الحديث « ابن عساكر » في « تاريخ دمشق » في ترجمة الامام علي (عليه السلام) ج ١ ، ص ٢٤٤ ، طبعة بيروت .

٢- كنز العمال : ج ١٣ ، ص ١١٧ (طبعة بيروت - مؤسسة الرسالة) .

٣- اورد هذا الحديث شهاب الدين الحسيني الشافعي في كتاب « توضيح الدلائل » ص ١٧١ (حسب نقل احقاق الحق : ج ٢٠ ، ص ٤٥٥) .

٤- تاريخ ابن عساكر : ج ١ ، ص ٢٤٥ ، طبعة بيروت .

٥- اورد هذه الرواية محمد بن ابي بكر في كتاب « الجوهرة » ، ص ٨ طبعة دمشق ، ونقلها صاحب كتاب كنز العمال ايضاً دون ذكر سندها ، ج ١١ ص ٦١٦ ، (طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت) .

الله ، فلما حان منا خفوف قلت : يا أبا ذر اني ارى أموراً قد حدثت واني خائف ان يكون في الناس اختلاف فان كان ذلك فما تأمرني ؟ قال : الزم كتاب الله عزوجل وعلي بن ابي طالب فأشهد اني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : علي أول من آمن بي ، وأول من يضافحني يوم القيامة ، وهو الصديق الأكبر وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل ^(١).

٨- يقول عبد الرحمن بن عوف في حديث في ذيل آية «السابقون الاولون» ، كانوا عشرة انفار من قريش : « كان اولهم اسلاماً علي بن ابي طالب (عليه السلام) » ^(٢).

٩- ينقل جمال الدين ابو الحجاج في كتاب « تهذيب الكمال » عن « ابو رافع » من اصحاب رسول الله (ﷺ) : « أول مَنْ اسلم من الرجال علي (عليه السلام) » ^(٣).

١٠- يروي انس بن مالك خادم رسول الله انه (ﷺ) قال : « أول هذه الامة وروداً على الحوض أولها اسلاماً ، علي بن ابي طالب (عليه السلام) » ^(٤).

١١- يقول ابن عباس يمتاز علي (عليه السلام) بربع خصائص لسن في احد غيره : هو اول عربي وعجمي صلى مع رسول الله (ﷺ) ^(٥).

ويقول في موضع آخر : « أول مَنْ اسلم بعد خديجة ، علي بن ابي طالب (عليه السلام) » ^(٦).

١٢- ينقل المحدث المعروف النسائي في كتاب « السنن » عن زيد بن ارقم انه قال : « أول مَنْ اسلم مع رسول الله (ﷺ) علي بن ابي طالب (عليه السلام) » ^(٧).

١- مختصر تاريخ دمشق : ج ١٧ ، ص ٣٠٦ (طبعة دمشق دار الفكر) ، حسب نقل احقاق الحق : ج ٢٠ ، ص ٤٧٢ ، واورد هذا الحديث كنز العمال من عبارة (ان هذا اول من آمن بي الى الاخير) في ج ١١ ، ص ٦١٦ ، الحديث ٣٢٩٩٠.

٢- مختصر تاريخ دمشق : ج ١٧ ، ص ٣٠٧ ، تأليف الامام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور .

٣- تهذيب الكمال : ج ٣ ، ص ٨٥ ، (طبقاً لنقل احقاق الحق : ج ٢٠ ، ص ٣٦٧) .

٤- اورد هذا الحديث ابن عديم الحلبي وهو من علماء القرن السابع الهجري ، في كتابه تاريخ حلب ص ٢٩٥

٥- المختار في مناقب الابرار : ص ١٦ ، طبقاً لنقل احقاق الحق : ج ٢٠ ص ٤٥٧ .

٦- ورد هذا الحديث في كتاب آل محمد : ص ١٧٤ ، عن حسام الدين الحنفي .

٧- احقاق الحق : ج ٢٠ ، ص ٤٧٥ .

١٣- ينقل ابو احمد الجرجاني الشافعي في كتاب « الكامل في الرجال » عن مالك بن الحوريث « انه قال : « كان علي اول من اسلم من الرجال وخديجة اول من اسلم من النساء »^(١).

١٤- تقول ليلى الغفارية ، وهي امرأة كانت تداوي جرحى الحرب في عصر الرسول الاكرم (ﷺ) : خرجت مع علي (عليه السلام) بالبصرة فلما رأيت عائشة واقفة دخلني شيء من الشك فاتيتها ، فقلت : هل سمعت من رسول الله (ﷺ) فضيلة في علي ؟ قالت : نعم ، دخل علي على رسول الله (ﷺ) وهو على قريش لي وعليه جرد قطيفة فجلس بينهما فقالت له عائشة : أما وجدت مكاناً هو أوسع لك من هذا ؟ فقال النبي (ﷺ) : يا عائشة دعي لي اخي فانه اول الناس بي اسلاماً وآخر الناس بي عهداً عند الموت وأولى الناس بي يوم القيامة^(٢).

١٥- ينقل احمد بن حنبل - احد الائمة الاربعة لأهل السنة في مسنده - حديثاً عن الصحابي المعروف « معقل بن يسار » : اني كنت ذات يوم جالساً عند الرسول الاكرم (ﷺ) فقال : هل لك في فاطمة (عليها السلام) تعودها ؟ فقلت : نعم ، فقام متوكئاً علي ، فقال : أما انه سيحمل ثقلها غيرك ويكون أجرها لك ، قال : فكانه لم يكن علي شيء حتى دخلنا على فاطمة (عليها السلام) ، فقال لها : كيف تجدينك ؟ قالت : والله لقد اشتد حزني ، واشتدت فاقتي وطال سقمي قال : أوما ترضين اني زوجتك أقدم امتي سلماً وأكثرهم علماً واعظمهم حلاًماً^(٣).



تجدد الإشارة الى ان هذا الحديث اورده ابن ابي الحديد في « شرح نهج البلاغة

١- الكامل في الرجال : ج ٦ ، ص ٢٣٧٨ ، طبع دار الفكر بيروت .

٢- نقل هذا الحديث محمد بن مكرم الانصاري في كتاب « مختصر تاريخ دمشق » ج ١٧ ، ص ٣٠٨ .

٣- مسند احمد : ج ٥ ، ص ٢٦ طبع دار الصادر .

ج ٣ ص ٢٥٧ ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق ج ١ ، ص ٢٣٢ ، والهيتمي في « مجمع الزوائد ج ٩ ، ص ١٠١ ، والمتقي الهندي في « كنز العمال ج ١٢ ، ص ٢٠٥ ، واورده جمع آخر من علماء السنة في كتبهم .

١٦ - يقول عبد الله بن صامت (ثابت) وهو من صحابة الرسول (ﷺ) : دخلنا يوماً على رسول الله فقلنا : « من احب اصحابك اليك ؟ فان كان امر كنا معه ، وان كان ناسئة كنا دونه ، قال هذا علي اقدمكم سلاً واسلاماً »^(١) .

يظهر جلياً من هذا الحديث بان « عبد الله بن ثابت » واصحابه كانوا يبحثون عن رجل افضل الناس جميعاً بعد النبي (ﷺ) للامامة والولاية ، ف اشار النبي (ﷺ) الى الامام علي (عليه السلام) معرفاً اياه لتحمل هذا الامر .

١٧ - وينقل « بريدة » وهو صحابي من صحابة النبي (ﷺ) قصةً مشابهة لقصة « معقل بن يسار » . حيث نقرأ في نهاية تلك القصة ان الرسول الاكرم (ﷺ) واسى فاطمة الزهراء (عليها السلام) وقال :

« اما ترضين ان الله زوجك من أقدم امتي اسلاماً واغزرهم علماً وافضلهم حلاًماً ؟ ثم يضيف : قال رسول الله (ﷺ) : والله « ان ابنك سيدا شباب اهل الجنة »^(٢) .

١٨ - الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) نقل بنفسه هذا المعنى في حديثه المقبول من قبل الجميع ، وقد ورد في كتاب « الجوهرة » تأليف محمد بن ابي بكر الانصاري : ان الامام علي (عليه السلام) قال على منبر البصرة : « انا الصديق الاكبر ، آمنت قبل ان يؤمن أبو بكر ، واسلمت قبل ان يسلم »^(٣) .

١ - نقل هذا الحديث احمد بن مردويه في كتاب المناقب (احقاق الحق) : ج ١٥ ، ص ٣٣٦ .

٢ - اورد هذا الحديث « ابن عساكر » في « تاريخ دمشق » في كتاب « ارجح المطالب » تأليف العلامة المرت سري . ص ١٠٧ و ٣٩٦ فقط .

٣ - الجوهرة : ص ٨ ، طبعة دمشق ، وقد نقل هذا المعنى طائفة أخرى مثل « ابو احمد الجرجاني » في كتاب « الكامل في الرجال » ج ٣ ، ص ١١٢٣ ، و « توضيح الدلائل » ص ١٧١ ، و « مختصر تاريخ دمشق » وغيرها .

كذلك ينقل « الشيخ محمد بن مكرم الانصاري » في كتابه « مختصر تاريخ دمشق » عن الامام انه قال : انا أوّل مَنْ أسلم^(١) .

وهناك موارد متعددة في « نهج البلاغة » تستند على هذا المعنى ، منها ان الامام يقول في الجملة رقم ١٣١ : « اللهم اني اول مَنْ أناب وسمع وأجاب ، لم يسبقني إلا رسول الله ﷺ بالصلاة »^(٢) .

تجدد الإشارة الى اننا خرجنا بعض الشيء في هذا البحث عن اسلوبنا في هذا التفسير واسهنا في الحديث ، إلا ان أهمية المسألة أوجبت علينا التوسّع في البحث أكثر مما ينبغي .

على اي حال نختم هذه الروايات والروايات التي اوردها « ابن هشام » في تاريخه المعروف « السيرة النبوية » مع الاعتراف بهذه الحقيقة ، ان المواضيع غير المطروقة كثيرة في هذا الباب .

انه ينقل ان الرسول الاكرم (ﷺ) في اوائل ايام الاسلام كان يذهب الى بعض مفاوز مكة عند دخول وقت الصلاة لاداء الصلاة ، ويرافقه علي بن ابي طالب - خفية - فقط ... وذات يوم قال له ابوه ابو طالب : يا ولدي ما هذا الدين الذي انت عليه؟ قال : يا ابت ! آمنت بالله وبرسول الله ، وصدّقته بما جاء به ، وصليت معه لله واتبعته ، فقال له : أما انه لم يدعك إلا الى خير فالزمه^(٣) .



ان اسبقية ايمان علي (عليه السلام) من الوضوح والجلاء بحيث ان جمعاً من الشعراء المعروفين ذكروه في اشعارهم كواحدٍ من مناقب الامام علي (عليه السلام) ومفاخره .

١ - مختصر تاريخ دمشق : ج ١٧ ، ص ١١٨ .

٢ - ورد هذا المعنى في الخطبتين ٧١ و ١٩٢ ايضاً .

٣ - سيرة ابن هشام : ج ١ ، ص ٢٦٣ ، (طبع دار احياء التراث العربي) .

يقول احدهم في هذا المجال :

أليس أول مَنْ صَلَّى لقبلكم وأعلم الناس بالقرآن والسنن؟
ويقول آخر:

فهذا وفي الاسلام أوّل مسلمٍ وأوّل مَنْ صَلَّى وصام وهللاً
وينقل المرحوم « العلامة الاميني » في « الغدير » بعد ذكره لعشرة شعراء انهم
انشدوا هذا المعنى في طبقات اشعارهم^(١).
وجدير بالذكر ايضاً ان العلامة الاميني ينقل في ذلك الكتاب أكثر من مائة
حديث آخر عن « الرسول الاكرم ﷺ »، و « أمير المؤمنين عليه السلام »، و « الصحابة »، و
« التابعين »، و « المؤرخين »، و « المحدثين »، كلها تنصّ على ان علياً (عليه السلام) اول مَنْ
آمن برسول الاسلام (ﷺ) من الرجال .

سؤال واحد فقط !

بقي هنا سؤال معروف كان مطروحاً بين بعض « المرجفين » منذ القرون الاولى
لظهور الاسلام ، وهو « صحيح ان علياً عليه السلام اول مَنْ اسلم من الرجال ، ولكن : هل
يصح اسلام غلام في العاشرة من عمره ؟ » ولو سلّمنا بجعل زمان بلوغه معياراً فان
جمعاً آخر آمنوا بالاسلام قبله على هذا الاساس .

الجواب

من المناسب ان نورد هنا المحاجة التي جرت بين « المأمون » الخليفة
العباسي ، مع احد علماء أهل السنة المعروفين في عصره ويدعى « اسحاق » ، وقد
اورد هذا الحديث « ابن عبد ربه » ، في « العقد الفريد » .

اذ قال له « المأمون » : يا اسحاق اي الاعمال كان افضل يوم بعث الله رسوله ؟ قال اسحاق : الاخلاص بالشهادة ، قال المأمون : اليس سبق الى الاسلام ؟ قال اسحاق : نعم ، قال المأمون : فهل علمت احداً سبق علياً الى الاسلام ؟ قال اسحاق : ان علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم ، وابو بكر اسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم ... فقال المأمون : اخبرني عن اسلام علي حين أسلم ؟ فهل يخلو رسول الله (ﷺ) حين دعاه الى الاسلام من ان يكون دعاه بأمر الله او تكلف ذلك من نفسه ؟ ثم قال : يا اسحاق لا تنسب رسول الله الى التكلف فان الله يقول : وما أنا من المتكلفين ، قال اسحاق : دعاه بأمر الله . قال المأمون : فهل من صفة الجبار جلّ ذكره أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم قد تكلف رسول الله (ﷺ) من دعاء الصبيان مالا يطيقون ... أترى هذا جائزاً عندك ان تنسبه الى رسول الله (ﷺ) ؟ قال اسحاق : أعوذ بالله^(١) .

ويضيف المرحوم العلامة الاميني (رحمته) بعد نقله هذا الحديث من « العقد الفريد » : قال ابو جعفر الاسكافي المعتزلي المتوفي سنة ٢٤٠ في رسالته : قد روى الناس كافة افتخار علي (عليه السلام) بالسبق الى الاسلام وان النبي (ﷺ) استنبت يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء ، وانه كان يقول : صليت قبل الناس سبع سنين وانه مازال يقول : انا أول من اسلم ويفتخر بذلك ويفتخر له به اولياؤه ، وما دحوه ، وشيعته في عصره ، وبعد وفاته ، والأمر في ذلك أشهر من كل شهير ، وقد قدمنا منه طرفاً وما علمنا أحداً من الناس فيما خلا استخف باسلام علي (عليه السلام) ، ولا تهاون به ، ولا زعم انه أسلم إسلام حدث غريب وطفل صغير ، ومن العجب ان يكون مثل العباس وحمزة ينتظران أبا طالب وفعله ليصدوا عن رأيه ، ثم يخالفه علي ابنه لغير رغبة ولا رهبة

يؤثر القلة على الكثرة^(١).

وخلاصة الحديث توضح من خلال النقاط التالية :

اولاً: ان رسول الاسلام (ﷺ) قَبِلَ اسلام علي (عليه السلام)، وَمَنْ لم يَقَرَّ باسلامه في ذلك السن، فانه في الواقع انما يُشكل على الرسول الاكرم (ﷺ).

ثانياً: من خلال الروايات المشهورة التي تمت الاشارة اليها آنفاً ورد في قصة يوم الدار ان الرسول الاكرم (ﷺ) اعدَّ طعاماً ودعا عشيرته الاقربين من قريش لتناول الطعام ودعاهم للاسلام وأنَّ : اول من يلبي دعوته (ﷺ) في الدفاع عن الاسلام سيكون اخاه ووصيه، فلم يلب احد دعوته (ﷺ) سوى علي بن ابي طالب، حيث قال (عليه السلام) : « انا عينك وابايك » فقال (ﷺ) : « انت اخي ووصي وخليفتي من بعدي »^(٢).

فهل يصدّق احد ان الرسول الاكرم (ﷺ) يتخذ - من لم يبلغ في ذلك اليوم سن البلوغ، ولم يكن اسلامه مقبولاً ايضاً بعد حسب قول المرجفين - أخاً ووصياً وخليفة له من بعده ويدعو الآخرين لمؤازرته الى ان يصل الامر ليقول رؤوس الشرك لابي طالب مستهزئين : يجب ان تسمع لابنك وتؤازره .

ان سن البلوغ ليس شرطاً في صحة الاسلام بدون ادنى شك، فكل صبي مميز عاقل بما فيه الكفاية يؤمن بالاسلام على فرض عدم اسلام أبيه، يفصل عن أبيه ويحتسب في زمرة المسلمين .

ثالثاً: يستفاد من القرآن الكريم بان البلوغ ليس شرطاً حتى في النبوة، وان بعض الانبياء بلغوا هذا المقام في سن الطفولة، كما يقول تعالى بخصوص النبي يحيى

١ - التفسير : ج ٣، ص ٢٣٧.

٢ - اوردنا اسناد هذه الرواية بشكل مفصل في نهاية حديث يوم الدار.

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢).

وقد جاء كذلك في قصة عيسى (عليه السلام) انه قال بصريح الكلام حين طفولته: ﴿إني عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: ٣٠).

واكثر من هذه الامور جميعاً ان رسول الاسلام (ﷺ) قَبِلَ علياً (عليه السلام) حتى انه اتخذه في يوم الدار اخاً ووصياً ووزيراً وخليفة له من بعده .

وعلى اي حال فان الروايات التي تقول بان علياً (عليه السلام) هو اول مَنْ قَبِلَ دعوة الرسول (ﷺ) تعد فضيلة لا مثيل لها للامام لا يساويه فيها أحد ، ولهذا السبب فانه افضل الامة لخلافة الرسول (ﷺ) .

١٩- آية «أُذُنٌ وَاعِيَةٌ»

نقرأ في الآية ١٢ من سورة الحاقة قوله تعالى : ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ «لقد كان الهدف هو ان نجعل من نجاة المؤمنين بواسطة سفينة نوح واغراق الكافرين بواسطة الطوفان تذكرة (لكم) لتعيها (والحوادث المشابهة لها) أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (لتنقلها للآخرين فيتعظوا) .

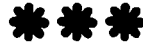
ينقل « السيوطي » في « الدر المنثور » من ستة طرق عن « بريدة » الصحابي المعروف ، عن رسول الله (ﷺ) انه قال لعلي (عليه السلام) : «ان الله امرني ان أدنيك ولا أقصيك، وان أعلمك وأن تعي ، وَحَقُّ لَكَ أَنْ تَعِيَ ، فنزلت هذه الآية : وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ»^(١).

وينقل في نفس ذلك الكتاب عن « ابو نعيم الاصفهاني » في « حلية الاولياء » عن علي (عليه السلام) ان الرسول (ﷺ) قال له ... (ثم يذكر نفس مضمون حديث «بريرة» ، ويضيف في النهاية : « فَأَنْتَ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ لِعَلْمِي »^(٢) .

١- الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٢٦٠ .

٢- الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٢٦٠ .

وينقل ايضاً في نفس ذلك الكتاب من خمسة طرق عن « مكحول » وهو احد خدام النبي (ﷺ) ، عندما نزلت آية « وتعيها أذنٌ واعية » قال الرسول (ﷺ) : « سألت ربي ان يجعلها اذن علي ، قال محكول : فكان علي يقول ما سمعت من رسول الله (ﷺ) شيئاً فنسيته ^(١) .



ونقل « الزمخشري » الحديث الاخير في « الكشاف » ايضاً دون ان يشكل عليه ^(٢) .

ونقل جمع آخر من المفسرين مثل « الفخر الرازي » في « التفسير الكبير » ^(٣) ، و« الألويسي » في « روح المعاني » ^(٤) ، و« البرسوني » في « روح البيان » ^(٥) ، و« القرطبي » في « التفسير الجامع » ^(٦) ، نقلوا جميعاً نهاية الآية بخصوص الحديث الاخير. واورد « الطبري » ايضاً في تفسيره هذا الحديث وطائفة اخرى من الاحاديث بصدد هذا الموضوع ^(٧) .

وقد ذكر « الحاكم الحسكاني » في « شواهد التنزيل » ثلاثة عشر حديثاً في نهاية هذه الآية حيث نقلها من عدة رواة ، وتنتهي سلسلة سندها الى الرسول الاكرم (ﷺ) ، وبعض هذه الاحاديث مروية عن « مكحول » خدام النبي (ﷺ) ، وبعض منها عن « بريدة » ، وبعضها عن شخص « علي بن ابي طالب (عليه السلام) » ، والبعض

١- الدر المنثور: ج ٦، ص ٢٦٠.

٢- الكشاف: ج ٤، ص ٦٠٠.

٣- الفخر الرازي: ج ٣٠، ص ١٠٧.

٤- روح المعاني: ج ٢٩، ص ٤٣.

٥- روح البيان: ج ١٠، ص ١٣٦.

٦- القرطبي: ج ١٠، ص ٦٧٤٣.

٧- الطبري: ج ٢٩، ص ٣٥.

الاخر عن « جابر بن عبد الله الانصاري » ، حيث ستطالعون نماذج من تلك الاحاديث ادناه :

نقرأ في حديث عن « ابو الدنيا » عن علي (عليه السلام) انه عندما نزلت الآية (وتعيها اذن واعية) ، قال لي الرسول الاكرم (ﷺ) : « سألت الله ان يجعلها أذنك يا علي »^(١). ونقرأ في حديث آخر عن « مكحول » انه عندما تلا الرسول (ﷺ) آية «وتعيها اذن واعية» ، التفت الى علي (عليه السلام) وقال : « سألت الله ان يجعلها أذنك »^(٢).

وفي حديث آخر عن « بريدة » اورد مضمون الحديث الذي نقلناه بادىء الامر نصاً^(٣) واخيراً ينقل عن « جابر بن عبد الله الانصاري » انه عندما نزلت الآية الانفة الذكر ، سأل الرسول الله تعالى ان يجعل أذن علي (عليه السلام) (مصداقها الاتم) وتحقق مراد النبي هذا^(٤).

ونقل مؤلف كتاب «الفضائل الخمسة» هذا الحديث ايضاً ، اضافة لما ذكر من «كنز العمال» ، و «نور الابصار» ، و «مجمع الزوائد» للهيتمي ، و «اسباب النزول» للواحدي^(٥).

النيجة :

مع الاخذ بنظر الاعتبار ما نقلناه سابقاً بخصوص شروط الامامة والولاية وخلافة الرسول الاكرم (ﷺ) والتي تنص على ضرورة تمتع الائمة الالهيين بالمقدار الكافي والسهم الاعظم من العلم والمعرفة لكي يتمكنوا تحمل مسؤولية قيادة الامة ، وهداية الخلق في أمر الدين والدنيا ، ويحفظوا تعاليم الاسلام وقوانين الله تعالى

١- شواهد التنزيل : ج ٢ ، ص ٢٧١ .

٢- نفس المصدر : ص ٢٧٧ الحديث ١٠١٥ .

٣- شواهد التنزيل : ص ٢٨٢ ، الحديث ١٠٢٢ .

٤- نفس المصدر : ص ٢٨٠ ، الحديث ١٠١٩ .

٥- الفضائل الخمسة : ج ١ ، ص ٣٢٠ و ٣٢١ .

ويحرسوا القرآن والسنة ، ومع الاخذ بنظر الاعتبار ان علياً (عليه السلام) كان الشخص الوحيد من الامة الذي يمتاز بمثل هذه المكانة والموهبة بما يطابق الروايات الأنفة الواردة في تفسير الآية المذكورة ، فقد ثبت لنا دون ادنى شك بانه لم يكن اليق منه لاحراز مقام الامامة والخلافة احد .

٢٠- آية المحبة

نقرأ في الآية ٩٦ من سورة مريم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رَحْمَةً وُودًا ۝ ﴾ .

لهذه الآية دلالة واضحة على ان الايمان والعمل الصالح هما مصدر المحبة بين فئات المجتمع .

اجل للايمان والعمل الصالح جاذبية عجيبة ذلك انها تجذب القلوب نحو بعضها كما يجذب المغناطيس الحديد نحوه ، وحتى الافراد الملوثون والنجسون يستأنسون بالطاهرين والصالحين من الافراد .

ونقلت روايات كثيرة في تفسير هذه الآية الشريفة في المصادر المعروفة لاهل السنة بواسطة عدة رواة عن شخص الرسول الاكرم (ﷺ) تنص على ان هذه الآية نزلت في علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وقد قلنا مراراً بان نزول الآية في احد الافراد ، يراد منه بان ذلك الشخص هو المصداق الاتم لتلك الآية ، ولا يتنافى مع شمولية معنى الآية .

ونتوجه هنا نحو المنابع الاسلامية متناولين جوانب من هذه الروايات بالبحث

والدراسة :

في « شواهد التنزيل » ينقل روايات متعددة عن « البراء بن عازب » ، و « ابو رافع » ، و « جابر بن عبد الله الانصاري » ، و « ابن عباس » ، و « ابو سعيد الخدري » ، و « محمد بن الحنفية » ، و بطرق متعددة على ان هذه الآية نزلت في علي بن ابي طالب (عليه السلام) بان جعل محبته في قلب كل مؤمن .

وجاء في حديث عن ابي سعيد الخدري ان الرسول الاكرم (ﷺ) قال لعلي (عليه السلام) : « يا ابا الحسن ! قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودةً »^(١) .

فنزلت الآية الكريمة : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا » ثم اردف قائلاً : « لا تقلن مؤمناً الا في قلبه حبُّ لعلي بن ابي طالب »^(٢) .
ويلاحظ هذا المعنى في حديث آخر عن « جابر بن عبد الله الانصاري » باختلاف قليل جداً^(٣) .

ونقل هذا المضمون ايضاً عن « البراء بن عازب » عن الرسول الاكرم (ﷺ)^(٤) . وكذلك نقل هذا المعنى عن « محمد بن الحنفية » (بعدة طرق) مع هذا الفارق انه في هذه الروايات وردت محبة ذرية وأهل بيت علي (عليه السلام) الى جانب محبته^(٥) . وقد وردت في هذا الكتاب عشرون رواية تقريباً وكلها تتناول هذا المعنى بطرق متعددة .

ونقل « السيوطي » هذا الحديث ايضاً في « الدر المنثور » بطرقه المختلفة عن «

١ - هذا التعبير اشارة للآية ٨٧ من هذه السورة التي تقول حول مسألة الشفاعة انهم لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً .

٢ - شواهد التنزيل : ج ١ ص ٣٦٥ ، الحديث ٥٠٤ .

٣ و ٤ - نفس المصدر : ص ٣٥٩ ، الحديث ٤٨٩ و ٤٩٠ .

٥ - شواهد التنزيل : ج ١ ، ص ٣٦٦ و ٣٦٧ الاحاديث ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ .

البراء بن عازب ، وعن « ابن عباس »^(١) .

ونقل « الزمخشري » في تفسير « الكشاف » هذه الرواية في نهاية الآية الشريفة

ان الرسول (ﷺ) قال لعلي (عليه السلام) :

« يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل

الله هذه الآية »^(٢) .

واورد المفسر المعروف « القرطبي » عين هذا المضمون في تفسيره ، ولم يشكل

عليه ايضاً مثل الكشاف^(٣) .

ومن الشخصيات المعروفة التي نقلت هذا الحديث في نهاية الآية « سبط ابن

الجوزي » في « التذكرة »^(٤) ، و « محب الدين الطبري »^(٥) ، و « ابن صباغ المالكي »

في « الفصول المهمة »^(٦) ، و « الهيثمي » في « الصواعق »^(٧) ، و « ابن صبان » في

« اسعاف الراغبين »^(٨) ، وقد وردت اسماؤهم في الكتب المبسوطة حول الامامة

والولاية .

والمفسر الوحيد الذي اتخذ موقفاً سلبياً ازاء هذا الحديث بين المفسرين

المعروفين « هو الالوسي » في « روح المعاني » ، حيث انه ينقل الحديث طبقاً لما هو

معمول به ثم يسعى الى التقليل من شأنه أو اهماله بالكامل .

انه وبعد ان ينقل الحديث عن « البراء بن عازب » ويؤيده مع حديث « محمد بن

الحنفية » يقول : « المعيار في تفسير الآية عموم اللفظ دون خصوص سبب

١ - الدر المنثور : ج ٤ ، ص ٢٨٧ .

٢ - الكشاف : ج ٣ ، ص ٤٧ .

٣ - تفسير القرطبي : ج ٦ ص ٤٢٠ (ذيل آية البحث) .

٤ - التذكرة : ص ٢٠ .

٥ - ذخائر العقبى : ص ٨٩ .

٦ - الفصول المهمة : ص ١٠٦ .

٧ - الصواعق المحرقة : ص ١٧٠ .

٨ - اسعاف الراغبين المدون في حاشية نور الابصار ، ص ١١٨ .

النزول،^(١).

قلنا مراراً ونعود فنقول مرة أخرى : لا يدعي احد ان شأن النزول يحدد المفهوم الشامل للآيات ، بل ان شأن النزول هو الاتم والاكمل للآية .

وبتعبير آخر : ان ما جاء في هذه الروايات بشأن علي (عليه السلام) على ان الله تعالى جعل محبته في قلوب المؤمنين جميعاً ، لم يأت بشأن اي فرد آخر من امة محمد (ﷺ) ، وهذه فضيلة كبرى لامير المؤمنين علي (عليه السلام) حيث لا يجاريه احد في هذه الفضيلة .

ياترى أليس من جعل الله تعالى قلوب المؤمنين جميعاً تطفح بمودته ومحبه ، اجدر من الجميع لمنصب الامامة الالهية ، وخلافة الرسول (ﷺ) ؟

٢١- آية المنافقون

نقرأ في الآية ٣٠ من سورة محمد (ﷺ) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ .

تعدُّ هذه الآية - في الحقيقة - نقطة مقابل شيء ما ورد في الآية السابقة .
فقد نزلت هذه الآية بشأن المنافقين وصفاتهم ، يقول تعالى : ولو نشاء لأريناكمهم بل ونضع العلامات في وجوههم لتعرفهم بها .

ثم يضيف بعد ذلك : ولتعرفهم ايضاً في طريقة حديثهم ، لاسيما وانه كلما ورد الحديث عن الجهاد ، تراهم يسعون للتوصل واضعاف معنويات الناس ، وعندما يدور الحديث عن الصالحين والطاهرين والسابقين في الاسلام ، يسعون لخدش سمعتهم ومكانتهم .

ومن هنا حيث نقرأ في حديث مشهور عن « ابي سعيد الخدري » انه يقوله في تفسير جملة « ولتعرفنهم في لحن القول » : يبغضهم علياً بن ابي طالب ! نقل هذا الحديث « الحاكم الحسكاني » في « شواهد التنزيل » من ثلاثة طرق ^(١) .

ونقل « السيوطي » ايضاً في تفسير « الدر المنثور » هذا الحديث عن « ابن مردويه » و « ابن عساكر » عن « ابي سعيد الخدري »،^(١).

وينقل في رواية اخرى عن « ابن مسعود » انه كان يقول : « ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلا ببغضهم علي بن ابي طالب عليه السلام »^(٢).

ولا يقتصر رواية هذا الحديث والكتب التي نقل فيها على ما ذكره اعلاه فقط ، ذلك ان « جابر بن عبد الله الانصاري » ، و « ابوذر الغفاري » نقلوا هذا الحديث ايضاً . ومنهم ان « ابن عبد البر » ينقل هذا الحديث عن جابر في « الاستيعاب »^(٣) . وان « محب الدين الطبري » ينقل عن « ابو ذر » في « الرياض النضرة » بهذا النحو : « ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ الا بثلاث : بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلاة وبغضهم علياً بن ابي طالب عليه السلام »^(٤).

ونقل هذا الحديث ايضاً في « صحيح الترمذي » وهو من المصادر الرئيسة لدى أهل السنة من طريقين عن « ابي سعيد الخدري » و « ام سلمة » . وهناك فارق بسيط في حديث ام سلمة « عن الحديث السابق »^(٥).

ونقل ابن عساكر ايضاً في تاريخ دمشق ، نفس هذا المضمون أو نظيره مرة عن « ابي سعيد الخدري » ، ومرة عن « جابر بن عبد الله » ، واخرى عن « عبادة بن الصامت » ، ومرة عن « محبوب بن ابي الزناد »^(٦).

جاء في حديث « عبادة بن الصامت » انه قال « كنا ننور أولادنا بحب علي بن ابي طالب عليه السلام ، فاذا رأينا أحداً لا يحب علياً بن ابي طالب علمنا انه ليس منا ، وانه لغير رُشده » ، وفي حديث « محبوب بن ابي الزناد » ، انه ورد على لسان طائفة من الانصار

٢ و ٣- الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٦٦ .

٣- الاستيعاب : ج ٢ ، ص ٤٦٤ .

٤- الرياض النضرة : ص ٢١٤ .

٥- صحيح الترمذي : ج ٥ ، ص ٦٣٥ ، الحديث رقم ٣٧١٧ .

٦- مختصر تاريخ دمشق : ج ١٧ ، ص ٣٧٠ و ٣٧١ ، طبع دار الفكر (دمشق) .

قولهم : « ان كنا لنعرف الرجل الى غير أبيه ببغضه علياً بن ابي طالب (عليه السلام) »^(١).

ونتهي حديثنا بنقل هذه الرواية التي تمتاز بسعة مفهومها وشموليبتها مع حديث منقول عن شخص الرسول الاكرم (ﷺ).

تحدث الرسول الاكرم (ﷺ) يوم خيبر بحديث مفصل بشأن علي (عليه السلام)، ومن جملة ما قاله : « يا أيها الناس امتحنوا اولادكم بحبه ، فان علياً لا يدعو الى ضلالة ولا يبعد عن هدى ، فمن أحبه فهو منكم ومن ابغضه فليس منكم ! »^(٢).

يتضح لنا بشكل جلي ان الانسان عندما يتأمل بشكل دقيق في هذه الروايات والرواية السابقة المذكورة في نهاية الايتين الشريفتين من القرآن بانه يواجه شخصية يعد حبه ومودته علامة الايمان ، ومخالفته ومعاداته علامة الكفر والنفاق ، هذا في الوقت الذي تمكنت فيه هذه الروايات ان تمر عبر الممرات الزمنية السابقة ، حيث قامت الحكومات السابقة مثل حكومة بني أمية بمضايقة ومحاصرة اصحاب ومحبي علي (عليه السلام) باشد ما يكون ، وحيث كان اعداؤه يمسكون زمام الامور في كل مكان ، بل وحتى ان سب ولعن علي في المجالس العامة كان مما يتقرب به للحكومة ومراكز السلطة ، حقاً ان الانسان ليتعجب من ان كل هذه الفضائل الفريدة والنادرة التي ملأت الآفاق شرقاً وغرباً ، وملأت صفحات كتب الرواية والتفسير والتاريخ ، كيف تمكنت ان تفلت من قبضة هؤلاء الاعداء اللدء وتصل اليوم الى ايدينا .

لا يمكن ان ننظر الى هذا الامر سوى انه من مشيئة الله وامداده من أجل بقاء نور النور الحق مضيئاً على مر القرون والاعصار ، ولاتمام الحجة في خلافة وولاية علي (عليه السلام) على جميع الاجيال .

١ - نفس المصدر السابق .

٢ - مختصر تاريخ ابن عساكر : ج ١٧ ، ص ٣٧١ .

٢٢- آية الايذاء

نقرأ في الآية ٥٧ من سورة الاحزاب قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ۖ ﴾ .

من البديهي انه ليس بوسع احد ان يلحق الاذى والضرر بالذات المقدسة لله تعالى ، وبناءً على ذلك فان المراد من ايذاء الله - كما اكد على ذلك المفسرون ايضاً - ان الكفر والالحاد هما اللذان يغضبان الله تعالى ، وتأکید على معاقبة الذين يؤذون الرسول والمؤمنين ، ذلك ان ايذائهم يعد بمنزلة ايذاء الله تعالى .

ونقرأ هنا في الروايات المتعددة التي وصلت عن طرق الاخوة من أهل السنة ، وعن طرق أهل البيت (عليه السلام) ان الرسول الاكرم (ﷺ) قال : « يا علي ! من آذاك فقد آذاني » ، وعلى هذا النحو فان ايذاءه يعد ايذاءً للرسول (ﷺ) .

ينقل « الحاكم الحسكاني » في « شواهد التنزيل » عن « جابر بن عبد الله الانصاري » انه قال : سمعت من الرسول الاكرم (ﷺ) ، انه قال لعلي : « من آذاك فقد آذاني »^(١) .

وينقل في حديث آخر عن « ابن ابي سلمة » عن ام سلمة زوج الرسول الاكرم (ﷺ) ، انها قالت : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) : « انت أخي وحبيبي ، من آذاك فقد آذاني »^(١).

ثم يضيف قائلاً : ونقل نفس هذا المعنى عن طائفة اخرى مثل « عمر » ، و « سعد بن ابي وقاص » ، و « ابو هريرة » ، و « ابن عباس » ، و « ابو سعيد الخدري »^(٢).
ونقل في حديث آخر عن علي بن ابي طالب (عليه السلام) انه قال وقد اشار الى شعره ومسكه بيده : حدثني رسول الله (ﷺ) وقد اشار الى شعره وقبض عليه بيده ثم قال : « من آذنى شعرةً منك فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذنى الله ، ومن آذنى الله فعليه لعنة الله »^(٣).

ان الاحاديث التي ذكرت اعلاه تشير فقط الى ان اىذاء علي (عليه السلام) يعد اىذاءً للرسول (ﷺ) ، الا انه لم يستند فيها الى الآية السابقة ، بينما ورد هذا الاستناد بشكل صريح في بعض الروايات ، منها ما قاله الحاكم النيشابوري في « مستدرك الصحيحين » في حديث صحيح معتبر عن « ابن عباس » انه قال : ان رجلاً من اهل الشام سب علياً (عليه السلام) امامه ، فقال ابن عباس : « يا عدو الله آذيت رسول الله (ﷺ) . » / ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذاباً مهيناً ، لو كان رسول الله (ﷺ) حياً لآذيته »^(٤).

ونقل « الذهبي » هذا الحديث ايضاً في « تلخيص المستدرك » ويصرح انه حديث صحيح^(٥).

ونقل السيوطي في « الدر المنثور » رواية ابن عباس واستناده بالاية الشريفة

١ - شواهد التنزيل : ج ٢ ص ٩٨ ، (الحديث رقم ٧٧٨) .

٢ - نفس المصدر السابق : ص ٩٩ .

٣ - شواهد التنزيل : ج ٢ ، ص ٩٧ ، (الحديث رقم ٧٧٦) .

٤ - مستدرك الصحيحين : ج ٣ ، ص ١٢١ (طبع دار المعرفة بيروت) .

٥ - تلخيص المستدرك المطبوع نهاية مستدرك الصحيحين : ج ٣ ، ص ١٢٢ .

السابقة ايضاً^(١).

وينقل ايضاً في كتاب « مستدرك الصحيحين » عن « عمرو بن شاس » حديثاً مفصلاً جاء في آخره : « يقول عمرو بن شاس الاسلمي وكان من اصحاب الحديبية قال : خرجنا مع علي عليه السلام الى اليمن فجفاني في سفره ذلك حتى وجدت في نفسي ، فلما قدمت اظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : فدخلت المسجد ذات غداة ، ورسول الله ﷺ في ناس من اصحابه فلما رأني أبدني عينيه ، قال : يقول حدد اليّ النظر حتى اذا جلست قال : يا عمرو أما والله لقد آذيتني ، فقلت : اعوذ بالله ان اؤذيك يا رسول الله ، قال : بلى ، من آذى علياً فقد آذاني » .

ويقول الحاكم النيشابوري بعد ذكره هذا الحديث : انه حديث صحيح معتبر^(٢).

تجدر الإشارة الى ان : مؤلف « مختصر تاريخ دمشق » اورد الحديث اعلاه في كتابه مع عدة احاديث اخرى ، عن « جابر » ، و « سعد بن ابي وقاص » ، و « عمرو بن شاس » ، وكلها تجمع على ان ايذاء علي عليه السلام يعد ايذاء للرسول ﷺ^(٣).

ان هذه الاحاديث « متضافرة » وكثيرة ، وان الكثير منها يعدّ من الاحاديث التي قال بصحة سندها علماء أهل السنة ، وهي تدل بشكل واضح على ان علياً عليه السلام هو نفس الرسول ﷺ ، ومودته مودة للرسول ﷺ ومحبته محبة لرسول الله ﷺ واذاؤه ايذاء لرسول الله ﷺ .

وبناءً على ما تقدم ، هل من شك في ان علياً عليه السلام افضل الامة بعد رسول الله ، وانه أليق فرد في الامة لتولي منصب الامامة والولاية وخلافة رسول الله ﷺ ؟

١- الدر المنثور : ج ٥ ، ص ٢٢٠ .

٢- مستدرك الصحيحين : ج ٣ ، ص ١٢٢ . وقد ورد هذا الحديث نصاً في تلخيص الذهبي .

٣- مختصر تاريخ دمشق : ج ١٧ ، ص ٣٥٢ .

٢٣- آية الانفاق

نقرأ في الآية ٢٧٤ من سورة البقرة ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

لاشك ان مفهوم الآية مفهوم كلي وجامع ، اذ ان الترغيب بالانفاق في سبيل الله يتخذ اشكالا مختلفة ، في السر والعلن وفي الليل والنهار ، وتبشر المنفقين بشاره عظيمه : ﴿ فلهم اجرهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ مما قد سلف او مما هو آت ، ولكن استفاد من الروايات الاسلاميه ان مصداق هذه الآية الاكمل هو علي (عليه السلام) .

لاسيما انه وردت روايات كثيرة في شأن نزول هذه الآية ، تشير الى انها نزلت اول مرة في علي (عليه السلام) .

يقول ابن عباس : نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب (عليه السلام) وكانت عنده اربعة دراهم فقط ، انفقهن في سبيل الله ، درهماً في الليل ، ودرهماً في النهار ، ودرهماً في العلق ، ودرهماً في السر ، فقال رسول الله (ﷺ) « ما حملك على هذا ؟ قال : حملني عليها رجاء ان استوجب على الله ما وعدني » .

فقال رسول الله (ﷺ): «ألا ذلك لك»، فنزلت الآية السابقة في هذه الاثناء.
 اورد هذا الحديث «الحاكم الحسكاني» في «شواهد التنزيل» مع سبعة احاديث اخرى بنفس هذا المضمون بطرق مختلفة^(١).

وينقل «السيوطي» هذا المضمون نفسه في «الدر المنثور» بطرق متعددة منها:
 عن ابن عباس، ان هذه الآية نزلت في علي بن ابي طالب (عليه السلام) وعنده اربعة دراهم،
 انفق منها درهماً في الليل، ودرهماً في النهار، ودرهماً في السر ودرهماً في العلن،
 ونزلت هذه الآية^(٢).

معنى هذا الحديث ان علياً (عليه السلام) كان يسلك مختلف السبل من اجل الحصول
 على رضا الله تعالى، فقد انفق كل ما تحت بساطه في سبيل الله، وكذلك فانه اعطى
 ليلاً وانفق في حالتين مختلفتين سرّاً وعلناً، وفي النهار ايضاً انفق في كلا الحالتين سرّاً
 وعلانية، ان هذا الايثار والاخلاص الممتزج باشتياق عظيم لكسب رضا الله تعالى،
 وبكل وسيلة ممكنة، نال قبول الله تعالى فنزلت تلك الآية الشريفة.

ومن الذين نقلوا الرواية اعلاه، «محب الدين الطبري» في «ذخائر
 العقبي»^(٣)، و«سبط ابن الجوزي» في «التذكرة»^(٤)، و«العلامة الكنجي» في «كفاية
 الطالب»^(٥)، والمفسر المعروف «القرطبي» في تفسيره^(٦)، واورد هذا الحديث -
 بنفس تلك العبارة او باختلاف بسيط - جمع آخر في كتبهم.

وكذلك ذكره «الشبلنجي» في «نور الابصار»^(٧)، و«الشيخ سليمان القندوزي»

١- شواهد التنزيل: ج ١، ص ١٠٩-١١٥.

٢- الدر المنثور: ج ١، ص ٣٦٣.

٣- ذخائر العقبي: ص ٨٨.

٤- تذكرة الخواص: ص ١٧.

٥- كفاية الطالب: ص ١٠٨.

٦- تفسير القرطبي: ج ٢، ص ١١١٥، (ذيل الآية مورد البحث).

٧- نور الابصار: ص ١٠٥.

في « ينابيع المودة »^(١) .

وينقل مؤلف « الفضائل الخمسة » هذا الحديث ايضاً في كتابه عن جمع آخر منهم « ابن الاثير » في « اسد الغابة »^(٢) ، و « ابن حجر » في « الصواعق المحرقة »^(٣) ، و « الواحدي » في « اسباب النزول »^(٤) .

ونختم هذه الاحاديث بجملة عن ابن ابي الحديد المعتزلي : انه وبعد الاشارة الى الصفات السامية لعلي (عليه السلام) ، وعندما يصل الى مسألة الجود والسخاء يقول بعد الاشارة لآيات سورة هل : اتى وروى المفسرون انه لم يملك الا أربعة دراهم ، فتصدق بدرهم ليلاً ، ودرهم نهاراً ، ودرهم سراً ، ودرهم علانية ، فانزل فيه « الذين ينفقون اموالهم ... »^(٥) .

يبين هذا التعبير ان هذه المسألة متفق عليها بين المفسرين او على الاقل مشهورة .

١ - ينابيع المودة : ص ٩٢ .

٢ - اسد الغابة : ج ٤ ، ص ٢٥ .

٣ - الصواعق المحرقة : ص ٧٨ .

٤ - اسباب النزول ، ص ٦٤ (استناداً لنقل الفضائل الخمسة) : ج ١ ، ص ٣٢١ و ٣٢٢ .

٥ - شرح ابن ابي الحديد : ج ١ ، ص ٢١ (اورده ضمن مقدمة في وصف المولى علي عليه السلام) .

٢٤- آية المحبة

نقرأ في الآية ٥٤ من سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾ .

تصرح هذه الآية بوضوح : ان ارتداد المسلمين الداخلين تَوَّأ الى الاسلام لا يشكل ضرراً عليه ، فان الله تعالى قد أوكل امر الدفاع عن هذا الدين المقدس الى طائفة من المؤمنين ذوي الخصال المتميزة ، من الذين يحبون الله ويحبهم .
والذين يمتازون بالتواضع والتخضع امام المؤمنين ، وبالشدة والشجاعة امام الكافرين . الذين يحاربون ويجاهدون دون كلل في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ابداً .

اجل ، ان اجتماع هذه الصفات في فرد او مجموعة من الافراد ، يعد فضلاً الهياً لا يليق بكائن من كان .

لاشك في ان مفهوم هذه الآية واسع وشامل كما هو الحال في كثير من الايات

السابقة ، ولكن استفاد من الروايات المنقولة عن طرق الشيعة والسنة وبشكل واضح ان علياً (عليه السلام) افضل واكمل مصداق لهذه الآية .

وعندما يصل الفخر الرازي الى تفسير هذه الآية ، وينقل اقوالاً عن المفسرين حول تطبيق هذه الآية ، يقول في نهاية البحث :

قال جمع ان هذه الآية نزلت في علي (عليه السلام) ، ثم يستدل بدليلين لدعم هذا القول ، اولاً عندما اعطى الرسول (ﷺ) الراية بيد علي (عليه السلام) يوم خيبر ، قال «لأدفعن الراية غداً الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» .

ثم يقول : وهي عين الصفة التي اشير اليها في الآية الانفة ، والدليل الاخر ان الآية التالية لها هي آية : «انما وليكم الله ورسوله ...» اذ نزلت بحق علي (عليه السلام) لذا من الأجدر القول ان الآية السابقة هي الاخرى نزلت بحقه ايضاً (نهاية كلام الفخر الرازي)^(١) .

ان استدلال الفخر الرازي بكلام الرسول (ﷺ) يوم فتح خيبر اشارة الى حديث معروف نقل في الكثير من الكتب المشهورة على انه قيل بحق علي (عليه السلام) ، وبعد من اعظم فضائله (عليه السلام) ، سيما وانه طبقاً لهذا الحديث ، وبعد ان فشل نفر من قادة جيش الاسلام في فتح خيبر ، فان الرسول (ﷺ) وقف في ليل ذلك اليوم وسط الجيش وخاطبهم قائلاً : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يده ! » .

ثم قال : اين علي ؟ قالوا : انه مريض ، وعينه تؤلمه (ولا يقوى على الحرب) فقال : علي به ، فجاء علي ونفخ الرسول (ﷺ) في عينه (او مسح من ريق فمه على عينه) فبرأت عينه المباركة ، فاعطاه الراية ، وفي اليوم التالي فتح خيبر في هجوم خاطف (فتحقق هذا النبوء العجيب للرسول ﷺ بشأنه) .

وقد اورد هذا الحديث - اضافة للفخر الرازي - كثير من المحدثين والمؤرخين (باختلاف بسيط في التعابير) في كتبهم ، ومنهم الحاكم النيشابوري في كتاب مستدرک الصحيحين : وقد اشار اليه في ثلاثة مواضع : اولاً نقل في حديث عن «ابن عباس» ان جماعة تحدثوا عنده بالفاظ غير مناسبة بشأن علي (عليه السلام) فانزعج بشدة وقال : «اف وتف ، وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليس لأحد غيره وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله ابداً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»^(١).

وينقل في حديث آخر عن «عامر بن سعد بن ابي وقاص» ان معاوية قال لأبي «سعد» ذات يوم : ما يمنعك ان تسب ابن ابي طالب ؟ فقال : لا أسبه مذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (ﷺ) لان تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم ، قال معاوية : وما هن ؟ قال : حين انزل عليه فأخذ علياً وفاطمة وابنيها فادخلهم تحت ثوبه قال: رب ان هؤلاء اهل بيتي ، ولا اسبه مذكرت حين خلفه في غزوة تبوك ، فقال له : خلفتني مع الصبيان والنساء ، قال : «الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدي» ، ولا اسبه مذكرت يوم خيبر ، وقال : «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويفتح الله على يديه» فتناولنا لرسول الله (ﷺ) فقال : ابن علي ، قالوا : هو ارمد ، قال : ادعوه ، فدعوه فبصق في وجهه ثم اعطاه الراية ففتح الله عليه ، قال : فلا والله مذكرك معاوية بحرف حتى خرج من المدينة^(٢).

وينقل في الحديث الثالث عن «عبد الله بن بريدة الاسلمي» ان الرسول الاكرم (ﷺ) قال الجملة التالية في خيبر ... ثم ينقل القصة مع بعض الاضافات علاوة على ما ذكر آنفاً^(٣).

١- المستدرک: ج ٣، ص ١٣٢.

٢- تلخيص المستدرک المطبوع في حاشية المستدرک: ج ٣، ص ١٠٨ و ١٠٩.

٣- المستدرک: ج ٣، ص ٤٣٧.

ومن الذين صرحوا بان الآية السابقة نزلت بحق علي (عليه السلام) ، « الثعلبي » في تفسيره (استناداً لما ورد في مناقب عبد الله الشافعي) اذ يقول في نهاية الآية السابقة : « انها نزلت في علي (عليه السلام) »^(١) .

ويصرح العلامة « الثعلبي » في نهاية هذه الآية ايضاً (بناءً على نقل ابن بطريق في كتاب العمدة) : انها نزلت في علي بن ابي طالب (عليه السلام)^(٢) .

وينقل ذلك ايضاً مؤلف « كنز العمال » في كتابه عن « سعد بن ابي وقاص » ، وفي حديث آخر عن « عامر بن سعد » اورد نفس هذا المعنى مع بعض الاضافات^(٣) .

ان هذه الاحاديث وما يشابهها التي وردت في الكتب المعروفة للسنة واتباع مذهب اهل البيت (عليهم السلام) تحكي عن فضيلة لا مثيل لها على قول سعد بن ابي وقاص ، التي ان وجدت في احد الافراد تكفيه فخراً وفضلاً .

وبوجود مثل هذه الشخصية وسط الامة ، هل يجدر بنا ان نتصور انه بالامكان تسليم خلافة الرسول (ﷺ) لغير شخصه ؟!



ولهذه الملاحظة ايضاً اهمية بالغة في تأكيد مفهوم اية المودة ، انه يستفاد من الروايات الواردة في الكتب المعروفة والمشهورة ان علياً (عليه السلام) لم يحظ برعاية الرسول (ﷺ) ولطف الله تعالى به فحسب ، بل انه كان احب المخلوقات عندهم ايضاً .

والشاهد على هذا الكلام حديث « الطير » المعروف .

١- المناقب : ص ١٦٠ مخطوطة (بناءً على نقل احقاق الحق ، ج ١٤ ، ص ٢٤٨) .

٢- العمدة : ص ١٥١ ، (طبقاً لنقل احقاق الحق ، ج ٣ ص ١٩٨) .

٣- كنز العمال : ج ١٣ ، ص ١٦٢ و ١٦٣ (الحديث رقم ٣٦٤٩٥ و ٣٦٤٩٦) (طبع مؤسسة الرسالة - بيروت) .

نقرأ في كتاب «المستدرک علی الصحیحین» ان «أنساً» خادم الرسول (ﷺ) مرض بعد أن عمّر طويلاً بعد النبي (ﷺ) فاتاه محمد بن الحجاج يعوده في اصحاب له ، فجرى الحديث حتى ذكروا علياً (عليه السلام) فتنقصه محمد بن الحجاج ، فقال انس : من هذا اقعدوني فاقعدوه ، فقال : يا ابن الحجاج ، الا اراك تنقص علياً بن ابي طالب ، والذي بعث محمداً (ﷺ) بالحق ، لقد كنت خادم رسول الله (ﷺ) بين يديه وكان كل يوم يخدم بين يدي رسول الله (ﷺ) غلام من ابناء الانصار ، فكان ذلك اليوم يومي ، فجاءت ام ايمن مولاة رسول الله (ﷺ) بطير فوضعه بين يدي رسول الله (ﷺ) ، فقال رسول الله (ﷺ) : يا أم ايمن ما هذا الطائر؟ قالت : هذا طائر اصبته فصنعت له لك ، فقال رسول الله (ﷺ) : «اللهم جئني باحب خلقك اليك والي ياكل معي من هذا الطائر». وضرب الباب ، فقال رسول الله (ﷺ) : يا انس انظر من على الباب ، قلت : اللهم اجعله رجلاً من الانصار ، فذهبت فاذا علي بالباب ، قلت : ان رسول الله (ﷺ) على حاجة فجئت حتى قمت مقامي فلم البث ان ضرب الباب ، فقال : يا انس انظر من على الباب ، فقلت : اللهم اجعله رجلاً من الانصار فذهبت فاذا علي بالباب ، قلت : ان رسول الله (ﷺ) على حاجة فجئت حتى قمت مقامي فلم البث ان ضرب الباب ، فقال رسول الله (ﷺ) : يا انس اذهب فادخله فلست باول رجل احب قومه ليس هو من الانصار فذهبت فادخلته ، فقال : يا انس قرب اليه الطير ، قال : فوضعت بين يدي رسول الله (ﷺ) فأكلا جميعاً . قال محمد بن الحجاج : يا أنس كان هذا بمحضر منك؟ قال : نعم ، قال : اعطى بالله عهداً ان لا انتقص علياً بعد مقامي هذا ولا أعلم أحد ينتقصه إلا اشرت له وجهه^(١) .

واورد «الذهبي» هذا الحديث ايضاً في «تلخيص المستدرک» المطبوع في حاشية «المستدرک» .

واضافة لما قلناه ، فان الحديث اعلاه المعروف بـ «حديث الطير» في مختلف المصادر الاسلامية ، ورد في كتب كثيرة ، بحيث ان العلامة الاميني يقول بشأنه :
حديث الطير حديث متواتر وصحيح سلم ائمة الحديث بتواتره وصحته .

واورد هذا الحديث «موفق بن احمد» وهو فقيه ، ومحدث كبير ، وخطيب فذ ،
واديب ، وشاعر في كتاب المناقب ^(١).

والاهم من ذلك ان المحدث المعروف «الترمذي» ينقل في كتابه المشهور
باسم «صحيح الترمذي» عن «انس بن مالك» انه كان بين يدي الرسول (ﷺ)
طيراً ، فقال : «اللهم أئتني باحب خلقك اليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي فأكل
معه» ^(٢).

يقول العلامة الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» بعد نقله هذا الحديث :
وفيه دلالة واضحة على ان علياً (عليه السلام) احب الخلق الى الله وادل الدلالة على ذلك
اجابة دعاء النبي (ﷺ) فيما دعا به ، وقد وعد الله تعالى من دعاه بالاجابة حيث
قال (ادعوني استجب لكم) فأمر بالدعاء ووعد بالاجابة . وهو عزوجل لا يخلف
الميعاد ، وما كان الله عزوجل ليخلف وعده رسله ولا يرد دعاء رسوله لاحب الخلق
اليه ومن اقرب الوسائل الى الله تعالى محبته ومحبة من يحبه لحبه ^(٣).

وينقل «العلامة النسائي» - وهو من علماء القرن الثالث الهجري - هذا الحديث
ايضاً مع بعض الاضافات في كتابه المعروف «الخصائص» ^(٤).

ومن العلماء الاخرين الذين نقلوا هذا الحديث في كتبهم : «سبط ابن الجوزي»
في «التذكرة» ، و «ابن الاثير» في «اسد الغابة» ، و «ابن مسعود الشافعي» في

١ - المناقب : ص ٦٧ .

٢ - صحيح الترمذي : ج ١٣ ، ص ١٧٠ (طبع الصاوي مصر) .

٣ - كفاية الطالب : ص ٥٩ ، (طبقاً لنقل احقاق الحق ، ج ٥ ، ص ٣١٩) .

٤ - الخصائص : ص ٥ (طبع التقدم مصر) .

«مصابيح السنة»، و«محب الدين الطبري» في «ذخائر العقبى»، و«الشيخ سليمان البلخي القندوزي» في «ينابيع المودة»، وطائفة أخرى غيرهم لو اردنا ذكر اسمائهم وشرح كلماتهم لطال بنا المقام .

من الملاحظات التي قد تثير الدهشة لدى البعض ان ابن الاثير في «اسد الغابة» عندما ينقل حديث الطبري بعدة طرق ، يقول في احدى طرق الحديث المنقول عن انس بن مالك : ان النبي (ﷺ) كان عنده طائر فقال اللهم ائتني باحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطائر فجاء ابو بكر فرده ، ثم جاء عثمان ، فرده (وفي رواية اخرى نقلها النسائي في الخصائص ورد اسم عمر بدل عثمان) فجاء علي فاذن له .
يقول « ابن الاثير » في نهاية هذا الحديث ان ذكر اسماء « ابو بكر وعثمان » في هذا الحديث غريب جداً ^(١) .

والاعجب من ذلك ان بعض المحدثين من السنة اذ أرادوا المرور بهذه الفضيلة الفريدة مرّوا مستطرقين وأغمضوا أعينهم عن الحقائق ، ولجأوا الى التشكيك في سند هذا الحديث ، مثل ابن كثير الدمشقي كاتب « البداية والنهاية » اذ يقول بعد ذكر هذا الحديث : « وفي القلب من صحة هذا الحديث نظر وان كثرت طرقة » ^(٢) .

بينما نجد ان هذا الحديث المتواتر الذي ورد في الكثير من المصادر المعروفة بشكل واسع ، لا غبار عليه من حيث السند والدلالة سوى انه لا ينسجم مع الاحكام المسبقة للبعض ، وللمرحوم العلامة الاميني جملة لطيفة بعد ذكر هذه العبارة اذ يقول : « باجتماع جميع شروط الصحة في هذا الحديث ان كان شك ما في القلب تجاه هذا الحديث ايضاً ، فلاشكال يمكن في ذلك القلب وليس في الحديث » !

١ - اسد الغابة : ج ٤ ، ص ٣٠ (طبعة دار احياء التراث العربي بيروت) .

٢ - البداية والنهاية : ص ٣٥٣ .

٢٥- آية المسؤولين

نقرأ في الآية ٢٤ من سورة الصافات بشأن الظالمين : ان الخطاب يأتي الى ملائكة العذاب : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ .

وهناك اخذ ورد بين المفسرين فيما سيسألون عنه ، قال بعضهم : عن البدع التي ابتدعوها ، وقال بعضهم الاخر : عن اعمالهم السيئة وعن خطاياهم ، و اضاف بعضهم : عن التوحيد ولا اله الا الله ^(١) .

ولامانع من اجتماعهن جميعاً في مفهوم الآية .

إلا انه ورد في العديد من الروايات : ان المراد هو السؤال عن ولاية علي بن ابي طالب عليه السلام .

وقد وردت هذه الروايات في المصادر الاسلامية المعروفة .

ومنها في « شواهد التنزيل » ، اذ ينقل بطريقين عن ابي سعيد الخدري ، عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال في تفسير هذه الآية : « عن ولاية علي بن ابي

١- مجمع البيان : ج ٧ ، ص ٤٤١ (نهاية الآية التي نحن بصددھا) .

طالب»^(١).

وينقل في حديث آخر عن « سعيد بن جبير » ، عن « ابن عباس » ان الرسول الاكرم (ﷺ) قال : « اذا كان يوم القيامة أوقف انا وعلي علي الصراط فما يمر بنا أحد إلا سأله عن ولاية علي ، فمن كانت معه ، والا القيناه في النار ! وذلك قوله وقفوهم انهم مسؤولون »^(٢).

ونقل « الحاكم الحسكاني » هذا الحديث ايضاً في الكتاب المذكور ، عن طرق اخرى ونقل « ابن حجر » ايضاً في كتاب « الصواعق » هذا الحديث عن « ابي سعيد الخدري » عن الرسول الاكرم (ﷺ)^(٣).

وممن نقل الحديث اعلاه « احمد بن حنبل » (احد الائمة الاربعة للسنة) في كتاب المسند عن ابي سعيد الخدري : انه « يسأل في يوم القيامة عن ولاية علي بن ابي طالب عليه السلام ».

ونقل هذا الحديث ايضاً كل من : « عز الدين الحنبلي » في « كشف الغمة »^(٤) ، والآلوسي في تفسيره^(٥) ، و « سبط ابن الجوزي » في « التذكرة »^(٦) ، و « ابو نعيم الاصفهاني » في « كفاية الخصام »^(٧) ، و « الشيخ سليمان القندوزي » في « ينابيع المودة »^(٨) ، وجمع آخر لو أردنا ذكر اسمائهم وكتبهم لطال بنا المقام .

والطريف انه - في بعض هذه الروايات - وردت « ولاية اهل البيت » اضافة لولاية

١ - شواهد التنزيل : ج ٢ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ (الحديث رقم ٧٨٦ و ٧٨٧) .

٢ - نفس المصدر : ج ٢ ص ١٠٦ و ١٠٧ ، (الحديث رقم ٧٨٨) .

٣ - الصواعق : ص ٨٩ .

٤ - كشف الغمة : ص ٩٢ .

٥ - روح المعاني : نهاية الآية التي نحن بصدد ها .

٦ - التذكرة : ص ٢١ .

٧ - كفاية الخصام : ، ص ٣٦١ .

٨ - ينابيع المودة : ص ٢٥٧ .

علي (عليه السلام) ^(١).

كما ان هذه الملاحظة جديرة بالاهتمام ايضاً وهي : ان جميع الروايات الانفة الذكر نقلت عن المصادر المعروفة والكتب المشهورة للسنة ، والرواة المقبولين . ولكن مع ذلك فان « الالوسي » عندما ينقل هذه الرواية يقول : « روى بعض الامامية عن ابن جبير عن ابن عباس يسئلون عن ولاية علي » ، و « كذلك نقلوا الامامية هذه الرواية عن ابي سعيد الخدري » ^(٢).

ويضيف من عنده ولاية سائر الخلفاء بكل تعجب !

ان هذا المفسر المتعصب يتصور ان كل حديث بشأن فضائل علي (عليه السلام) لابد وان يكون رواه من الامامية والشيعة حتماً ، وكأن احكامه الطائفية المسبقة لا تسمح له التصديق بأن هذه الاحاديث منقولة بهذا الشكل الواسع في المصادر المعروفة للسنة ، وكأنه لا يصدق ايضاً بأن الاجيال اللاحقة سيقراءون كلماته ، ويشكلون عليه ، ان رواة هذا الحديث ليسوا من الامامية فحسب ، بل انهم غالباً من علماء السنة . وعلى اي حال فان مفهوم هذه الاحاديث وكذلك الآية الانفة لا يعني انه في يوم القيامة يسأل عن ولاية « علي بن ابي طالب » فقط ، ذلك ان يوم القيامة هو يوم السؤال عن جميع الاعمال ، والنعم ، وجميع انواع المسؤوليات ، بل المراد ان احدى اهم الامور التي يسأل عنها هي ولاية هذا الامام المعصوم ، وبلا ادنى شك فان الولاية هنا ليست بمعنى نوع من المحبة العادية والدارجة التي لابد وان يتحلّى بها كل مؤمن تجاه الآخرين ، ذلك ان هذا الامر يعد احد الفروع العادية للدين ، بل ان المراد شيء أبعد من هذه المسألة ويعد من اهم اركان الاسلام وأسس الدين .

فهل يمكن ان يكون هذا الموضوع شيئاً آخر غير مقام القيادة والخلافة الالهية

١ - علي في الكتاب والسنة : ج ١ ص ٢٢٩ .

٢ - روح المعاني : ج ٢٣ ، ص ٧٤ .

بعد رسول الاسلام (ﷺ) ؟!

نعم ، علي بن ابي طالب (عليه السلام) هو ذلك الشخص الذي تعد ولايته من اهم اركان الاسلام وشروط الايمان ، وعلى رأس تسلسل الامور التي يُسال عنها في القيامة . وكيف لا يكون كذلك ، وقد ملأت فضائله ومفاخره جميع كتب الحديث ، وتتلأ لأشخصيته الرفيعة في آيات القرآن المجيد ، بالرغم من كل المواقف العدائية التي اتخذها اعداؤه معه ، وكنتموا فضائله (ولا يزالون يكتمونها لحد الان ايضاً) ، وبالرغم من ان اصحابه واتباعه اضطروا الى اخفاء فضائله ايضاً خوفاً من بطش الاعداء !

ونختم هذا الكلام بنقل حديث معروف عن ابن عباس ورد في الكثير من المصادر الاسلامية اذ يقول : « ما نزل القرآن ﴿ يا ايها الذين آمنوا ﴾ إلا علي سيدها وشريفها واميرها ، وما أحد من اصحاب رسول الله ﷺ إلا قد عاتبه الله في القرآن ، ما خلا علي بن ابي طالب فانه لم يعاتبه بشيء ، وما نزل في احد من كتاب الله ما نزل في علي ... نزلت في علي ثلاثمائة آية ! »^(١).

ونقل هذا الحديث - او قسمه الاول - عن طائفة اخرى كثيرة ايضاً ، مثل الحافظ « ابو نعيم الاصفهاني » في « حلية الاولياء » ، و « محب الدين الطبري » في « ذخائر العقبى » ، و « العلامة الكنجي الشافعي » في « كفاية الطالب » ، و « سبط ابن الجوزي » في « التذكرة » ، و « الشبلنجي » في « نور الابصار » ، و « الهيثمي » في « الصواعق » ، و « السيوطي » في « تاريخ الخلفاء » ، و « القندوزي » في « ينابيع المودة »^(٢).

كانت هذه طائفة من الايات التي نزلت بشأن علي (عليه السلام) في القرآن ، اذ عمدنا الى اختيار هذا العدد منها .

١ - مختصر تاريخ دمشق : ج ١٨ ، ص ١١ ، طبعة دار الفكر .

٢ - للمزيد من الاطلاع على هذه المصادر يرجى مراجعة احقاق الحق ، ج ٣ ، ص ٤٧٦ .

الائمة الاثنا عشر

تمهيد :

بالرغم من ان المذهب الشيعي لا ينحصر بـ «الامامية الاثنى عشرية» ، بوجود الشعب والفرق الاخرى مثل « الزيدية » الذين يعتقدون باربعة من الائمة فقط ، و «الاسماعيلية» الذين يعتقدون «بسبعة ائمة» وغيرهم من الفرق ، الا انه وبلا ادنى شك يعد الشيعة الاثنى عشرية اشهر تلك الفرق قاطبة ، اذ يشكلون جزءاً مهماً من المسلمين في سائر انحاء العالم ، ويشكلون في بعض الدول كايран والعراق والبحرين الاكثرية القاطنة من السكان ، وفي البعض الاخر يشكلون نسبة كبيرة من السكان كما هو الحال في اغلب البلدان الاسلامية .

ان للشيعة الاثنى عشرية مراكز علمية هامة ، تضم عشرات الالاف من العلماء والطلاب المنهمكين في التحقيق والتدريس وتعلم العلوم الاسلامية .

وقد تم تأليف وطبع ونشر عشرات الالاف من الكتب العلمية حول العقائد الاسلامية ، والفقه ، والاصول ، والتفسير ، والحديث ، والفلسفة ، والرجال ، والدراية ، والتاريخ الاسلامي من قبل علماء الشيعة .

وقد ذكر المرحوم المحقق الجليل « الشيخ آقا بزرك الطهراني » في كتاب « الذريعة الى تصانيف الشيعة » والذي تم طبعه مؤخراً في ٢٦ مجلداً ، اسماء عشرات

الالاف من كتب علماء الشيعة مع ذكر مؤلفيها مع شرح وجيز عن كل منهم ، مما يوضح بشكل جلي حجم الخدمات الجليلة التي قدمها العلماء الشيعة للعلوم الاسلامية ، وكيف انهم خلفوا ورائهم تصانيف ثمينة جداً في جميع الفنون الاسلامية والعلوم الانسانية مخلدة ذكراهم .

ويجدر بالذين لا يدركون هذه الحقائق ان يقوموا بزيارة المراكز العلمية للشيعة في مختلف مناطق العالم ، ويروا الطلاب والفضلاء وعلماء الشيعة الذين يمتازون بالمهارة الفائقة في العلوم الاسلامية المختلفة عن كتب ، ويطلعوا على مكتباتهم المملوءة بالكتب العلمية لهؤلاء العلماء ، وكذلك بالكتب العلمية للعلماء السنة .

ويلاحظوا عن قرب الفقهاء ، والمتكلمين ، ومفسري القرآن ، والكتاب اللامعين ، والخطباء ، والكم الهائل من حفظة القرآن الكريم .

ولكن مما يؤسف له ان الرقابة الشديدة المفروضة على الكثير من المحافل الخيرية الاسلامية والحاكمة كذلك على اغلب المكتبات المعروفة للدول الاسلامية ، لم تسمح لحد الان كي يقوم المحققون المحايدون للسنة من التعرف بشكل واضح على اتباع مذهب اهل البيت عليهم السلام والعلماء وآثارهم العلمية .

ونجد هنا ان المكتبات مليئة بكتب علماء السنة الى جانب كتب علماء الشيعة دون ملاحظة ادنى فرق بينهم من حيث الحضور في المكتبات ، ولا يشعر أي منهم ايضاً بادنئى خطر من هذه الناحية على مذهبه ، الا ان مكتبات الاخوة السنة لها شكل آخر غالباً ، ولا يلاحظ فيها اي اثر لعشرات الالاف من المؤلفات العلمية المعروفة للشيعة ، او أنها تقتصر على مقدار قليل منها فقط !

وعلى اي حال نأمل ان يأتي اليوم الذي يتمكن فيه المحققون وبحياد تام ، ان يدققوا ويبحثوا فيما قيل اعلاه ، ويعرفوا المجتمع الشيعي الامامي كما هم عليه - وليس كما يقوله اعداؤهم ، او كما تحاول ان تصوره الابواق الاستعمارية عنهم -

وبقياً سيشهد ذلك اليوم وقائع جديدة في العالم الاسلامي مع اتباع هذا المذهب ،
وسينعم العالم الاسلامي بتفاهم وانسجام أفضل .

لكي لا نبتعد عن اصل الموضوع ، تلاحظ في الايات القرآنية ، اشارات لائمة
اهل البيت المعصومين عليهم السلام تزداد جلاءً ووضوحاً بمساعدة الروايات الواردة في
المصادر الاسلامية المعروفة بشأن تفسير هذه الايات .

وهذه الايات متعددة ، ونشير في النهاية الى بعض منها فقط ، وتمت الاشارة
الى مجموعة من هذه الايات في بداية البحث في موضوع ولاية وامامة علي عليه السلام ،
ومنها :

١- آية ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ (الاحزاب - ٣٣) .

بشهادة محتواها ، وكذلك الروايات الواردة في شرحها وتفسيرها عن الرسول
الاكرم ﷺ في المصادر الاسلامية المعروفة ، ان مفهومها عام اي انها تشمل
بالاضافة لعلي عليه السلام سائر الائمة المعصومين ، وخاصة الامام الحسن والامام
الحسين عليهما السلام اللذين صُرح باسميهما في هذه الروايات .

٢- آية ﴿ قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى ﴾ (الشورى - ٢٣) .

تشير ايضاً وينحو الاجمال لجميع الائمة المعصومين ، وقد صرح في روايات
متعددة منقولة عن سعيد بن جبير وابن عباس عن الرسول الاكرم ﷺ ان المراد
من « القربى » في هذه الآية ، علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام وذريتهما ، وصرح في البعض
الاخر باسم الامامين الحسن والحسين عليهما السلام ايضاً .

ولغرض المزيد من التوضيح يرجى مراجعة « شواهد التنزيل » وسائر المصادر
التي ذكرناها اثناء شرح هذه الآية ^(١) .

٣- آية ﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾ (النساء - ٥٩) .

١- أورد ست روايات بطرق مختلفة في هذا المجال في شواهد التنزيل : ج ٢ ، ص ١٣٠ - ١٣٤ .

وهذه الآية هي الاخرى كسابقتها ، لاسيما ان لهذه الآية مفهوماً عاماً يشمل كل زمان ، وبناء على ذلك لابد من وجود مصداق من « اولي الامر » في كل عصر وزمان ، يكون فرداً معصوماً ، وطاهراً من الذنوب (لان الطاعة المطلقة الخالية من كل قيد وشرط غير مشروعة سوى للمعصومين خاصة) .

اضافة الى ذلك ففي بعض الروايات المعروفة الواردة في مصادر اهل السنة صرح باسم الامام الحسن والامام الحسين (عليهما السلام) .

٤- آية «كونوا مع الصادقين» (التوبة - ١١٩) .

هي الاخرى بنفس المفهوم الذي شرحناه سابقاً ، اذ لها مفهوم عام شامل لكل عصر وزمان ، وهي دليل على انه يوجد في كل عصر وزمان صادق معصوم (ذلك ان المؤازرة والتبعية المطلقة دون قيد أو شرط ليس لها مفهوم سوى للمعصومين فقط) ، واطافة الى ذلك فان بعض الروايات الواردة في شرح هذه الآية ، تفسر الصادقين بانهم محمد وأهل بيته (عليهم السلام) ^(١) .

وبما ان هذه الايات والروايات المتعلقة بها ، ذكرناها في هذه المباحث بشكل مفصل لذا نحجم عن تكرارها مرة اخرى ، وننتقل الى آيات الفضيلة .

نؤكد مرة اخرى على ان آيات الفضيلة لا تطرح باعتبار انها الايات التي لها دلالة مباشرة على امامة وولاية أئمة اهل البيت (عليهم السلام) ، بل الهدف من ذلك هو ان يتضح بشكل جلي ان كل واحد منهم كان أفضل افراد عصره ، وبما انه لابد من وجود اولي الامر والامام المعصوم في كل عصر وزمان طبقاً لمفهوم الايات السابقة ، فانهم مصداق هذا المعنى :



١ - آية الصلوات والتحية

نقرأ في الآية ٥٦ من سورة الاحزاب : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

لقد تم تجسيد مقام نبي الاسلام (ﷺ) في هذه الآية بأفضل وجه ، ذلك ان الله تعالى وملائكته المقربين يصلون على النبي (ﷺ) ، وكذلك صدور الامر لجميع المؤمنين ان يصلوا ويسلموا عليه بدون استثناء .

اي مقام اسمى من هذا المقام ؟ واي عظمة فوق هذه العظمة ؟

صحيح انه لم يرد في هذه الآية ، كلام عن آل الرسول (ﷺ) الا اننا نقرأ في الكثير من الروايات ان اصحابه وانصاره عندما سألوه : كيف نصلي ونسلم عليك ، فقد جعل الرسول الاكرم (ﷺ) «الآل» الى جانب الصلاة عليه ، وجميع الرحمة والسلام للذين يطلبان من الله تعالى فهما له ، وآله ايضاً ، وهذه قرينة على ان الصلوات والتحية من الله والملائكة تنسم بالتعميم ايضاً ، فهي تشمل الرسول (ﷺ) وآله وهذه ليست مسألة بسيطة ، بل انها توضح ان لهم مقامات تالية لمقام الرسول (ﷺ) ، وتكليف شبيه بتكليفه من بعض الجهات ، والا فان هذا المقام الشامخ لا يمكن ان يكون لهم بسبب القرابة فقط .

وننتقل الان الى طائفة من هذه الروايات الواردة في أشهر مصادر السنة :

١ - نقل في « صحيح البخاري » عن ابي سعيد الخدري ان قلنا : يا رسول الله السلام (ﷺ) عليك معلوم ، كيف نصلي عليك ؟ قال : «قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم»^(١) .

١ - صحيح البخاري ج ٦ ، ص ١٥١ (طبعة دار الجيل - بيروت) .

وينقل هذا الحديث في نفس الكتاب والصفحة بنحو اكمل عن « كعب بن عجرة » احد الصحابة المعروفين انه قال لرسول الله (ﷺ) : عرفنا كيفية السلام عليك ، ولكن كيف يجب ان تكون الصلوات عليك ؟ قال : « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد »^(١).

تجدد الإشارة الى ان البخاري يذكر هذه الاحاديث في نهاية الآية الشريفة «ان الله وملائكته ...» .

٢ - نقل في « صحيح مسلم » وهو ثاني مصدر معروف للحديث عند الاخوة السنة عن « ابي مسعود الانصاري » ان الرسول (ﷺ) دخل علينا ونحن في مجلس سعد بن عباد ، فقال بشير بن سعد : يا رسول الله ! لقد امرنا الله بان نصلي عليك فكيف نصلي عليك ؟ فسكت الرسول اولاً ، ثم قال : « قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد »^(٢).

٣ - وفي تفسير « الدر المنثور » وهو اشهر تفسير روائي ينقل نفس رواية « ابو سعيد الخدري » عن « البخاري » و « النسائي » و « ابن ماجه » و « ابن مردويه » عن الرسول الاكرم (ﷺ)^(٣).

ونقل في نفس الكتاب عبارة « ابو مسعود الانصاري » عن « الترمذي » و « النسائي » و « ابن مردويه »^(٤).

وينقل عين هذا المضمون ايضاً بفارق قليل عن « مالك » و « احمد »

١ - نفس المصدر السابق .

٢ - صحيح مسلم ، ج ١ ص ٣٠٥ ، الحديث رقم ٦٥ (طبعة احياء التراث العربي - بيروت) .

٣ - الدر المنثور : ج ٥ ص ٢١٧ .

٤ - نفس المصدر السابق .

و«البخاري» و«مسلم» و«ابو داود» و«النسائي» و«ابن ماجه» و«ابن مردويه» عن «ابي احمد الساعدي»^(١).

ينقل الحاكم النيشابوري في المستدرک علی الصحيحين عن ابن أبي ليلى ان «كعب بن عجرة» صادفني وقال : اريد ان اعطيك هدية سمعتها من الرسول الاكرم عليه السلام؟! قلت : بلى اهدني ! قال : سألنا رسول الله عليه السلام : كيف نصلي عليكم اهل البيت ؟ قال قولوا : «اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد» .

ثم يقول الحاكم النيشابوري وقد عزم على ذكر احاديث غير مذكورة في صحيحي البخاري ومسلم : نقل البخاري هذا الحديث في كتابه عن «موسى بن اسماعيل» بنفس هذا السند والالفاظ ، والسبب في ذكرى اياه ثانية هنا يعود للاشارة الى ان «اهل البيت» و«الآل» أمر واحد . تجدر الاشارة الى ان الحاكم نقل هذا الحديث بعد حديث «الكساء» الذي اشير فيه وبشكل صريح ان اهل بيتي علي وفاطمة والحسن والحسين^(٢) . وهذا تعبير عميق المعنى .

وبعد ذلك ينقل «الحاكم» حديث الثقلين ، وبعده حديث «ابو هريرة» ان الرسول عليه السلام نظر الى علي والحسن والحسين وقال : «انا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم»^(٣).

ونقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره نهاية هذه الآية الرواية أعلاه مع اختلاف بسيط عن «موسى بن طلحة» عن ابيه ويروي برواية اخرى نفس الحديث عن ابن عباس . وفي رواية ثالثة عن «زياد» عن «ابراهيم» ، وفي رواية رابعة عن

١ - نفس المصدر السابق .

٢ - المستدرک علی الصحيحين : ج ٣ ، ص ١٤٨ .

٣ - المستدرک علی الصحيحين ج ٣ ، ص ١٤٩ .

« عبد الرحمن بن بشر بن مسعود الانصاري » ^(١) .

ونقل البيهقي ايضاً في كتابه المعروف « السنن » روايات متعددة بهذا الصدد حيث ان بعضها يوضح تكليف المسلمين في الصلاة واثناء التشهد ، ومنها في حديث عن « ابي مسعود وعقبة بن عمرو » ، ينقل ان رجلاً جاء وجلس بين يدي الرسول (ﷺ) وكنا جلوساً عنده . فقال: يا رسول الله انا نعرف كيفية السلام عليك ، ولكن كيف نصلي عليك اثناء الصلاة ؟ فسكت الرسول (ﷺ) حتى قلنا : ليت الرجل لم يسأل مثل هذا السؤال ، ثم قال : « اذا اتم صليتم علي فقولوا اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد النبي الامي وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد » .

ثم ينقل عن « ابي عبد الله الشافعي » انه حديث صحيح بشأن الصلوات على النبي (ﷺ) في الصلوة ^(٢) .

واورد البيهقي احاديث متعددة اخرى بصدد كيفية الصلاة على الرسول الاكرم بشكل (ﷺ) مطلق او في الصلاة خاصة في حديث عن « كعب بن عجرة » عن الرسول الاكرم (ﷺ) ينقل انه كان يقول في الصلاة : « اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد » ^(٣) .

يتضح من هذا الحديث انه حتى الرسول (ﷺ) كان يذكر هذه الصلوات في صلواته .

يقول البيهقي في نهاية احدي الروايات التي لم يرد الحديث فيها عن الصلاة : -

١ - تفسير جامع البيان للطبري : ج ٢٢ ص ٣٢ ، (طبعة دار المعرفة - بيروت) .

٢ - سنن البيهقي ج ٢ ص ١٤٦ و ١٤٧ .

٣ - سنن البيهقي ج ٢ ص ١٤٧ .

هذه الروايات ناظرة الى حال الصلاة لان جملة « قد علمنا كيف نسلم » هي اشارة الى السلام في التشهد (السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته) لذا فان المراد من الصلوات هي الصلوات في حال التشهد ^(١) .

وعلى هذا الاساس فان المسلمين مأمورون بالصلاة على الرسول (ﷺ) في التشهد ايضاً كما هم مأمورون حسب اعتقاد جميع الفرق الاسلامية بالسلام على الرسول (ﷺ) في التشهد بلفظ : «السلام عليك ايها النبي ورحمة الله» .

وبالرغم من انه يلاحظ هنا اختلاف بسيط بين المذاهب الاربعة للسنة ، اذ ان الشافعيين والحنبلين يقولون : الصلاة على الرسول (ﷺ) في التشهد الثاني واجبة ، في الوقت الذي يقول المالكيون والحنفيون : انها سنة ^(٢) . إلا انه وطبقاً للروايات الائمة فانها واجبة على الجميع .

وعلى اي حال فان الكتب التي نقلت فيها الروايات المرتبطة بالصلوات على محمد وآل محمد (ﷺ) (سواء بشكل مطلق أو في خصوص التشهد في الصلاة) اكثر مما اوضحناه في هذا الموجز ، وما ذكر اعلاه كان بمثابة نموذج من هذه الروايات والكتب ، وقد نقل هذه الروايات مجموعة من الصحابة امثال ابن عباس ، وطلحة ، وابو سعيد الخدري ، وابو هريرة ، وابو مسعود الانصاري ، وبريدة ، وابن مسعود ، وكعب بن عجرة ، وشخص علي (ﷺ) .

الملاحظة المحيرة جداً ان علماء السنة بالرغم من كل هذه التأكيدات الواردة في روايات الرسول (ﷺ) بشأن اضافة آل محمد تراهم دائماً (باستثناء بعض الموارد النادرة) يحذفون « آل محمد » ويقولون صلى الله عليه وسلم !

والاعجب من ذلك انه : في كتب الحديث ، وحتى في الابواب التي تنقل فيها

١ - سنن البيهقي ج ٢ ص ١٤٧ .

٢ - الفقه على المذاهب الاربعة : ج ١ ، ص ٢٦٦ (طبع دار الفكر) .

الروايات الانفة بشأن اضافة « آل محمد ﷺ » فانهم عندما يذكرون اسم الرسول (ﷺ) في طيات هذه الاحاديث يقولون : « صلى الله عليه وسلم » ! (بدون اضافة الآل) ولاندرى ماعذرهم بين يدي رسول الله (ﷺ) في هذه المخالفة الصريحة لاوامره وتوجيهاته ؟

فمثلاً يكتب البيهقي في عنوان هذا الباب « باب الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد » ! وكذا الحال في البعض الاخر من مصادر الحديث المعروفة . ان اختيار هذا العنوان سواء كان من قبل مؤلفي هذه الكتب او من قبل المحققين التالين لهم ، ومع الاخذ بنظر الاعتبار ماورد في نهايته عجيب ومتناقض جداً . وننهي هذا الموضوع بذكر حديثين آخرين :

١ - ينقل ابن حجر في الصواعق هكذا : ان رسول الله (ﷺ) قال : « لاتصلوا علي الصلاة البتراء . قالوا : وما الصلاة البتراء ؟ قال : تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون ، بل قولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد »^(١) .

يوضح هذا الحديث انه حتى كلمة « على » يجب ان لاتفصل بين محمد ، وآل محمد ويجب القول : « اللهم صل على محمد وآل محمد » .

٢ - ينقل السمهودي في الاشراف على فضل الاشراف عن ابن مسعود الانصاري ان رسول الله (ﷺ) قال : « من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل »^(٢) .

وعلى ما يبدو ان الامام الشافعي في شعره المعروف ، اخذ بنظر الاعتبار هذه الرواية اذ يقول :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن انزله

١- الصواعق ١٤٤ .

٢- السمهودي في الاشراف ، ص ٢٨ طبقاً لنقل احقاق الحق ، ج ١٨ ، ص ٣١٠ .

كفاكم من عظيم القدر انكم من لم يصل عليكم لاصلاة له^(١)
ياترى ، ان الذين يمتلكون مثل هذا المقام الذي يجب ذكر اسمائهم الى جانب اسم
النبي (ﷺ) في الصلوة كواجب وفريضة الهية ، هل يمكن مساواتهم مع الآخرين .
وهل يبقى مكان لغيرهم للتصدي لمسألة الولاية والامامة وخلافة النبي (ﷺ)
بوجودهم ؟ وأي منصف بوسعه ان يرجح الآخرين عليهم - مع حيازتهم على كل
هذه الفضائل والمقام الشامخ - ؟ الا توضح كل هذه الادلة مسألة الولاية والخلافة
بشكل مباشر ؟ لكم ان تحكموا بانفسكم .



٢ - آية النور والبيوت

نقرأ في الآيات ٣٦ الى ٣٨ من سورة النور التي تأتي بعد آية :
﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، ما يلي : ﴿ فِي بُيُوتِ إِذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ
فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهَا فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ
اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ
اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .
بعد ان بين الله تعالى في الآية ٣٥ من هذه السورة ، النور الإلهي بمثال دقيق
وظريف ولطيف ، ينتقل الى مكان هذا النور في الآيات التالية .
تأملوا جيداً في التعابير الأنفة الذكر . ولاحظوا مال هذه البيوت الإلهية وحراسها
من مكانة وعظمة ، حسب الوصف والتجسيد الوارد في هذه الآيات ، ثم تأملوا
الروايات الواردة ادناه :

١ - في كتاب الغدير النفيس ورد ان انتساب هذه الايات هي للامام الشافعي عن شرح المواهب للزرقاني
ج ٧ ، ص ٧ وجمع آخر .

ينقل السيوطي في تفسير الدر المنثور عن «انس بن مالك»، و«بريدة»، وهما من صحابة الرسول ﷺ انه عندما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية، قام رجل، وقال: اي بيوت هذه يا رسول الله!

قال الرسول ﷺ: بيوت الانبياء!

فقام «ابو بكر»، وقال: هذا البيت منها لبيت علي وفاطمة؟!

قال: «نعم من أفاضلها»^(١).

ونقل «الحاكم الحسكاني» شبيه هذا المعنى في «شواهد التنزيل» عن «ابو برزة» (رجل آخر من الصحابة) عن الرسول الاكرم ﷺ، دون ان يذكر شخصاً معيناً، بل هكذا: «قيل يا رسول الله أبيت علي وفاطمة منها؟ قال من أفاضلها»^(٢).

وبعد ذكر هذه الرواية، ينقل الرواية السابقة ايضاً بطريقتين عن «انس بن مالك» و«بريدة»^(٣).

ومن الملفت للنظر ان «الآلوسي» في «روح المعاني» وبالرغم من ذكره لجميع فضائل اهل البيت (عليهم السلام) دون رغبة منه إلا انه يضيف هنا بعد ان ينقل الرواية الاولى عن «انس بن مالك» و«بريدة»: «هذا ان صحَّ لا ينبغي العدول عنه»^(٤). (وبعبارة أخرى: انه افضل كلام في تفسير الآية اذ ان المراد بذلك بيوت الانبياء وافضلها بيت علي وفاطمة).

واورد جمع آخر من كبار علماء السنة هذه الرواية في كتبهم ايضاً. ويقيناً فان هذه الروايات، تشمل علياً (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) ولديهما الحسن والحسين (عليهم السلام) وكذا اولاد فاطمة (عليها السلام) من نسل الحسين (عليه السلام) اي الائمة

١- الدر المنثور: ج ٥، ص ٥٠.

٢- شواهد التنزيل: ج ١ ص ٥٣٢، الحديث رقم ٥٦٦.

٣- نفس المصدر السابق: الحديث رقم ٥٦٧ و ٥٦٨.

٤- روح المعاني: ج ١٨، ص ١٥٧ نهاية الآية التي نحن بصددھا.

المعصومين فانهم مشمولون بهذه الآية ايضاً ، ذلك انهم يواصلون نفس الطريق ونفس النهج .

نعم ، ان بيوتهم كبيوت الانبياء ، بل من أفضلها نه بيت يتلأأ منه نور الله دائماً ، ولا تصل اليه يدُ الشيطان ، ، وبقيناً فان الساكنين في هذا البيت هم من افضل البشر ، وهم كالانبياء في الفضل والفضيلة .



٣- الصراط المستقيم

في الآية السادسة من سورة الحمد التي نقرأها ليل نهار في الصلوة نسأل الله تعالى ، ونقول : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

الصراط الذي يوصلنا اليك والى ما يرضيك ، صراطاً غير صراط الذين غضبت عليهم ولا الضالين .

اللهم اهدنا ايضاً الى هذا الصراط ، وثبتنا عليه .

بلا شك ان مفهوم «الصراط المستقيم» مفهوم واسع جداً ولذا فسرهُ البعض على انه بمعنى « الاسلام » ، والبعض الآخر فسّره على انه « القرآن » ، وبعض على انه « الرسول ﷺ » وائمة الحق « وبعض آخر بمعنى « دين الله » ، وبعض آخر بمعنى طريق واسلوب انبياء الله ، اذ ان كلاً من هذه التفاسير بوسعه ان يشكّل جزء من مفهوم الآية الواسع .

ولكن في العديد من الروايات التي نقلت عن الرسول الاكرم ﷺ بطرق مختلفة ، وُضِعَ الاصبع على واحدةٍ من ابرز مصاديق هذه الآية ، ذلك ان الصراط المستقيم قُسرَ بمعنى صراط وطريقه علي بن ابي طالب عليه السلام أو محمد وآل محمد ﷺ .

ينقل « الحاكم الحسكاني » في « شواهد التنزيل » عن « جابر بن عبد الله الانصاري » عن الرسول الاكرم (ﷺ) انه قال :

« إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ عَلِيًّا وَزَوْجَتَهُ وَابْنَتَهُ حُجَجَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَهُمْ ابْوَابُ الْعِلْمِ فِي أُمَّتِي ، مَنْ اهْتَدَى بِهِمْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »^(١).

وينقل في حديث آخر عن « ابن عباس » عن رسول الله (ﷺ) انه قال لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) : « انت الطريق الواضح وانت الصِّراطُ المستقيم وانت يعسوب المؤمنين ! »^(٢)

وينقل ايضاً في حديث ثالث عن « ابن عباس » انه كان يقول في تفسير « اهدنا الصِّراط المستقيم » : قولوا - معاشر العباد - اهدنا الى حُبِّ النبي واهل بيته !^(٣).

وينقل في الحديث الرابع عن « ابو بريدة » في نهاية هذه الآية انه قال : المراد بالصراط محمد وآله ،^(٤).

وقد أورد « العلامة الثعلبي » هذا الحديث في تفسيره ايضاً^(٥).

ونقله ايضاً « الشيخ عبيد الله الحنفي » في كتاب « ارجح المطالب » عن « ابو هريرة »^(٦).

وينقل في الحديث الخامس الوارد في « شواهد التنزيل » عن « عبد الرحمن بن زيد » عن أبيه انه قال في تفسير آية : « صراط الذين انعمت عليهم » : « هو النبي ومن مَعَهُ وَعَلَيْ بَنُ أَبِي طَالِبٍ وَشِيعَتُهُ »^(٧).

١ - شواهد التنزيل : ج ١ ، ص ٧٦ ، الحديث رقم ٨٩ .

٢ - نفس المصدر السابق : الحديث رقم ٨٨ .

٣ - نفس المصدر السابق : الحديث رقم ٨٧ .

٤ - شواهد التنزيل : ج ١ ، ص ٧٤ الرواية رقم ٨٦ .

٥ - تفسير الثعلبي بناءً على نقل كفاية الخصام ، ص ٣٤٥ .

٦ - ارجح المطالب : ص ٨٥ ، طبعة لاهور .

٧ - شواهد التنزيل : ج ١ ، ص ٨٥ ، الحديث رقم ١٠٥ .

وقد وردت روايات متعددة بهذا الشأن ايضاً في مصادر الشيعة واتباع مذهب اهل البيت ، ومنها انه ورد في رواية عن الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير « صراط الذين انعمت عليهم » انه قال : يعني محمداً وذريته عليهم السلام^(١) .
وبناءً على ذلك فان ابرز واوضح مصاديق الصراط المستقيم هو صراط النبي وعلي (عليه السلام) واولاده المعصومين من نسل فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، من اهتدى بهم وسار على نهجهم ، هُدي الى صراط مستقيم يقربه الى الله تعالى ، ويبعده عن الضلالة والانحراف .



٤ - وسيلة قبول توبة آدم (عليه السلام)

جاء في الآية ٣٧ من سورة البقرة ان آدم (عليه السلام) بعد « ترك الاولى » تلقى « كلمات من ربه » ، وتاب بهن ، وقبل الله توبته ذلك ان الله تواب رحيم ، وهو قوله تعالى « فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

فما هي هذه الكلمات التي اوحاها الله تعالى لآدم كي يتوب بهن ؟ هناك جدال بين المفسرين ، اذ يرى البعض منهم ان ذلك يعد اشارة لما جاء في الآية ٢٣ من سورة الاعراف : « قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » .

ويرى البعض الآخر ان ذك اشارة للادعية الاخرى ، ومنها دعاء يونس اثناء مكنه في بطن الحوت ، اي جملة « سُبْحَانَكَ اِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » .

ولكن جاء في الروايات المتعددة التي نقلت عن الرسول الاكرم (عليه السلام) او عن

١ - نور الثقلين : ج ١ ، ص ٢٣ ، الحديث رقم ١١٠١ (للمزيد من الاطلاع على هذه الاحاديث يرجى مراجعة تفسير نور الثقلين والبرهان) .

الصحابة ، ان تلك الكلمات كانت القسم على الله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين .

ينقل السيوطي في « الدر المنثور » في نهاية هذه الآية عن « ابن عباس » اني سألت رسول الله (ﷺ) : عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه . قال : سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا ثبت علي . فتاب عليه ^(١) .

وينقل ايضاً في ذلك الكتاب عن علي (عليه السلام) اني سألت الرسول الاكرم (ﷺ) عن تفسير هذه الآية ، قال : ... أمر الله آدم ان قل : « اللهم اني اسئلك بحق محمد وآل محمد ، سبحانك لا اله الا انت عملت سوء وظلمت نفسي فَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ انتَ الغفور الرحيم ، اللهم اني اسئلك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا اله الا انت عملت سوء وظلمت نفسي فُتِّبَ عَلَيَّ إِنَّكَ انتَ التَّوَّابُ الرحيم فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم » ^(٢) . يُعَلَّمُ جيداً من هذه الروايات انه لا منافاة بين التفاسير الثلاثة اعلاه ، وكل هذه الكلمات كانت مجموعة في دعاء آدم (عليه السلام) .

ونقل « ابن المغازلي » في مناقبه نفس هذا المعنى عن « سعيد بن جبير » عن « ابن عباس » انه سأل الرسول (ﷺ) بشأن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ، فقال الرسول (ﷺ) : « سَأَلَهُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ إِلَّا مَا تُبَيِّنُ عَلَيَّ فَتَابَ عَلَيْهِ » ^(٣) .

ونقل « العلامة القندوزي » هذا الحديث ايضاً في « ينابيع المودة » ، والبيهقي في « دلائل النبوة » ، و « البدخشي » في « مفتاح النجاة » ، و « عبد الله الشافعي » في « المناقب » ^(٤) .

١- الدر المنثور : ج ١ ، ص ٦٠ .

٢- الدر المنثور : ج ١ ، ص ٦٠ .

٣- مناقب ابن المغازلي : طبقاً لنقل احقاق الحق ، ج ٩ ص ١٠٢ .

٤- نفس المصدر السابق .

وبالرغم من ان الكثير من الكتب ، انتهت سند هذا الحديث بـ « ابن عباس » ، إلا ان الراوية لا ينحصر بـ « ابن عباس » ، ذلك انه ينقل نفس هذا المعنى في « الدر المنثور » عن الديلمي في « مسند الفردوس » بسند ينتهي بـ علي عليه السلام ، ان علياً عليه السلام يقول : سألت من الرسول الاكرم ﷺ بشأن هذه الآية الى ان يقول : « فعليك بهؤلاء الكلمات فان الله قابل توبتك وغافر ذنبك قل : اللهم اني اسألك بحق محمد وآله محمد سبحانه لا اله إلا انت عملت سوء وظلمت نفسي فتاب علي انك انت التواب الرحيم »^(١).

ونقل هذا المعنى في مصادر اهل البيت عليهم السلام ومصادر السنة عن الامام الصادق عليه السلام أيضاً ، ورواياته متعددة وطرقه متنوعة^(٢).

لا ينبغي النظر الى هذا الحديث على انه فضيلة عابرة ، والمرور به مروراً عابراً ، اذ ان آدم عليه السلام عندما يريد ان يتوب من تركه الاولى (وهذا اول ترك للاولى) يؤمر من قبل الله ان يسأله بحق محمد وآل محمد ﷺ ، أو بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، كي يقبل توبته .

لاسيما وان هذا المعنى لم يرد بشأن احد سواهم ، وهو مقام رفيع مختص بهم ، وهذا دليل العظمة الفائقة للخمسة الطيبة وللرسول واهل بيته والائمة المعصومين عليهم السلام .

وعلى هذا كيف يمكن القول بوجود من هو افضل وأليق منهم لخلافة وولاية الرسول ﷺ ، وكيف يمكن ترجيح سواهم عليهم ؟

وبالرغم من وجود مثل هذه الاسانيد ، أمين العجب - ياترى - أن تبقى الامامة في

١ - الدر المنثور : ج ١ ، ص ٦٠ (مع الاختصار) .

٢ - تفسير البرهان : ج ١ ، ص ٨٦ - نور الثقلين ، ج ١ ، ص ٦٧ فما فوق - البحار ، ج ٢٦ ، ص ٣١٩ فما فوق .

نسل الرسول (ﷺ) الى يوم القيامة؟!



٥- افضل الحسنات

نقرأ في الآية ٨٩ من سورة النمل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ مِنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ﴾ .

للحسنة هنا ، مفهوم واسع بأنها تشمل جميع الحسنات ، وتبشّر مَنْ يأتي بحسنة ، فله خيرٌ منها ، واحد آثارها المهمة الأمان من خوفٍ وفزعٍ يوم المحشر وهو اعظم الفزع .

ولكن ورد في بعض الروايات « ان محبة اهل بيت النبي ﷺ تعتبر واحدة من اهم وابرز مصاديق الحسنة في هذه الآية ، وتبيّن ان هذه المحبة تعد من افضل وسائل الأمان في يوم المعاد .

ونقلت عدة روايات في « شواهد التنزيل » في نهاية هذه الآية بهذا المعنى ، ان المراد من « الحسنة » في الآية اعلاه محبة اهل البيت (عليهم السلام) .

ومنها انه يُنقل عن « ابي عبد الله الجدلي » عن عليّ (عليه السلام) انه قال له : « ألا أخبرك بقول الله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ - الى قوله - تعملون ؟ قال : بلى جُعلت فداك . قال : الحسنة حبنا أهل البيت والسيئة بغضنا . ثم قرأ الآية ،^(١) .

ونقل نفس هذا المعنى في الحديثين ٥٨٢ . و ٥٨٧ مع هذا الفارق انه جاء في نهاية الحديث الثالث : « ألا أخبرك بالسيئة التي مَنْ جاء بها اكْبَهُ الله على وجهه في نار جهنم ، بُغْضَنَا اهل البيت ! ثم تلا امير المؤمنين (عليه السلام) الآية الثانية وقال : ﴿ وَمَنْ جَاءَ

بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ» ^(١).

وَيُنْقَلُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ «ابو امامة الباهلي» ^(٢) ان رسول الله ﷺ قال :
« إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى وَخَلَقَنِي وَعَلِيًّا مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَنَا أَصْلُهَا
وَعَلِيٌّ عليه السلام) فرعها ، والحسنُ والحسينُ ثمارها ، وأشياعنا أوراقها ، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُضَنِ مِنْ
أَغْصَانِهَا نَجَا ، وَمَنْ زَاغَ هَوًى ، وَلَوْ أَنَّ عَابِدًا عَبَدَ اللَّهَ أَلْفَ عَامٍ ، ثُمَّ أَلْفَ عَامٍ ، ثُمَّ أَلْفَ عَامٍ
ثُمَّ لَمْ يَدْرِكْ مُحِبَّنَا أَكْبَهُ اللَّهَ عَلَى مِنْخَرِيهِ فِي النَّارِ ! » ^(٣).

وَيُنْقَلُ الْعَلَامَةُ الْقَنْدُوزِي أَيْضًا مَضْمُونِ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام وَيَخْتَمُ
الْحَدِيثُ ، أَنَّهُ قَالَ : « الْحَسَنَةُ حَبَّتَا وَالسَّيِّئَةُ بَغُضْنَا » ^(٤).

وَيُنْقَلُ عَنْ «ابن كثير» عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ نَفْسَهُ أَنَّهُ قَالَ
(آيَةٌ) : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا » ، قَالَ : هِيَ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَةٌ وَأَمَّا الْحَسَنَةُ
الَّتِي مِنْ جَاءَ بِهَا فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرْعٍ يَوْمُئِذٍ آمَنُونَ فَهِيَ وَلَايَتُنَا وَحُبُّنَا .

وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْمَفْسَرِينَ وَارِبَابِ الْحَدِيثِ لَمْ يَوْرَدُوا مَوْدَةَ أَهْلِ
الْبَيْتِ عليه السلام عَلَى أَنَّهَا حَسَنَةٌ كَبِيرَةٌ فِي نَهَايَةِ الْآيَةِ الَّتِي نَحْنُ بِصَدْدِهَا ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَلُوا
هَذَا الْمَضْمُونُ لِلْأَحَادِيثِ أَعْلَاهُ فِي نَهَايَةِ الْآيَةِ ٢٣ مِنْ سُورَةِ الشُّورَى : « وَمَنْ يَقْتَرِفْ
حَسَنَةً نَرِزْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا » .

وَمِنْ جُمْلَةِ هَؤُلَاءِ «السيوطي» إِذْ نَقَلَ فِي «الدر المنثور» عَنْ «ابن أبي حاتم»

١- شواهد التنزيل : ج ١ ، ص ٥٥٢ ، الحديث رقم ٥٨٧ .

٢- أبو امامة الباهلي كان من أصحاب الرسول الأكرم ﷺ ، وذكروا أن وفاته كانت سنة ٨١ ، وهو آخر
مَنْ تَوَفَّى فِي الشَّامِ (اسد الغابة ، فِي مَادَّةِ صَدَيْهِ) ، وَلَكِنْ فِي كِتَابِ الْكُنَى وَالْأَلْقَابِ ذَكَرُوا أَنَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ
سَنَةَ ٨٦ وَاسْمُهُ صُدِّي عَلَى وَزْنِ رُجَيْلٍ ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ الَّذِينَ جَعَلَ عَلَيْهِمْ مَعَاوِيَةُ الْعِيُونَ لئَلَّا يَذْهَبَ إِلَى
عَلِيٍّ عليه السلام .

٣- شواهد التنزيل : ج ١ ص ٥٥٣ ، الحديث رقم ٥٨٨ .

٤- ينابيع المودة : ص ٩٨ .

عن « ابن عباس » انه قال في تفسير هذه الآية : « المودّة لآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ »^(١) .
ويقول « الألوّسي » في « روح المعاني » في نهاية هذه الآية (النور - ٢٣) ، بعد ان يقول : ان بعض المفسرين قالوا : المراد من « الحسنه » المودّة لذوي قربي رسول الله ﷺ ، يقول : هذا المعنى نُقل عن « ابن عباس » و « السدي » ، ثم يضيف قائلاً : محبة آل الرسول من اعظم الحسنات ، وجاء عنوان « الحسنه » في صدر هذه الآية^(٢) .

وهناك احاديث أخرى شبيهة بالاحاديث السابقة وردت في كتب أخرى ، لو اردنا ذكرها لطلّ بنا المقام .

ونختم هذا البحث بحديث ورد بشأن محبة اهل البيت (عليهم السلام) (وان لم يرد في نهاية الآية) :

نقل « الشبلنجي » في حديثاً عن الرسول ﷺ ، في كتاب « نور الابصار » وصرّح بانه حديث صحيح ، وقد ورد ضمن الحديث ان الرسول ﷺ قال : « واللّه لا يدخل قلب رجل ، الايمان حتى يحبّهم (اهل بيتي) لقربتهم منّي »^(٣) .

وهذه الملاحظة ايضاً لها أهميتها ، اذ ان المحبة العادية والمألوفة لا يسعها إطلاقاً ان تصبح وسيلةً للنجاة من فزع يوم القيامة ، او أن تكون شرطاً من شروط الايمان . ان هذه التعابير توضح بشكل جليّ ان محبة اهل البيت انما هي اشارة لمسألة الولاية والامامة الهامة لبناء الدين ، اذ تعد سبب بقاء الدين واستمرارية خط النبوة وحفظ الايمان .



١ - الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٧ .

٢ - روح المعاني : ج ٢٥ ، ص ٣١ .

٣ - نور الابصار : ص ١٢٦ .

من مجموع ما ورد بنحو الاشارة في الآيات السابقة ، وما ورد بشكل صريح في الروايات الواردة في تفسير تلك الآيات ، تتضح لنا هذه المسألة ، وهي : ان آل محمد عليهم السلام واهل بيت الرسول عليه السلام خاصة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام يحظون بمقام رفيع جداً وذلك لانهم :

أولئك الذين تعد محبتهم أجراً على الرسالة .

من لم يصلّ ويسلم عليه لا صلاة له .

تعد منزلتهم بمثابة الصراط المستقيم .

ان آدم ومن اجل الفكاك من غضب الله تعالى عليه بسبب « تركه الاولى » اقسام

باسمائهم على الله تعالى وتاب لكي تقبل توبته !

واخيراً فان مودتهم حسنة تنفذ كل مؤمن من خوف وفزع يوم القيامة .

نعم ، ان الذين يتصفون بهذه الصفات الحميدة ، ويحظون بهذا المقام الشامخ

كما ورد في الروايات المعروفة للسنة والمصادر المشهورة لاهل البيت ، لا يمكن ان

يجاريهم الآخرون اطلاقاً ، وبالنتيجة لا يمكن الذهاب لغيرهم مع وجودهم ، وبقيناً

فان هذه المحبة والمودة تعد مقدمة لمسألة الولاية والقيادة والتي بدورها تعد

استمراراً لخط قيادة الرسول عليه السلام .

وكذلك الذين ذكروا في الروايات المتواترة لحديث الثقلين وأصبحوا الى جوار

القرآن الكريم يمثلون احد الثقلين ، واصبح الاثنان يمثلان وسيلتي النجاة من

الضلال ، تلك الوسيلتان اللتان ستبقيان قائمتين في الامة الاسلامية حتى قيام

الساعة ، ولا بد للسلمين ان يلجأ والهما .

والذين عُرِفوا بانهم سفينة النجاة ، ونجوم الهداية الساطعة هم خير البرية

وافضل الناس ، هذه الاوصاف التي وردت في اغلب المصادر المعروفة والمشهورة

لكلا الفريقين .

نعم ، اننا نعتقد بأن الرسول الاكرم (ﷺ) وتأكيداً على الاشارات الواردة في آيات القرآن الكريم بهذا الشأن اتمّ الحجة بحديثه على جميع المسلمين ، وبقي على المسلمين ان يختاروا سبيل نجاتهم بعيداً عن مشاعر التعصب والاحكام المسبقة ، اي ان يلجأوا الى آل محمد (ﷺ) ليصلوا من خلال هدايتهم وقيادتهم الى السعادة وبر الامان ، والذين لا يعتنون بكل هذه الاشارات والتصريحات المستندة الى هذا الكم من الوثائق المعتبرة او يبررون ويؤولون ويفسرون بالرأي ، عليهم ان يجيبوا على اعمالهم هذه .



التصريح باسماء أئمة اهل البيت (عليهم السلام)

هذه الملاحظة جديرة ايضاً بان تذكر وهي : ان في البعض من الروايات الواردة في مصادر السنة ذكرت اسماء الأئمة الاثنا عشر بشكل كامل ايضاً ، اي انه بعد ذكر عليّ (عليه السلام) ورد اسم الامام الحسن (عليه السلام) ثم الامام الحسين (عليه السلام) ثم الامام علي بن الحسين (عليه السلام) ثم الامام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) وبعده جعفر بن محمد الصادق ، ثم موسى بن جعفر الكاظم ، ثم علي بن موسى الرضا ، ثم محمد بن علي التقي ، وبعده علي بن محمد النقي ، ثم الحسن بن علي العسكري ، ثم محمد بن الحسن المهدي (عليه السلام) !

ومن هؤلاء الذين ذكروهم « سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي » اذ نقل في كتاب « ينابيع المودة » حديثين بهذا الشأن :

الحديث الاول : ينقله عن « فرائد السمطين » بسند ينتهي بابن عباس ان يهودياً جاء الى الرسول (ﷺ) وسأل اسئلة متعددة حول الاسلام والتعاليم الاسلامية ، ومن جملة اسئلته انه قال : اخبرني عن وصيك من هو ؟ فما من نبي إلا وله وصي ،

وان نبينا موسى بن عمران اوصى يوشع بن نون ، فقال (عليه السلام) : ان وصيي علي بن ابي طالب ، وبعده سبطاي الحسن والحسين ، تتلوه تسعة ائمة من صلب الحسين^(١) .

الحديث الثاني : وينقل في حديث آخر عن « المناقب » عن جابر بن عبد الله الانصاري قصة مشابهة لهذه القصة ايضاً ، وردت فيها اسماء الاثمة الاثنا عشر واحداً بعد الآخر بشكل صريح ، وقد اشرنا الى كلا الحديثين بنحو الاختصار لطولهما^(٢) .

ويجب ان لا ننسى باننا نقلنا روايات كثيرة في السابق لها دلالة على الاثمة الاثنا عشر بنحو الاجمال ، ومتى ما عاودتم الرجوع الى ذلك البحث ، واخذتم بنظر الاعتبار تلك الروايات المعتبرة والمشهورة المنقولة عن طرق السنة والشيعة ستلاحظون بانه لم يطرح اي تفسير صحيح وجدير بالملاحظة بشأن الاثمة الاثنى عشر (او الخلفاء والامراء الاثنى عشر) سوى ما نقلوه الشيعة ، وبقي الجميع متحيرين في تفسير عدد الاثنى عشر بشأن خلفاء الرسول (عليه السلام) .

ان هذه الروايات المنقولة في اكثر مصادر الحديث اعتباراً ، على درجة من القوة بحيث انها غير قابلة للانكار ، والتفسير الصحيح والوحيد لهذه المسألة هو التفسير الذي ذكره « الامامية » .

نأمل ان يأتي اليوم الذي ندع فيه احكامنا المسبقة جانباً ، ونشرع بانجاز بحث جديد ومستقل على هذه الروايات والآيات القرآنية بشأن الامامة وخلافة رسول الله (عليه السلام) ، لعل ذلك يؤدي الى فتح آفاق جديدة امام الجميع .



١ - ينابيع المودة : ص ٤٤٠ ، الباب ٧٦ .

٢ - ينابيع المودة : ص ٤٤٢ ، الباب ٧٦ .

الامام المهدي (عليه السلام)

تمهيد :

على العكس ما يتصوره بعض الجهلة فان الاعتقاد بقيام المهدي (عليه السلام) وحكومته العالمية ، لا يختص فقط بالشيعه واتباع مذهب اهل البيت (عليهم السلام) ، بل ان جميع الفرق الاسلاميه دون استثناء يعتقدون بظهور رجل من ذرية الرسول في آخر الزمان يسمى المهدي ، يملأ الارض قسطاً وعدلاً ، ونقلوا رواية هذا الموضوع في كتبهم عن الرسول الاكرم (ﷺ) .

وقد كُتبت مصنفات كثيرة وذكرت روايات عديدة في هذا الصدد على ايدي علماء السنّة والشيعه سنشير الى بعض منها في الابحاث القادمة .

هذه الروايات من الروايات المتواترة والقطعية وايدها جميع المحققين من الاسلاميين - بصرف النظر عن مذاهبهم الخاصة - ، باستثناء عدد محدود مثل « ابن خلدون » ، و « أحمد أمين المصري » اللذان شككا في صدور هذه الروايات عن الرسول (ﷺ) ، وبين ايدينا مجموعة من القرائن الدالة على ان الباعث الذي حملهم على هذا السلوك لم يكن ضعف الروايات ، بل لعلمهم كانوا يتصورون بان الروايات المتعلقة بظهور المهدي تنطوي على الخارق من العادات بحيث لا يسعهم تصديقها بسهولة .

هذا في الوقت الذي قبل بذلك ايضاً اكثر الفرق الاسلامية تعصباً لاسيما الوهابيون ، واعترفوا بتواتر احاديثه .

والشاهد على هذا الادعاء بيان صدر قبل عدة سنوات من قبل رابطة العالم الاسلامي الواقعة بشدة تحت نفوذ الوهابيين وحكومة آل سعود ، جواباً على سؤالٍ موجهٍ لهم بشأن ظهور الامام المهدي (عليه السلام) .

وكان هذا البيان بمثابة جواب لأحد أهالي (كينيا) بأسم «ابو محمد» وبتوقيع الامين العام «لرابطة العالم الاسلامي» «محمد صالح القزاز» ، وقد ورد في هذا البيان مايلي :

ان «ابن تيمية» مؤسس مذهب الوهابيين يؤيد الاحاديث المتعلقة بالمهدي (عليه السلام) يتعرض بعد ذلك الى الرسالة التي اعدّها خمسة من علماء الحجاز المعروفين في هذا الشأن : ونقرأ في مقطع من هذه الرسالة :

(عندما يظهر الفساد في العالم وينتشر الكفر والظلم . سوف يملأ الله تعالى العالم عدلاً : (المهدي) كما مليء ظلماً وجوراً ، وأنه آخر الخلفاء الراشدين الاثنى عشر الذين أخبر عنهم النبي (ﷺ) في كتب الصحاح المعتبره ...) .

وقد نقل الكثير من صحابة النبي (ﷺ) الاحاديث المتعلقة بالمهدي ، ومن جملتهم : عثمان بن عفان ، علي بن ابي طالب ، طلحة بن عبيد الله ، عبد الرحمن بن عوف ، عبد الله بن عباس ، عمار بن ياسر ، عبد الله بن مسعود ، ابو سعيد الخدري ، ثوبان ، قرة بن اياس المزني ، عبد الله بن الحارث ، أبو هريرة ، حذيفة بن اليمان ، جابر بن عبد الله الانصاري ، ابو امامة ، جابر بن ماجد ، عبد الله بن عمر ، انس بن مالك ، عمران بن الحصين ، وام سلمة .

وهؤلاء عشرون شخصاً ممن نقلوا روايات المهدي ، ويوجد كثير غيرهم .

كما نقلت احاديث كثيرة حول ظهور المهدي عبر اولئك الصحابة انفسهم بما

يمكن اعتبارها من ضمن الروايات النبوية ، لان هذه المسألة ليست بالتالي يمكن الاجتهاد حولها (ولذلك فان الصحابة سمعوا بها من النبي ﷺ) .

ثم يضيف : ان هاتين المسألتين - اي روايات النبي ﷺ) وروايات الصحابة التي لها هنا حكم الحديث - جاءنا في الكثير من المتون الاسلامية المعروفة وكتب الحديث الرئيسية اعم من (السنن) و (المعاجم) و (المسانيد) .

ومن جملتها (سنن ابي داود ، سنن الترمذي ، ابن ماجة ، ابن عمرو ، مسند أحمد ، وابن ليلى ، والبزاز ، وصحيح الحاكم ، ومعجم الطبراني ، والدارقطني ، وابو نعيم . والخطيب البغدادي . وابن عساكر وغيرهم) .

ثم يضيف : ولأهمية هذه القضية كتب وألف البعض من علماء المسلمين كتباً خاصة بموضوع اخبار المهدي . من ضمنهم (ابو نعيم الاصفهاني) في [اخبار المهدي] و (ابن حجر الهيتمي) في [القول المختصر في علامات المهدي المنتظر] والشوكاني في [التوضيح في تواتر (ما) جاء في المنتظر والدجال والمسيح] و (ادريس العراقي المغربي) في كتاب [المهدي] وابو العباس ابن (عبد المؤمن المغربي) في كتاب [الوهم المكنون في الرد على ابن خلدون] .

يضيف بعد ذلك : وقد صرح قسم من علماء المسلمين الكبار - قديماً وحديثاً - في تأليفاتهم بان الاحاديث المتعلقة بالمهدي وصلت الى حد التواتر (ولهذا فهي غير قابلة للانكار) .

ومن جملة هؤلاء (السخاوي) في كتاب [الفتح المغيث] ومحمد بن احمد السفاويني في [شرح العقيدة] ، وابو الحسن الابري في [مناقب الشافعي] ، وابن تيميه في كتاب فتاويه ، والسيوطي في [الحاوي] ، وادريس العراقي في كتابه ، والشوكاني في [التوضيح] ، ومحمد جعفر الكناني في [نظم التنافر] .

ويقول في نهاية هذا المبحث : ان (ابن خلدون) فقط حالو النيل من احاديث

المهدي ولكن سادة الدين وعلماء المسلمين ردّوا اقواله . وبعض آخر مثل (ابن عبد المؤمن) ألفوا كتباً خاصة في الرد عليه .

وخلاصة القول : ان حفظة الحديث وعظماء الشريعة قد صرحوا بان احاديث المهدي تشتمل على روايات صحيحة وحسنة تؤدي بمجموعها الى التواتر .

ويستنتج في الختام : (وبناءً على ذلك فان الاعتقاد بظهور المهدي يعتبر واجباً على كل مسلم . وهو جزء من عقائد أهل السنة والجماعة . ولا ينكر ذلك إلا كل جاهل أو مبتدع)^(١) .

ومن الضروري ايضاً الاشارة الى هذا المطلب ، انه حسب اعتقاد طائفة من المحققين ، فان الاعتقاد بوجود المهدي لا يقتصر على المسلمين فقط ، بل ان سائر اتباع المذاهب الاخرى ايضاً في انتظار مصلح كبير لهذا العالم ، وقد أشير الى هذا المعنى في مصادرهم المختلفة ، وللتعرف على الشرح الوافي لهذا الموضوع لابد من مطالعة الكتب المصنّفة بشأن ظهور المهدي^(٢) .



والآن ومع الاخذ بنظر الاعتبار اسلوب مباحث الكتاب التي تدور حول محور التفسير الموضوعي ، ننتقل الى الآيات التي تشير الى هذا الظهور الكبير :

١ - من الرسالة المؤرخة في ٢١ مايو ١٩٧٦ التي جاءت بتوقيع مدير المجمع الفقهي الاسلامي محمد منتظر الكناني ، وهي الرسالة التي جاءت نتيجة مباحثة المذكور مع اربعة اشخاص آخرين من فقهاء الحجاز المعروفين وهم : الشيخ صالح بن عيشين ، والشيخ احمد محمد جمال ، والشيخ احمد علي ، والشيخ عبد الله الخياط .

٢ - بانكانكم مراجعة كتاب ثورة المهدي العالمية بهذا الشأن .

١ - حكومة الصالحين في الارض

نقرأ في سورة الانبياء : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿ (الانبياء : ١٠٥ - ١٠٦).

تأتي هذه الآيات بعد الآيات التي تبين الاجر الاخروي للصالحين ، وفي الواقع فانها تكشف عن الاجر الدنيوي لهم ، وهو اجرٌ مهمٌ جداً ، ذلك انه يهيء ارضية السعادة وتطبيق احكام الله تعالى ، وصلاح ونجاة المجتمع الانساني .

مع الأخذ بنظر الاعتبار ان « الارض » بمعناها المطلق تشمل كل الكرة الارضية ، وجميع انحاء العالم (إلا اذا كانت هناك قرينة خاصة) ، فان هذه الآية تعدّ بشارةً بخصوص الحكومة العالمية للصالحين ، واذ لم يتحقق هذا المعنى في الماضي ، فلا بد من انتظار تحققه في المستقبل ، وهذا هو نفس الشيء الذي نتوخاه تحت عنوان « الحكومة العالمية للمهدي » .

وهذه الملاحظة جديرة بالاهتمام ايضاً اذ تقول الآية : ولقد كتبنا هذا الوعد في كتب الانبياء السابقين ايضاً ، وهذه اشارة الى ان هذا الوعد ليس وعداً جديداً ، بل انه امرٌ متجذر ورد في المذاهب الاخرى ايضاً .

المراد بـ « الزبور » على الاقوى نفس « زبور داود » ، وهو عبارة عن مجموعة من المناجاة ، والادعية ، ونصائح داود النبي المذكور المذكورة في كتب العهد القديم (الكتب الملحقة بالتوراة) باسم « مزامير داود » .

واللطيف انه - بالرغم من كل التحريفات التي طالت كتب العهد القديم بمرور الزمان - فان هذه البشارة الكبيرة يمكن ملاحظتها بشكل واضح في نفس هذا الكتاب اي « مزامير داود » .

ونقرأ في المزمور / ٣٧ الجملة / ٩ : (... لأن الاشرار سينقطعون . واما المتوكلون

على الرب فسيكونون ورثة الارض . وحالاً يختفي الاشرار . وكلما بحثت عنهم فسوف لن تجد لهم أثراً) .

وجاء في الجملة / ١١ : (أما المتواضعون فقد ورثوا الارض . وهم يتلذذون من وفور النعمة) .

وورد المعنى نفسه ايضاً في الجملة / ٢٧ من نفس المزمور بالعبارة التالية : (لأن مبارك الرب سيرثون الارض . اما ملعونه فسوف يتقطعون) .

وجاء في الجملة / ٢٩ : (فالصديقون ورثوا الارض . وسيسكنونها ابدأ) .

ومن الواضح ان التعابير السابقة من قبل « الصديقون » ، « المتوكلون » « المتبركون » و « المتواضعون » اشارة لعبارة « المؤمنون الصالحون » التي وردت في القرآن الكريم .

والمراد من « الذكر » في الآية الآنفه الذكر حسب اعتقاد الكثير من مفسري التوراة ، وتشهد على ذلك الآية ٤٨ من سورة الانبياء : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

واحتمل البعض الآخر ان المراد من « الذكر » ، « القرآن » ، وجميع كتب الانبياء السابقين من « الزبور » . (وبناء على ذلك فان معنى الآية يصبح بهذا الشكل : لقد كتبنا هذه البشارة في جميع كتب الانبياء السابقين بالاضافة « للقرآن ») .

وعلى اي حال فان هذه البشارة قد جاءت ايضاً في قسم من ملحقات التوراة مثل كتاب « النبي اشعيا » كما نقرأ ذلك في الفصل الحادي عشر من هذا الكتاب : (الاذلاء بعدالة الحكم . وستكون الارض حقاً نكالاً « ورمزاً لليقظة » للمساكين ... حزام ظهرها العدل ... ونطاق وسطها سيكون الوفاء ... سيسكن « سيأنس » الذئب مع الشاة ... وسيكون الطفل الصغير راعيها ... لأن الارض ستملئ من علم الله . كما تمتلئ البحار من المياه) .

كما تلاحظ مثل هذه الاشارات في كتاب التوراة نفسه ايضاً من جملتها :
الفصل / ١٣ رقم ١٥ : (سنعطي الارض الى واحد من اولاد ابراهيم . ولو عد أحد
ذرات غبار الارض لعدّ ذريته) .

وجاء في الفصل / ١٧ الجملة / ٢٠ : (اعطيته « اسماعيل » بركتي واربيته
(ابناءؤه) الى اقصى غاية وسيظهر منه اثني عشر سيداً وامة عظيمة) .

لاحظوا الجملة الثانية عشر فانه سيبعث السرور مما يدل على ان الائمة الاثني
عشر كلهم من ذريته واولاده .

وفي الفصل / ١٨ الجملة / ١٨ : (سيتبارك منه جميع اقوام الدنيا ..) .

وهناك تعابير واشارات أخرى من هذا القبيل لو اردنا ذكرها لطلال بنا المقام .



لقد وردت هذه المسألة بشكل صريح في الروايات الاسلامية ايضاً - بالاضافة
الى الاشارات الواضحة لمسألة قيام المهدي (عليه السلام) في الآية السابقة - ، ومنها ان
المرحوم « الطبرسي » في « مجمع البيان » نُقل في نهاية هذه الآية عن الامام
الباقر (عليه السلام) قوله :

« هم اصحابُ المهديّ في آخر الزّمانِ » .

وجاء في تفسير القمي ايضاً في نهاية هذه الآية مايلي :

« قال القائمُ وأصحابه » .

ليس من شك في انه من الممكن ان يقيم عباد الله الصالحون حكومة على جزء
من الارض ، كما حصل في عصر رسول الله (ﷺ) وبعض الاعصار الاخرى ، إلا ان
استقرار الحكومة بأيدي الصالحين على وجه الارض كلها ستحصل في عصر
المهدي (عليه السلام) فقط ، وهناك روايات كثيرة بلغت حد التواتر ، وقد وردت عن طرق

السنة والشيعه بهذا الصدد .

كما ان « الشيخ منصور علي ناصف » مؤلف كتاب « التاج الجامع للاصول » - وهو كتاب يضم الاصول الخمسة المعروفة لدى السنة ، وقد كتب علماء الازهر تقارير مهمة عليه - أورد في الكتاب المذكور ما يلي :

« اشتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً أنه في آخر الزمان لابد من ظهور رجل من اهل البيت مسمى المهدي يستولي على الممالك الاسلامية ويتبعه المسلمون ويعدل بينهم ويؤيد الدين » .

ثم يضيف قائلاً : « وقد روى احاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة ، وأخرجها اكابر المحدثين : كابي داود ، والترمذي ، وابن ماجة ، والطبراني ، وابي يعلى والبزاز والامام احمد والحاكم ^(١) .

لم يستطع حتى ابن خلدون المعروف بمخالفته لاحاديث المهدي ، انكار شهرة هذه الاحاديث بين جميع علماء الاسلام ايضاً ^(٢) .

ومن الذين اوردوا تواتر هذه الاخبار في كتبهم « محمد الشبلنجي » العالم المصري المعروف في كتاب « نور الابصار » اذ يقول :

« تواتر الاخبار عن النبي (ﷺ) على ان المهدي من اهل بيته وأنه يملأ الارض عدلاً » .

لقد ورد هذا التعبير في الكثير من الكتب الاخرى ايضاً ، حتى ان « الشوكاني » من علماء السنة المعروفين يقول في كتاب ألفه حول توار الاحاديث المرتبطة بالمهدي (عليه السلام) ، وخروج الدجال ، وعودة المسيح (عليه السلام) ، بعد بحث مفصل بشأن تواتر الاحاديث المتعلقة بالمهدي (عليه السلام) : « هذا يكفي كمن كان عنده ذرة من الايمان

١ - التاج الجامع للاصول : ج ٥ ص ٣٤١ (ورد هذا المطلب كهامش في تلك الصفحة) .

٢ - ابن خلدون : ص ٣١١ (طبعة بيروت) .

وقليل من انصاف»^(١).

ومن المستحسن هنا ان نذكر على الاقل بعضاً من روايات النخبة الواردة في اشهر المصادر الاسلامية كنموذج من هذا البيدر :

١ - ينقل « احمد بن حنبل » من أئمة السنة الاربعة في كتابه « المسند » عن « ابو سعيد الخدري » ان الرسول الاكرم (ﷺ) قال : « لا تقوم الساعة حتى تُمتلأ الارض ظلماً وعدواناً ، قال ثم يخرج رجلٌ من عترتي أو من اهل بيتي يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وعدواناً »^(٢).

٢ - ونقل الحافظ ابو داود السجستاني نفس هذا المعنى في كتابه « السنن » مع فارق ضئيل^(٣).

٣ - نقل الترمذي المحدث المعروف بسند صحيح (طبقاً لتصريح منصور علي ناصف في التاج) عن عبد الله ، عن الرسول الاكرم (ﷺ) انه قال : « لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ لطوّل الله ذلك اليومَ حتى يبعث رجلاً مني او من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ، واسم ابيه اسم أبي »^(٤) ، يملأ الارض قسطاً وعدلاً ، كما مُلئت ظلماً وجوراً »^(٥).

واورد الحاكم النيشابوري في « المستدرک » ما يشبه هذا الحديث مع فارق قليل ، ويقول في نهايته : هذا حديث صحيح^(٦).

٤ - ونقل ايضاً في صحيح « ابي داود » عن امّ سلمة انها قالت : سمعتُ رسول الله (ﷺ) : انه كان يقول : « المهديُّ من عترتي من ولدِ فاطمة »^(٧).

١ - نقلاً عن كتاب التاج : ج ٥ ، ص ٣٦٠ (طبعة دار احياء التراث العربي) .

٢ - مستدرک احمد : جملة ٣ ، ص ٣٦ .

٣ - سنن ابي داود : ج ٤ ص ١٥٢ .

٤ - صرح بعض العلماء الكبار ان الصحيح هنا ، اسم ابيه اسم ابني ، وبهذا الشكل يكون موافقاً تماماً للاسم المبارك للامام المهدي حسيب اعتقاد الشيعة اي (محمد بن الحسن العسكري) .

٥ - التاج : ج ٥ ، ص ٣٤٣ .

٦ - المستدرک : ج ٤ ، ص ٥٥٨ .

٧ - صحيح ابي داود : ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

٥ - نقل الحاكم النيشابوري في المستدرک ، حديثاً أكثر تفصيلاً بهذا الشأن عن ابي سعيد الخدري عن الرسول الاكرم (ﷺ) انه قال : « يَنْزِلُ بِأُمْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَلَاءٌ شَدِيدٌ مِنْ سُلْطَانِهِمْ ، لَمْ يُسْمَعْ بَلَاءٌ أَشَدَّ مِنْهُ ، حَتَّى تَضِيقَ عَنْهُمْ الْأَرْضُ الرَّخْبَةَ ، وَحَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ جَوْرًا وَظُلْمًا ، لَا يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مَلْجَأً يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا مِنْ عَتَرَتِي ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا ، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ ، لَا تَدْخِرُ الْأَرْضُ مِنْ بَذَرِهَا شَيْئًا إِلَّا أَخْرَجَتْهُ ، وَلَا السَّمَاءُ مِنْ قَطَرِهَا شَيْئًا إِلَّا صَبَّهَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا » ^(١).

وبعد ذكر هذا الحديث يقول الحاكم : هذا حديث صحيح بالرغم من ان «البخاري» و «مسلم» لم يورداه في كتبهم .

ومثل هذه الاحاديث - الواردة عن مختلف الرواة من المصادر المشهورة - كثيرة جداً ، وتشير الى الحكومة العالمية التي ستقام في نهاية المطاف على اليد المقتدرة الكفوءة للامام المهدي (عجل الله فرجه) ، ويملاً العدل والقسط كل مكان ، ويتحقق بالتالي مضمون الآية السابقة : ﴿ اِنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ .

٢ - آية سورة النور

نقرأ في الآية ٥٥ من هذه السورة : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

لقد بُشر المؤمنون الصالحون في هذه الآية المباركة وبشكل صريح ، انهم سيمسكون زمام السلطة والحكومة على الارض في نهاية المطاف ، وسيُنشر الدين

١ - المستدرک على الصحيحين : ج ٤ ، ص ٤٦٥ (طبعة حيدر آباد دکن) .

الاسلامي ، وستتبدل حالات اللا أمن والخوف الى الاستقرار والأمن ، وتُقلع جذور الشرك في جميع انحاء العالم ، ويتمكن عباد الله من مواصلة عبادة الله الواحد الاحد بكل حرية ، وتتم الحجّة على الجميع ، بحيث لو ان احداً اراد ان يواصل مسير الكفر سيكون فاسقاً ومقصراً . (ارجو ان تتأملوا في القسم الاخير من الآية بدقّة) .

بالرغم من ان هذه الامور الهامة كانت تعد وعداً الهياً تحقق في عصر الرسول الاكرم (ﷺ) والازمنة اللاحقة من بعده بنحو أوسع للمسلمين في العالم ، وعاد الاسلام الذي كان يوماً ما تحت قبضة الاعداء يعاني من وطأة الظلم بحيث لم يسمحوا له بادنئ فرصة للظهور والبروز على الساحة ، ويعيش المسلمون في حالة دائمة من الخوف والفرع ، عاد في نهاية المطاف وانتشر ليس في شبه جزيرة العرب فحسب ، بل عمّ اجزاء عظيمة واسعة من العالم ، وانكفأ الاعداء منهزمين في جميع الجبهات ، ولكن بالرغم من هذا كله ، فان حكومة الاسلام العالمية التي يجب ان تعمّ ارجاء المعمورة وآفاق الارض ، وتقلع جذور الشرك وعبادة الاوثان بشكل نهائي ، وتنشر الامن والامان والهدوء والحرية والتوحيد الخالص . لم تتحقق بعد ، اذن يجب انتظار تحقق هذا الامر .

سيتحقق هذا الامر طبقاً لما ورد في الرواية المتواترة التي اشرنا اليها آنفاً في عصر قيام المهدي (عليه السلام) ، وبناءً على ما تقدم فان احدي مصاديق هذه الآية تحقق في عصر النبي (ﷺ) والأعصار المقارنة له ، وسيتحقق شكله الاوسع في عصر قيام المهدي (عليه السلام) ، ولا منافاة بين هذين الامرين ، ولا بد من تحقق هذا الوعد الإلهي في كلا المرحلتين .

المراد من الاستخلاف هنا خلافة الاقوام الكافرة الماضية ، اذ تزول فيها حكومتهم وتحل محلها حكومة الحق ، نظير ما جاء في الآية ﷻ من سورة يونس : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ .

وقد ورد شبيه هذا المعنى في الآيتين ٦٩ و ٧٤ من سورة الاعراف .
وبناءً على ذلك ، فالذين تصوروا أن الآية تعد دليلاً واضحاً على خلافة الخلفاء
الاربعة - امثال الفخر الرازي - باعتبار ان أولئك هم الذين استخلفوا الرسول ، وان
الوعد الإلهي قد تحقق في عصرهم ، انما وقعوا في الخطأ ، لان الآية أعلاه لا يراد بها
خلافة الرسول ، بل خلافة الاقوام السابقة كما ورد ذلك في الآيات الثلاثة الآنفه
الذكر ، وكما ورد في الآية ١٣٧ من سورة الاعراف : ﴿ وَأَوْفَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا
يَسْتَغْفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى
بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ .

من البديهي ان بني اسرائيل ورثوا الفراعنة وسيطروا على جميع انحاء ذلك
البلد الواسع الملي بالبركات (مصر واطرافها) .

على اي حال فان الآية تُبشر بقيام حكومة المؤمنين الصالحين في جميع انحاء
العالم ، تلك الحكومة التي تحقق مقدار واسع منها في عصر رسول الاسلام (ﷺ)
وبعده ، وهي وان لم تعم جميع العالم ، إلا انها كانت نموذجاً على تحقق هذا الوعد
الإلهي ، ولكن لم تتحقق بعد على هيئة حكومة عالمية تعم ارجاء المعمورة ،
والمصداق النهائي لها سوف يتحقق بقيام حكومة الامام المهدي (عجل الله فرجه) مع توفر
الارضية والظروف بمشيئة الله تعالى ، اذ ستملأ الدنيا عدلاً وقسطاً طبقاً لما ورد في
الروايات الصادرة عن الرسول (ﷺ) وسائر الائمة المعصومين ، بعد ما ملئت ظلماً
وجوراً ، ونحن بانتظار تحقق هذا الوعد القرآني .

والروايات الواردة في المصادر المختلفة في تفسير هذه الآية تؤكد وتؤيد هذه
المسألة ايضاً .

ومنها ان المفسر المعروف « القرطبي » ينقل في تفسير « الجامع لاحكام القرآن »
في نهاية هذه الآية عن « سليم بن عامر » ، عن « المقداد بن اسود » ، يقول : سمعت

رسول الله ﷺ انه قال : « ما على ظهر الارض بيتٌ حجر ولا مدرٍ إلا ادخله الله كَلِمَةً الاسلام »^(١).

وفي تفسير « روح المعاني » نُقل عن « الامام علي بن الحسين عليه السلام » انه قال في تفسير هذه الآية : « هم والله شيعتنا اهل البيت يُفَعَّلُ ذَلِكَ بِهِمْ عَلَى يَدِ رَجُلٍ مِنَّا وهو مهدي هذه الامة وهو الذي قال رسول الله (ﷺ) : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطَوَّلَ الله تعالى ذلك اليومَ حتى يَلِيَّ رجلٌ من عترتي اسْمُهُ اسمي يملأ الارض عدلاً وقِسْطاً كما مُلِئَتْ ظُلماً وجوراً ».

ويمكن مشاهدة هذا المعنى باختلاف قليل في الكثير من مصادر اهل البيت (عليهم السلام).

وبالرغم من ان « الالوسي » لم يقيم هذا الحديث برأي ايجابي في تفسير « روح المعاني » ، إلا انه يقول في نهايته :

وردت عدة روايات عن طرقنا تؤيد هذا المعنى - وان لم نعول عليها - كرواية « عطية » عن النبي (ﷺ) بعد ان تلا هذه الآية ، قال (ﷺ) : اهل البيت هاهنا واسارة الى القبلة^(٢).

وينقل القرطبي حديثاً آخر بهذا الشأن ايضاً ان الرسول الاكرم (ﷺ) قال : « زُوِيَتْ لي الارضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَسَيَلُغُ مَلِكٌ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لي منها »^(٣).

يتضح من كل ما أسلفناه الجواب على الكثير من المؤاخذات المخالفين لمنطق اتباع اهل البيت (عليهم السلام) في تفسير هذه الآية .

وتوضيح ذلك : انه كما قلنا سابقاً : ان تحقق هذا الوعد الإلهي له عدة مراحل ، واحدى هذه المراحل حصلت مع المؤمنين الصالحين في عصر الرسول (ﷺ) ، اذ

١ - تفسير القرطبي : ج ٧ ص ٤٦٩٢ .

٢ - روح البيان : ذيل آية البحث .

٣ - تفسير القرطبي : ذيل آية البحث .

بعد فتح مكة وسيطرة الاسلام على الجزيرة العربية ، شعر المسلمون في ظل الاسلام والرسول (ﷺ) بأمن نسبي واستولوا على جزء عظيم من المنطقة ، وتحقق بذلك ما ورد بشأن نزول هذه الآية .

(وقد ورد في شأن نزول هذه الآية في العديد من التفاسير ، ومنها اسباب النزول ، ومجمع البيان ، وفي الظلال ، والقرطبي (باختلاف بسيط) ، انه عندما هاجر رسول الاسلام (ﷺ) والمسلمون الى المدينة واستقبلهم الانصار بأحضانهم ، نهض العرب بأجمعهم ضدهم ، بحيث انهم اضطروا الى عدم مفارقة اسلحتهم ، فينامون الليل بالسلاح ، ويستيقظون الصبح مع السلاح ، وكان الاستمرار على هذه الحالة يثقل على المسلمين ، واخذ بعضهم يتساءل الى متى ستستمر هذه الحالة ؟ هل سيأتي زمان ننام فيه الليل براحة بال واطمئنان ، ولا نخشى احداً سوى الله ؟ فنزلت هذه الآية ، وبشرت بقرب حلول هذا الوقت) .

والمرحلة الاخرى لهذا الوعد ، حصلت في زمن الخلفاء اذ سيطر الاسلام على اجزاء واسعة من العالم واخضعها لسلطته ، فعادت على المسلمين بمزيد من الأمن والاستقرار .

إلا أن المرحلة الثالثة والنهائية اي عالمية الاسلام وحاكميته المطلقة على العالم المتزامنة مع الامن والاستقرار وانتصار جيش التوحيد على معسكر الشرك ولم يتحقق بعد ، وسيقتصر تحققة على عصر قيام المهدي (عجل الله) فقط . وهذه المعاني الثلاثة التي تمثل سلسلة مراحل لحديث واقعي لا توجد بينها اية منافاة .

كما يستفاد من هذه الآية ايضاً ، ان هذا الوعد الإلهي يختص بالافراد الذين يمتلكون الايمان والعمل الصالح ، وبقيناً كلما تحقق هذان الشرطان وفي اي عصر ومصر سوف تنهي للمسلمين احدى مراحل هذه الحاكمية الإلهية ، وبالمقابل كلما حدثت هزيمة ما ، وعاد المسلمون اذلاء ضعفاء في قبضة الاعداء ، يجب ان نعلم

بان ذينك الاساسين اللذين يمثلان شرطي تحقق الوعد الإلهي قد طوته صحف النسيان فالإيمان عاد ضعيفاً ، والاعمال آلت ملوثة !

* * *

٣- آية ظهور الحق

نقرأ في الآية ٣٣ من سورة التوبة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَنُكَفِّرَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .

تجدد الإشارة الى ان هذه الآية تأتي بعد آية : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَنُكَفِّرَ الْكَافِرُونَ ﴾ .

واعطى الله في هذه الآيات - كما في الآيات السابقة - الوعد في غلبة وانتصار الاسلام على كافة الاديان في العالم .

وحول السؤال القائل : ما هو المقصود بانتصار الاسلام على كافة الاديان ؟ اعطى المفسرون عدة احتمالات .

فالفخر الرازي يعطي خمسة تفاسير هنا تعد جواباً على الاسئلة المرتبطة بكيفية هذه الغلبة :

١ - المقصود بالغلبة هو الغلبة النسبية والموضعية ، ذلك ان الاسلام انتصر في منطقة على جميع الاديان والمذاهب .

٢ - المراد هو الانتصار على الاديان في الجزيرة العربية .

٣ - المراد اخبار النبي (ﷺ) بجميع الاديان الإلهية (فسرت جملة «ليظهره» هنا بمعنى الاخبار) .

٤ - المراد النصر والغلبة المنطقية ، اي ان الله ينصر منطق الاسلام على سائر الاديان .

٥ - المراد النصر النهائي على جميع الاديان والمذاهب عند نزول عيسى (ﷺ) وقيام المهدي (عجل الله فرجه) اذ سيصبح الاسلام عالمياً .

لاشك بأن ان تفسير الآية بالنصر المنطقي وبصورة وعدٍ مستقبلي لا ينطوي على مفهوم صحيح . لان النصر المنطقي للاسلام كان واضحاً منذ البداية ، اضافة الى ذلك فان مادة « الظهور » و « الاظهار » (ليظهره على الدين كله) وكما يستفاد من موارد استعماله في القرآن المجيد ، بمعنى الغلبة الخارجية والعينية كما نقرأ ذلك في قصة اصحاب الكهف : ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ (الكهف : ٢٠) .

ونقرأ في الآية رقم ٨ من سورة التوبة : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ .

من البديهي ان عبدة الاصنام من قوم اصحاب الكهف ، ومشركي مكة لم ينتصروا منطقياً على المؤمنين بالله اطلاقاً ، واقتصرت غلبتهم على الغلبة الخارجية فقط ، وبناءً على هذا فان المراد بغلبة الاسلام على جميع الاديان هي الغلبة الخارجية والعينية ، وليس الغلبة المنطقية والفكرية .

ان هذه الغلبة - وكما ورد نظير ذلك في البحث الماضي - لها مراحل مختلفة : حصلت احدى مراحلها في عصر الرسول (ﷺ) ، ومرحلتها الاوسع حصلت في القرون التالية ، ومرحلتها النهائية ستحصل عند قيام المهدي (عجل الله فرجه) . لان الآية الشريفة تتحدث عن غلبة الاسلام على جميع الاديان دون اي قيد وشرط ، والغلبة المطلقة دون اي قيد او شرط انما تتحقق بشكل كامل عندما تلقي ظلالها على جميع ارجاء المعمورة ، كما ورد في رواية رسول الاسلام (ﷺ) اذ قال : « لا يبقى على ظهر الارض بيتٌ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إِلَّا ادخله الله كلمة الاسلام »^(١) .

ونقل شبيه هذا المعنى في تفسير « الدر المنثور » عن « سعيد بن منصور ، و « ابن

المنذر، و « البيهقي » في سننه عن « جابر بن عبد الله » انه قال في تفسير هذه الآية :
« لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني صاحب ملة إلا الاسلام »^(١).

أجل سيتحقق هذا الوعد الكبير في ذلك اليوم الكبير .

ونقل هذا المعنى عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير الآية السابقة ، اذ قال :
والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها ، حتى يخرج القائم ، فاذا خرج القائم لم يبق كافر
بالله العظيم »^(٢).

وهذه الملاحظة على جانب من الاهمية اذ ان جملة « هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » قدر ورد في ثلاث سور من القرآن : الاولى
في التوبة الآية ٣٣ (كما مر سابقاً) ، والثانية في سورة الفتح الآية ٢٨ ، والثالثة في
سورة الصف الآية ٩ .

هذا التكرار يبين ان القرآن المجيد قد تابع هذه المسألة بتأكيد متزايد .

ونقرأ في حديث آخر نقل في مصادر السنة عن ابي هريرة : المقصود من جملة
« ليظهره على الدين كله » ، خروج عيسى بن مريم (عليه السلام) (ونحن نعلم ان خروج
عيسى ابن مريم (عليه السلام) وطبقاً لما ورد في الروايات الاسلامية سيكون اثناء قيام
المهدي عليه السلام)^(٣).



ونختم هذا البحث بحديث منقول عن « قتادة » المفسر المعروف ، اذ يقول في
تفسير هذه الآية : « الاديان ستة : الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئون ، والنصارى ،

١ - الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٢٣١ .

٢ - نور الثقلين : ج ٢ ، ص ٢١٢ .

٣ - الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٢٣١ .

والمجوس ، والذين اشركوا ، فالاديان كُلُّها تدخل في دين الاسلام»^(١).

ومن الواضح ان هذا المعنى لم يتحقق بَعْدُ بشكل نهائي ، ولن يتحقق إلا في عصر قيام المهدي (عجل الله فرجه).

وهذه الملاحظة جديرة بالاهتمام ايضاً ، وهي : ان المقصود بزوال الديانة اليهودية والمسيحية ليس بشكل كامل ، بل المقصود حاكمية الاسلام على العالم اجمع (تأملوا جيداً).



آثار انتظار المهدي (عجل الله فرجه)

تصوّر بعض الجهلة ان انتظار ظهور المهدي (عجل الله فرجه) بناءً على الآيات والروايات الأنفة ، يمكن ان يتسبب في الركود والتخلف ، او الهروب من تحمّل أعباء المسؤوليات ، والاستسلام امام الظلم والاضطهاد ، ذلك ان الاعتقاد بهذا الظهور الكبير يعني في مفهومه اليأس وقطع الامل في اصلاح العالم قبله ، بل وحتى الاعانة على انتشار الظلم والفساد لكي تنهي الارضية المناسبة لظهوره !

لقد مرّت سنين عديدة والسن المخالفين والمنكرين لقيام المهدي (عجل الله فرجه) تناول هذا الحديث ، و اشار الى ذلك ابن خلدون ، في الوقت الذي تعد هذه المسألة على العكس من ذلك تماماً ، وان انتظار هذا الظهور الكبير له آثار بناءة جداً ، سنشير اليها لاحقاً بشكل سريع ومختصر ، كي يتّضح ان مثل هذا الحكم يعدّ حكماً متسرعاً وغير دقيق امام مسألة أشير اليها في القرآن المجيد ، وكذلك في الاحاديث المتواترة الواردة في الكتب المعروفة للسنّة ، والمصادر المشهورة للشيعة ، ومبيّنة بشكل صريح .

حقيقة الانتظار وآثاره البناءة

لقد كان الحديث يدور حول حقيقة الايمان بظهور المهدي (عليه السلام) ببرنامجه العالمي الذي يملأ بموجبه العالم عدلاً وقسطاً ويقطع جذور الظلم والاضطهاد، فهل لتلك الحقيقة آثار تربوية بناءة ام آثار سلبية؟

وهل ان الايمان بمثل هذا الظهور يحتمل الانسان على الاستعراض في افكار تخيلية بحيث يغفل عن واقعه المعاش ويجعله مستسلماً امام كل الظروف؟ ام ان ذلك في حالة صحة هذه العقيدة يعد نوعاً من الدعوة للثورة وبناء الفرد والمجتمع؟

هل يبعث على التحرك ام الركود؟

هل يخلق روح تحمّل المسؤولية ام يكون داعياً الى الهروب من اعباء المسؤوليات؟!

واخيراً: هل هو عامل مخدر أم منبه؟

ولكن قبل توضيح ومتابعة هذه الاسئلة، يعدّ الالتفات الى هذه النقطة امراً ضرورياً جداً، وهي: ان افضل القوانين وارقى المفاهيم اذا وقعت في ايدي الافراد غير الكفوئين او غير اللائقين او الانتهازيين يمكن ان تتعرض الى المسخ الشديد، بحيث تعطي نتائج مغايرة للهدف الاصلي تماماً. وتتحرك بالاتجاه المضاد منها، ولهذه القضية نماذج كثيرة، ومسألة «الانتظار» وبالنحو الذي سنراه في عداد هذه المسائل.

وعلى اي حال فان التخلص من كافة انواع الخطأ في الحساب في مثل هذه الابحاث، لابد كما يقال من اخذ الماء من منبعه، لكي لا يؤثر فيه التلويث المحتمل للأنهر والقنوات التي يمرُّ بها الماء خلال مسيره.

اي اننا سنتوجه في بحث مسألة « الانتظار » مباشرة نحو المصادر الاسلامية الاصلية ، ونخضع نبرة الاحاديث المختلفة التي تؤكد على مسألة « الانتظار » للبحث والتحقيق ، كي نصل الى الهدف الاساسي .

والآن تأملوا في هذه الطائفة من الروايات بدقة :

١ - سأل سائل من الامام الصادق (عليه السلام) : ماذا تقول فيمن مات وهو على ولاية الأئمة بانتظار ظهور حكومة الحق ؟

فقال الامام (عليه السلام) في جوابه : « هو بمنزلة مَنْ كان مع القائم (عليه السلام) في فسطاطه - ثم سكت هنيئاً - ثم قال : هو كَمَنْ كان مع رسول الله ﷺ » ^(١) .

ونقل هذا المضمون نفسه في روايات كثيرة وبتعابير مختلفة .

٢ - وجاء في بعض منها : « بمنزلة الضاربِ بسيفه في سبيل الله » .

٣ - وفي البعض الآخر : « كَمَنْ قَارَعَ مع رسول الله ﷺ بسيفه » .

٤ - وفي البعض الآخر : « بمنزلة مَنْ كان قاعداً تحت لِواءِ القائم » .

٥ - وفي البعض الآخر : « بمنزلة المجاهدِ بين يدي رسولِ الله ﷺ » .

٦ - وفي البعض الآخر : « بمنزلة مَنْ استشهدَ مع رسولِ الله ﷺ » .

انَّ هذه التشبيهات السبعة الواردة في هذه الروايات الستة بشأن انتظار ظهور المهدي (عليه السلام) ، تكشف عن هذه الحقيقة ، بوجود نوع من الرابطة والتشابه بين مسألة « الانتظار » من جهة ، و « الجهاد » ، ومقاتلة الاعداء بأعلى صورة من جهة أخرى (تأملوا) .

٧ - ورد انتظار مثل هذه الحكومة ايضاً في روايات متعددة ، وأشير اليه على انه افضل العبادات .

ونقل هذا المضمون في بعض الاحاديث عن الرسول (ﷺ) ، وفي البعض الآخر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ونقرأ في حديث ان الرسول (ﷺ) قال : « أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي إِنْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » ^(١).

ونقرأ في حديث آخر عن الرسول (ﷺ) : « أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ إِنْتِظَارُ الْفَرَجِ » ^(٢). وهذا الحديث سواء نظرنا فيه الى مسألة انتظار الفرج بالمعنى الواسع للكلمة او بالمفهوم الخاص لها اي بمعنى انتظار ظهور المصلح العالمي الكبير ، يوضح اهمية الانتظار في بحثنا هذا.

كل هذه التعابير تقول باجمعها ان الانتظار وكما هو الحال في توأم هو الجهاد الواسع الشامل ، اجعلوا هذه المسألة نصب اعينكم كي ننقل الى مفهوم الانتظار ، ثم نستخلص النتيجة من مجموع هذه المفاهيم .

مفهوم الانتظار

« الانتظار » يُطلق عادةً على حالة من يشعر بعدم الارتياح من الوضع الموجود ، ويسعى من اجل ايجاد وضع افضل .

ومثله كمثل المريض الذي ينتظر تحسن حالته ، او الاب الذي يعيش حالة الانتظار في عودة ولده من السفر ، او مَنْ يشعر بعدم الارتياح من مرض او فراق الولد ويسعى من اجل وضع افضل .

وكذا الحال بالنسبة للتاجر الذي يشعر بعدم الارتياح من وضع السوق المضطرب ويعيش الانتظار في خمود الازمة الاقتصادية ، فانه يعيش كلا الحالتين « عدم الانسجام مع الوضع الموجود » ، و « السعي من اجل وضع افضل » .

١- الكافي بناءً على نقل البحار : ج ١٣ ، ص ١٣٧ .

٢- الكافي بناءً على نقل البحار : ج ١٣ ، ص ١٣٦ .

وبناءً على ذلك فإن مسألة انتظار حكومة الحق والعدالة للامام «المهدي» وقيام المصلح العالمي مركبة في الواقع من عنصرين ، عنصر «النفي» وعنصر «الاثبات» . ويمثل عنصر النفي عدم الانسجام مع الوضع الموجود ، ويمثل عنصر الاثبات السعي من اجل الحصول على الوضع الافضل .

وان حلت هاتان الخصلتان بصورة متجذرة في روح الانسان فستكونان مصدراً لنوعين من الاعمال الواسعة الشاملة .

وهذان النوعان من الاعمال يتمثلان بترك اي نوع من انواع التعاون والانسجام مع عوامل الظلم والفساد ، وحتى النضال والاشتباك معها من جهة ، وبناء الذات واعدادها والمحافظة عليها من الزلل ، واكتساب الاستعدادات الجسمية والروحية والمادية والمعنوية من اجل تبلور تلك الحكومة العالمية والشعبية الموحدة من جهة اخرى .

ولو تأملنا جيداً نرى ان كلاً منها يعدُّ بناءً وعامل تحريكٍ ووعيٍ وبقظة .

ومع أخذ المفهوم الاساس « للانتظار » بنظر الاعتبار يمكن ان يُدرك جيداً معنى الروايات المتعددة التي نقلناها آنفاً بشأن البشارة ، ونتيجة عمل المنتظرين . والآن نفهم لماذا عُدَّ المنتظرون الحقيقيون احياناً كالذين مع المهدي (عجله) في فسطاطه ، او تحت لوائه ، او كالمضارب بسيفه في سبيل الله ، او المتشحط بدمه ، او المستشهد ؟

أليست هذه الحالات اشارة الى المراحل المختلفة ، ودرجات الجهاد في سبيل الحق والعدالة ، والتي تتناسب مع مقدار الاستعداد ودرجة انتظار الافراد ؟

أي ، كما ان ميزان تضحية المجاهدين في سبيل الله ودورهم متفاوت فيما بينهم ، فان الانتظار وبناء الذات والاستعداد له درجات متفاوتة ايضاً ، بحيث ان كلاً منها يتشابه مع ما يقابلها من حيث « المقدمات » و « النتيجة » . فكلاهما يمثلان

الجهاد ، وكلاهما يريدان الاستعداد وبناء الذات ، فمن كان في فسطاط قائد مثل تلك الحكومة اي في مركز القيادة العامة لحكومة عالمية لا يسعه ان يكون فرداً غافلاً وغير مبال ، لأن ذلك المكان ليس لكائن من كان ، انه مكان اولئك الذين يليقون حقاً بتلك المنزلة والاهمية .

وكذلك فان الذي يحمل السلاح بيده ويقا تل بين يدي قائد هذه الثورة ضد المخالفين لحكومته ، حكومة الصلح والسلام والعدالة ، لابد وان يمتلك استعداداً روحياً وفكرياً و قتالياً عالياً .

لغرض المزيد من الاطلاع على الآثار الواقعية لانتظار ظهور المهدي (عليه السلام) نرجو الالتفات الى التوضيح التالي :

الانتظار يعني الاستعداد التام

لو كنت ظالماً ومضطهداً كيف يمكن ان انتظر فرداً تكون دماء الظلمة طعمه لسيفه ؟

لو كنت ملوثاً نجساً كيف بوسعني ان اكون في انتظار ثورة ستأتي شرارتها على حضائر النجسين والملوثين ؟

فالجيش الذي ينتظر ان يخوض حرباً شعواء يجب أن يعمل على رفع الاستعداد القتالي لافراده ، ويؤجج فيهم روح الثورة ، ويعمل على اصلاح اي نقطة ضعف فيه .

لان كيفية « الانتظار » تتناسب دائماً مع الهدف الذي نحن بانتظاره .

انتظار مسافر عائد من سفره .

انتظار عودة أحد الاحبة الاعزاء .

انتظار حلول موسم جني الثمار من الاشجار وحصاد المحصول .

وكل نوع من حالات الانتظار هذه ممزوج بنوع من الاستعداد ، ففي احداها لا بد من اعداد البيت وتوفير وسائل الاستقبال ، وفي الاخرى تهيئة الادوات اللازمة ، كالمنجل .

من هنا لكم ان تنظروا الى ان الذين ينتظرون قيام مصلح عالمي كبير فانهم ينتظرون في الواقع ثورةً وانقلاباً وتحولاً يعدُّ من اوسع واشمل الثورات الانسانية على مرّ تاريخ البشرية .

انهم ينتظرون انقلاباً مغايراً للثورات السابقة التي كانت تفتقر الى الصيغة المنطقية في محتواها ، بل ثورة عامة شاملة لجميع الشؤون والجوانب الحياتية للبشرية ، ثورة سياسية وثقافية واقتصادية واخلاقية .

الفلسفة الاولى - بناء الذات فردياً

انّ مثل هذا التحول يحتاج قبل كل شيء الى العناصر الانسانية المستعدة والتمينة لكي يكون بوسع القائمين به تحمّل اعباء تلك الاصلاحات الواسعة في العالم ، ويحتاج ذلك بالدرجة الاولى الى رفع مستوى التفكير والوعي والاستعداد الروحي والفكري للمساهمة في تطبيق ذلك البرنامج العظيم . ان النظرات الضيقة والمحدودة ، والافكار المنحرفة ، والحسد ، والنزاعات الصببانية وغير العقلانية وبشكل عام كل نوع من النفاق والتشتت لا ينسجم مع مكانة «المنتظرين الواقعيين» .

الملاحظة المهمة هي ان المنتظر الحقيقي ليس بوسعه ان يتخذ دور المتفرّج امام هذا البرنامج المهم اطلاقاً ، ولا بد ان ينخرط من الآن في صفوف الثوريين .

ان الايمان بنتائج وعاقبة هذا التحول لا يسمحان له بان يكون في خندق المعارضين اطلاقاً ، كما ان الانضمام لخندق المؤيدين ايضاً لا يحتاج فقط الى امتلاك « اعمال نظيفة » ، وروح انظف ، والتحلي « بالشهامة » و « الوعي » ، اذ ان ذلك

وحده لا يكفي .

فلو كنت شخصاً فاسداً وغير مستقيم كيف بوسعي ان اعدّ الايام في انتظار نظام ليس فيه للفاسدين وغير الصالحين اي دور او أثر بل سيكونون مطرودين وغير مرغوب فيهم .

ألا يكفي هذا الانتظار لتصفية الروح والفكر ، وغسل الجسم والروح من لوث النجاسات ؟

ان الجيش الذي يعيش الانتظار لخوض جهاد التحرير لابد وان يكون في حالة الانذار القصوى ، والاستعداد الكامل ، ويعمل جاهداً للحصول على السلاح اللائق بساحة القتال هذه ، ويبني المواضع اللازمة ، ويرفع المستوى القتالي لمنتسبيه . ويقوي معنوية افراده ، ويعمل على ابقاء شعلة الحب والشوق لمثل هذه المنازلة حيّة في قلوب جنوده ، والجيش الذي لا يتحلّى بمثل هذا الاستعداد لا يمكن ان يعيش حالة الانتظار مطلقاً ، وان ادّعى ذلك فانما يكذب .

ان انتظار مصلح عالمي بمعنى الاستعداد الفكري والاخلاقي ، المادي والمعنوي الكامل ، انما هو من اجل اصلاح العالم اجمع . تأملوا كم ان هذا التهيؤ والاستعداد يُعدّ بناءً .

ان اصلاح جميع أرجاء الارض وانهاء كل انواع المظالم والاضطرابات ليس مزاحاً ، ولا يمكن ان يكون عملاً بسيطاً ، ان الاستعداد والتهيؤ لمثل هذا الهدف العظيم يجب ان يكون متناسباً مع حجمه ، اي : يجب ان يكون بسعته وعمقه ! ومن اجل تحقيق هذه الثورة ، لابد من رجال عظماء جداً يمتازون بالتصميم العالي والاقتدار الرفيع ولا يقبلون الهزيمة ، طاهرين ويعيدي النظر وبشكل استثنائي ، وعلى استعداد كامل ، ويمتلكون نظرة ثابتة للامور .

ويستلزم البناء الذاتي لمثل هذا الهدف استخدام اعمق البرامج الاخلاقية

والفكرية والاجتماعية ، هذا هو معنى الانتظار الواقعي ، فهل يتسنى لاحد الادعاء بان مثل هذا الانتظار ليس بناءً؟

الفلسفة الثانية - اعمال الرعاية الاجتماعية

المنتظرون الصادقون مكلفون في نفس الوقت بأن لا يركّزوا اهتمامهم بأنفسهم فحسب ، بل بمراقبة احوال بعضهم البعض ، وان يبادروا في الاصلاح الآخرين اضافة لاصلاح انفسهم ، لان البرنامج العظيم والثقيل الذي ينتظرونه ليس برنامجاً فردياً ، بل انه برنامج ينبغي ان تساهم فيه جميع عناصر الثورة ، لابد ان يكون طابع العمل طابعاً جماعياً وجماهيرياً ، ولابد ان تتناغم الجهود والمسااعي ، وينبغي ان يكون عمق الانسجام وسعته بعظمة ذلك البرنامج الثوري العالمي الذي يعيشون انتظاره .

وفي هكذا ميدان واسع للمنازلة الجماعية ، ليس بوسع اي فرد ان يبقى غافلاً عن احوال الآخرين ، بل انه مكلف باصلاح اي نقطة ضعف في اي مكان يراها ، وان يرمم اي موضع متضرر ، وان يقوي كل جزء ضعيف ، لانه بدون الاشتراك الفعال والمنسجم لكل المناضلين فان تطبيق مثل هذا البرنامج يعدّ أمراً مستحيلاً .

وبناءً على هذا فان المنتظرين الواقعيين واطافة لسعيهم في اصلاح انفسهم ، مكلفون ايضاً باصلاح الآخرين .

هذا هو الأثر البناء الآخر لانتظار قيام مصلح عالمي ، وهذه هي فلسفة كل تلك الفضائل المعدة للمنتظرين الحقيقيين .

الفلسفة الثالثة - المنتظرون الحقيقيون لا يذوبون في فساد المحيط

الاثر المهم الآخر الذي يمتاز به انتظار المهدي هو عدم الذوبان في مفاسد

المحيط ، وعدم الاستسلام امام النجاسات .

وتوضيح ذلك انه عندما يشيع الفساد ويجر الاكثرية نحو التلوث ، فان الافراد الطاهرين يواجهون احياناً مأزقاً نفسياً حاداً لا مخرج له ، مأزقاً مغلقاً نابعاً من يأس الاصلاحات .

انهم يعتقدون احياناً بان الامر قد خرج من ايديهم ولا أمل بالاصلاح قط ، والسعي من اجل المحافظة والابقاء على الطهارة يعد عبثاً ، ومن الممكن ان يجرحهم هذا اليأس والاحباط نحو الفساد والتأقلم مع المحيط تدريجياً ، بحيث لا يتمكنون معه من المحافظة على انفسهم بصورة اقلية صالحة امام الاكثرية الطالحة ، وينظرون الى مسألة عدم التأقلم مع الجماعة كباعث على الفضيحة !

والشيء الوحيد الذي يمكن ان يبعث فيهم « الأمل » ويدعوهم الى المقاومة والمحافظة على النفس ، ولا يدعهم يذوبون في المحيط الفاسد هو الأمل بالاصلاح النهائي ، في هذه الصورة فقط سوف لن يرفعوا ايديهم عن بذل المساعي والجهود للمحافظة على طهارتهم واصلاح الآخرين .

وان كنا نلاحظ في القوانين الاسلامية ان اليأس من غفران الذنوب يعدّ من الذنوب الكبيرة ، ومن الممكن ان يتعجب الجاهلون ان لماذا يعد اليأس من رحمة الله على هذا القدر من الاهمية ، بل حتى انه اهم من كثير من الذنوب ، ان فلسفة هذه المسألة تكمن في حقيقة مفادها ان المذنب الآيس من الرحمة لا يرى اي مبرر للتفكير بالتكفير عن ذنبه ، او على الاقل الاعراض عن الاستمرار بارتكاب الذنب ، ومنطقه يرتكز على أن الماء قد تجاوز هامتي سواء بمترا او مائة متر ! انا المفضوح في الدنيا فلن أبالي بهوم الدنيا ! ولا لون بعد السواد أشد منه ، سأدخل جهنم لا محالة ، انا الذي اشتريت ذلك لنفسي ، فمّم الخوف اذن ؟ ! وامثال هذا المنطق ...

اما عندما تفتح أمامه نافذة أمل ، الأمل بعفو الله ، الامل بتغيير الوضع

الموجود، ستتولد نقطة عطف في حياته تدعوه الى التوقف عن مسيرة الذنوب والعودة نحو الطهارة والاصلاح.

ولهذا السبب يمكن اعتبار الامل على انه عامل تربوي مؤثر بشأن الفاسدين دائماً، وكذلك الصالحون المبتلون بالاوساط الفاسدة، لا يسعهم المحافظة على انفسهم بدون الأمل.

والنتيجة ان انتظار ظهور مصلح يزداد الامل بظهوره كلما ازدادت الدنيا فساداً، له اثر نفسي متزايد لدى المعتقدين، ويصونهم امام امواج الفساد التلاطم؛ انهم لا يعرفون اليأس بمجرد انتشار رقعة فساد المحيط، بل بمقتضى « اقتراب موعد الوصل * يزداد لهيب الشوق والوله » فانهم يرون موعد الوصل والوصول الى الهدف الذي هو نصب اعينهم، وتزداد حدة المنازلة مع الفساد او المحافظة على النفس بكل شوق واستماتة.



من مجموع الابحاث الماضية هكذا نستخلص النتيجة وهي : ان الاثر التخديري للانتظار يقع في حالة واحدة بأن يصبح مفهومه المسخ او التحريف - كما حرّفه الى هذا المفهوم جمع من المعارضين، ومسخه جمع من المؤيدين - اما لو تُرجم الى مفهومه الواقعي في المجتمع والفرد يتحول الى عامل مهم للتربية وبناء الذات والتحرك والأمل.

ومن جملة الاسانيد الواضحة التي تؤيد هذا الموضوع ما جاء في آخر هذه الآية «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» .
ونقل عن أئمة الاسلام الكرام المقصود بهذه الآية « هو القائم واصحابه»^(١).

ونقرأ في حديث آخر: (نزلت في المهدي).

في هذه الآية أشير إلى المهدي (عليه السلام) واصحابه بأنهم ﴿الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ ، وبناءً على ذلك فإن تحقق هذه الثورة العالمية بدون الإيمان الراسخ الذي لا يداخله أي نوع من الضعف والتخاذل ، وبدون الأعمال الصالحة التي تفتح الطريق أمام إصلاح العالم يعد أمراً غير ممكن البتة ، وعلى الذين ينتظرون مثل هذا البرنامج ان يرفعوا مستوى وعيهم وإيمانهم ، وان يجتهدوا في إصلاح أعمالهم . ويمكن لهؤلاء الأفراد ان يمنحوا انفسهم أمل الاشتراك في حكومته فقط ، وليس الذين يتعاونون مع الظلم والاضطهاد ، وليس البعيدون عن الإيمان والعمل الصالح ، ولا الأفراد الجبناء والاذلاء الذين يخشون من كل شيء حتى من ظلمهم على اثر ضعف الإيمان .

ولا الأفراد المتقاعسون والكسالى والعاطلون الذين يقفون مكتوفي الأيدي أمام مفسد محيطهم ومجتمعهم مفضلين السكوت دون ان يكون لهم أدنى سعي أو جهد على طريق المنازلة ضد الفساد .

هذا هو الاثر البناء لقيام المهدي (عليه السلام) في المجتمع الاسلامي .

اللهم ! نور ابصارنا بجمال طلعتة البهية ، واجعلنا من انصاره المخلصين وجنوده المضحّين !

نهاية الجزء التاسع من رسالة القرآن

ربيع الثاني سنة ١٤١٥ هـ ق

المطابق لشهر مهر

سنة ١٣٧٣ هـ ش

الفهرس

الفهرس

٩	تمهيد
١٠	١- ماهي الامامة
١٢	٢- هل الامامة من الاصول أم من الفروع
١٣	٣- متى بدأ البحث في الامامة
١٦	لفظة الامامة في اللغة والقرآن
١٧	٤- عظمة منزلة الامام في القرآن الكريم
٢٤	٥- فلسفة وجود الامام

٣١	الولاية والامامة العامة في القرآن الكريم
٣٣	تمهيد
٣٤	آية الانتذار والهداية
٣٨	آية الصادقين
٤٢	آية اولي الأمر
٤٩	الولاية والامامة العامة في السنة

تمهيد	٥١
١- حديث الثقلين	٥٣
ترتيب مختصر	٦٠
تكرار حديث الثقلين على لسان النبي (ﷺ)	٦١
المسائل المهمة المستوحاة من حديث الثقلين	٦٤
سؤال أخير	٦٥
٢- حديث سفينة نوح	٦٩
مفاد حديث السفينة	٧١
٣- حديث النجوم	٧٥
مضمون حديث النجوم	٧٧
سؤال	٨٠
٤- حديث الائمة الاثنا عشر	٨٣
مضمون حديث الائمة الاثنا عشر	٨٥
ملاحظة	٨٩
لا تخلو الارض من حجة	٨٩
الاشارات القرآنية والمنطقية على وجوب الحجة	٩١



الشروط والصفات الخاصة بالامام	٩٣
تمهيد	٩٥
علم الامام	٩٧
ملاحظة	١٠١
مصادر علم الائمة	١٠٣

الفهرس ٤٠٣

- ١- العلم الكامل بكتاب الله ١٠٣
- ٢- الوراثة من النبي (ﷺ) ١٠٩
- ٣- الاتصال بالملائكة ١١١
- ٤- القاء روح القدس ١١١
- ٥- النور الإلهي ١١٤
- عصمة الائمة ١١٧
- تمهيد ١١٧
- من هم أهل البيت ؟ ١٢٢
- شبهات حول العصمة ١٣٢
- خصائص الائمة ١٣٧
- الله فقط الذي يعين الامام ١٣٩



- الولاية التكوينية للانبياء والائمة ١٤١
 - تمهيد ١٤٣
 - الولاية التكوينية في الاحاديث الاسلامية ١٥١
 - الولاية والامامة الخاصة ١٥٧
 - تمهيد ١٥٩
 - آية التبليغ ١٦١
 - حادثة الغدير ١٦٣
 - مضمون روايات الغدير ١٦٤
 - بحث وتحليل مستجد حول آية التبليغ ١٦٨
- توضيحات :

- ١- معنى الولاية والمولى في حديث الغدير ١٧٠
- ٢- سائر آيات القرآن في تأييد حديث الغدير ١٧٢
- ٣- كيفية ارتباط هذه الآية بما بعدها وما قبلها ١٧٥
- ٤- لماذا لم يحتج الامام علي (عليه السلام) بحديث الغدير ١٧٦
- ٢- آية الولاية ١٧٩
- كيفية دلالة الآية على الخلافة ١٨٢
- شبهات واعتراضات ١٨٣
- ٣- آية أولي الامر ١٩١
- ٤- آية الصادقين ١٩٥
- ٥- آية القربى ١٩٩
- آية القربى في الروايات الاسلامية ٢٠٢
- القسم الثاني
- آيات الفضائل ٢٠٩
- تمهيد ٢١١
- آية المباهلة ٢١٣
- مضمون آية المباهلة ٢١٣
- المباهلة في اقوال المحدثين ٢١٥
- اهمية المباهلة ٢٢٠
- مؤاخذاتهم على آية المباهلة ٢٢٣
- الجواب ٢٢٣
- ٢- آية خير البرية ٢٢٧
- ٣- آية ليلة المبيت ٢٣٣

- ٤- آية الحكمة ٢٣٧
- ٥- سورة هل أتى ٢٣٩
- هل أتى في الشعر ٢٤٢
- المشككون امام سورة هل أتى ٢٤٤
- ٦ و ٧ آيات البراءة وسقاية الحاج ٢٤٩
- نتيجة ٢٥٣
- آية سقاية الحاج ٢٥٤
- ٨- آية وصالح المؤمنين ٢٥٧
- ٩- آية الوزارة ٢٦١
- مضمون آيات وروايات الوزارة ٢٦٣
- ١٠ و ١١ سورة آيات الاحزاب ٢٦٥
- سؤال ٢٦٨
- ١٢- البينة والشاهد ٢٦٩
- ١٣- آية الصديقون ٢٧٥
- ١٤- آية النور ٢٧٧
- ١٥- آية الانتذار ٢٧٩
- ١٦- آية مرج البحرين ٢٨٥
- ١٧- آية النجوى ٢٨٩
- سؤال ٢٩٣
- ١٨- آية السابقون ٢٩٥
- ١- من المقصود «قليل من الآخرين» ٢٩٧
- ٢- من هو أول مسلم ٢٩٨

سؤال واحد فقط	٣٠٤
الجواب	٣٠٤
١٩- آية أذن واعية	٣٠٩
النتيجة	٣١١
٢٠- آية المحبة	٣١٣
٢١- آية المنافقون	٣١٧
٢٢- آية الايذاء	٣٢١
٢٣- آية الاتفاق	٣٢٥
٢٤- آية المحبة	٣٢٩
٢٥- آية المسؤولين	٣٣٧



الائمة الاثنا عشر	٣٤١
تمهيد	٣٤٣
١- آية الصلوات والتحية	٣٤٧
٢- آية النور والبيوت	٣٥٣
٣- الصراط المستقيم	٣٥٥
٤- وسيلة قبول توبة آدم	٣٥٧
٥- افضل الحسنات	٣٦٠
التصريح باسماء ائمة أهل البيت	٣٦٤



الامام المهدي	٣٦٧
تمهيد	٣٦٩

٣٧٣	١- حكومة الصالحين في الارض
٣٧٨	٢- آية سورة النور
٣٨٣	٣- آية ظهور الحق
٣٨٦	آثار انتظار المهدي
٣٨٧	حقيقة الانتظار وآثاره البناءة
٣٨٩	مفهوم الانتظار
٣٩١	الانتظار يعني الاستعداد التام
٣٩٢	الفلسفة الاولى - بناء الذات فردياً
٣٩٤	الفلسفة الثانية - اعمال الرعاية الاجتماعية
	الفلسفة الثالثة - المنتظرون الحقيقيون
٣٩٤	لا يذوبون في فساد المحيط
٣٩٩	الفهرس

